

سيرة القائد الالماني فون رونشتد

اسرار الحرب العالمية الثانية

كونثر بلومنتريت

رئيس هيئة أركان حرب رونشتد

ترجمة اللواء
محمود شيت خطاب

مكتبة النهضة
بغداد



المشير
فون رونشتد
القائد الأنسان
واسرار الحرب العالمية الثانية

اللواء الركن
كونثر بلو نتريت

المشير فون رونشتد
القائد الانسان
واسرار الحرب العالمية الثانية

ترجمة
(اللواء الركن)
محمود شيت خطاب

مكتبة النهضة

مكتبة النهضة - بغداد

الطبعة الاولى ١٩٦٠
الطبعة الثالثة عشرة ١٩٨٩

القادة العسكريون يستحقون الرثاء اكثر مما نتصور: العالم يتصدر للحكم على اعمالهم من غير ان يستمع الى اقوالهم، والصحافة قلما تذكرهم، وربما لايفهم واحد من الألاف الذين يحكمون عليهم ابسط معاني القيادة حتى لأصغر الوحدات.

فردريك الكبير

ملك بروسيا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

صدر هذا الكتاب باللغة الالمانية عام (١٩٥٢)، وسرعان ماترجم الى اكثر اللغات الحية... نظرا لاهمية معلوماته وجدتها من جهة، ولشهرة مؤلفه والمؤلف عنه من جهة اخرى.

لقد ترجمناه عن اللغة الانكليزية متوخين الاطلاع على اراء الجانب الالماني في اهم حوادث الحرب العالمية الثانية، بعد ان اطلعنا على اراء الحلفاء عنها، ومن مقارنة اراء الجانبين يمكن استنتاج حقائق الحرب العالمية الثانية بوضوح.

كما توخينا من ترجمته تفهم الاسلوب الحديث في دراسة تاريخ الحرب متمثلة في سير قادته البارزين.

يتحدث مؤلف هذا الكتاب عن اهم مايشغل بال العسكريين والمثقفين من المدنيين على حد سواء عن اسرار الحرب العالمية الماضية، كما انه يجيب بصراحة ووضوح ـ كشاهد عيان ـ عن اكثر المشاكل التي حار بتعليلها المفكرون، والتي حدثت قبل وفي اثناء الحرب العالمية الثانية.

ماهي حقيقة نيات هتلر السلمية والحربية؟ كيف اندلعت نيران الحرب ما هي حقيقة الجيش الالماني على عهد هتلر؟ كيف قاتلت مشاته في ابتداء الحرب؟ ماهي حقيقة العلاقات الالمانية ـ الروسية قبل الهجوم الالماني على روسيا؟ لما لم يقم الحلفاء باعمال حربية خلال انشغال الالمان بالحرب البولندية؟ ما اثر الدعاوة الالمانية قبيل الحرب وفي اثنائها؟ كيف افاد الجيش الالماني من تجاربه في بولندا لاصلاح اخطائه؟ ما هي حقيقة محاولات هتلر السلمية اثناء الحرب؟ لماذا سمح الالمان للبريطانيين بالانسحاب من دانكرك سالمين؟ كيف جرى تطبيق حرب الصاعقة؟ كيف جرى التقدم الالماني في فرنسا؟ ماهي عوامل انهيار فرنسا؟ لماذا لم يهاجم الالمان بريطانيا في عقر دارها حينما كان الالمان في اوج انتصاراتهم؟ ماهي حقيقة الوضع السائد في روسيا قبيل الهجوم الالماني؟ ماحقيقة وضع القوات الالمانية في الجبهة الغربية قبيل الانزال؟ كيف يسيطر الدكتاتور على قواته وقادته؟ ما اثر نقص الوقود على نتائج الحرب؟ ماحقيقة كفاية الاستخبارات الالمانية؟ كيف دافع الالمان في نهاية الحرب؟ ماحقيقة تعرض الالمان في الاردين؟ ماهي مزايا هتلر الشخصية؟ ما اثر المحسوبية في تقدم القادة الالمان؟ كيف جنت المعية رونشتد عليه؟ ما هي حقيقة رونشتد القائد الانسان؟

ستقرأ جواب كل ذلك ـ وماذكرناه بعض ماستقرؤه ـ في هذا الكتاب، يرويها لك شاهد عيان المعي يعرف مايقول ويزن كلامه فلا يلقيه جزافا على غير هدى ولابصيرة، ولسنا بحاجة الى الافاضة في سرد محتويات ماستقرؤه وشيكا، حتى لانضيع عليك كثيرا من المتعة، فلنترك ذلك للقراء.

ولله كل الفضل فيما فعلناه، وله كل الشكر على ما انتجنا.

بغداد في ١٢/٣/١٩٦٠

لواء ركن

محمود شيت خطاب

مقدمة الطبعة الثانية

نفذت الطبعة الاولى من هذا الكتاب بسرعة مذهلة، لانه كان اول كتاب صدر عن وجهة النظر الالمانية في الحرب العالمية الثانية، من خلال ترجمة حياة اعظم قادة الالمان في تلك الحرب، وهو المشير فون رونشتد.

كان صدور الكتاب في عام ١٩٦٠ اي في اوج انحراف قاسم العراق، وكان قاسم يعتبر نفسه القائد الاوحد، وكان الناس يعرفون حقيقته في القيادة، لذلك زعم قاسم بان الكتاب فيه مافيه من مزايا القائد الحق، يمسه شخصيا ويشكك في قيادته المزعومة.

لقد كان رونشتد غير حزبي، وكان متفرغا للقضايا العسكرية، وكان شخصية رصينة تقول الحق وتظهر وجهة نظرها بصراحة حتى لهتلر نفسه.

وكانت فيه مزايا انسانيه رفيعة يندر وجودها ـ في القادة العسكريين الالمان والروس والبريطانيين والامريكان. . . ولعل هذه المزايا هي التي حببت الي ترجمة هذا الكتاب.

لقد اسر الروس بعض القادة الالمان في (ستالين غراد) وفي غيرها من مناطق الجبهة الروسية، فكونوا من بعض هؤلاء القادة الالمان جمعية (المانيا الحرة) في روسيا تبث الدعاية للروس ضد الالمان.

ولم يكن رونشتد على وفاق مع هتلر ولا مع نظامه، ولكنه استنكر بشدة خيانة هؤلاء الالمان لوطنهم الام، وكان عملهم في نظر رونشتد ليس مجرد افشاء للاسرار العسكرية، بل هو (خيانة) قد تؤدي الى ضياع ارواح جنود كثيرين من الالمان في الجبهة الشرقية. . .

وحين سمع رونشتد مرة وهو في مقر قيادته الغربية دعاية جمعية (المانيا الحرة)، علق عليها بقوله: «تستثمر السياسة كل نوع من انواع (الخيانة)، ولكنها لاتشرف (الخونة)». . .

هذه الجملة ذات المعاني العميقة الرائعة، اسكرتني وشجعتني على ترجمة الكتاب واخراجه للناس.

لقد عاونني في ترجمته العميد الركن منير فهمي الجراح مشكورا، كما عاونني الاستاذ عبدالرحمن الملاح، وبذلك خرجت الترجمة قريبة من الكمال، ولولا معاونتهما الصادقة لما خرج الكتاب بهذا الشكل دقة وبيانا. .

والله اسأل ان ينفع به العسكريين والمدنيين من ابناء الشعب العربي من الخليج الى المحيط، وابناء المسلمين في دار الاسلام.

والحمد لله كثيرا، واشكره على توفيقه، وادعوه ان يأخذ بيد العرب الى الوحدة الشاملة لينتصروا في معركة الثأر على اسرائيل، انه سميع مجيب.

بغداد في : ١٩٦٦/١/١

محمود شيت الخطاب
(لواء ركن)

المقدمة

بقلم المشير فون رونشتد

حثني كثير من الناس، خلال السنوات الثلاث التي قضيتها سجينا في انكلترا، على ان اكتب قصة حياتي . . . ولكنني رفضت دائما القيام بذلك، لانني تخوفت ان يظن الناس خطأ انني اريد ان ابرىء نفسي، او افسر الحوادث لمصلحتي.

كما انني لا اريد ان اضيف مجلدا جديدا الى سوق الكتب، اذ ليس فيها متسع لكتاب جديد.

ولابد لي من التنبيه هنا، بانني لم اسجل ابدا اي مذكرات عن حياتي، كما لم اكن احتفظ بأي نوع من المستمسكات والوثائق.

والان، ولاول مرة، البي رجاء شركة (اودهم) المحدودة للطباعة، بالموافقة على طبع هذا الكتاب الذي قام بتأليفه ضابط ركن الحركات في مقري لبضع سنين خلت، ثم اصبح رئيس هيئة اركاني بعد ذلك، وكان دائما بتماس شديد معي جنديا وصديقا.

انني متفق تماما مع كل ما جاء في هذا الكتاب، لكنني بالطبع تركت للمؤلف تقدير صفاتي الشخصية كما يريد.

وارغب ان اصرح هنا، بانني عوملت، اثناء سجني في انكلترا من البريطانيين والامريكان معاملة مناسبة وكثيرون من الانكليز والامريكيين ومن الامم الاخرى، ابدوا تقديرهم ورعايتهم لي حينذاك مما لا استطيع ان اكافئهم عليه الان بغير الشكر الجزيل . .

ان المستقبل يتطلب من الامم ان تختار اتجاها مشتركا يوحد اهدافها، وعسى ان يأخذ الله بيد البشرية لاختياره . . .

حقا لقد اقترفنا جميعا الاثام والذنوب التي يجب بل يتحتم علينا نسيانها، ولهذا السبب فقد جاء هذا الكتاب مطابقا لهواي الصريح ولهوى المؤلف ايضا، فهو غير محتو على اي مغمز لاية امة معينة او لاي شخص معين.

يجب ان تعلمنا خبرتنا بالحياة: ان القضاء والقدر، اقوى من محاولات البشر.

فون رونشتد

المشير الركن

مقدمة المؤلف

بقلم اللواء الركن كونثر بلومنتريت

غمرني فرح عظيم، عندما سمح لي المشير فون رونشتد ان اكتب عن سيرته انسانا وجنديا، وعما قام به من اعمال قائدا من اعاظم القادة الالمان.

عشنا جنبا الى جنب صديقين حميمين جمعتنا روح الجندية الحقة في السراء والضراء وفي ايام الرخاء والشدة.

لقد عرفت المشير فون رونشتد لاول مرة عام (١٩٢٦) حين كان آمرا لكتيبة المشاة الثامنة عشرة الملغاة في مدينة (باديربرن Baderborn)، ولكن معرفتي به توثقت من عام (١٩٣٢ ـ ١٩٣٣) لما التحقت بهيئة اركان مقره في برلين. غير انني عرفته تماما بكل دقة حينما عشنا معا خلال الحرب العالمية الثانية واثناء كنا اسيرين بعدما وضعت الحرب اوزارها.

ومنذ ان اندلعت نيران الحرب عام (١٩٣٩) حتى تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٠) شغلت منصب ضابط الركن الاول للحركات في مقر المشير اثناء الحملة البولونية والحرب في الجبهة الغربية، وفي نهاية ايلول عام (١٩٤٢) اصبحت رئيس هيئة أركان مقره، حيث بقيت بهذا المنصب حتى اوائل ايلول (سبتمبر) عام (١٩٤٤).

واخيرا شغلت تحت قيادته آمرا لاحدى التشكيلات في الجبهة الغربية، ومن ثم شاركته مصيره اسيرين في انكلترا.

انه رجل لا كالرجال الاخرين.. لم يتظاهر ابدا بالعصمة، ولكنه كان رجلا عظيما يمتاز بالخلق الكريم. ان هذا الكتاب مجمل لتاريخ حياته يصور بايجاز الناحية الانسانية من حياة المشير، بالاضافة الى ماقام يه من اعمال عسكرية خلال الحرب العالمية الثانية على العموم.

يتذكر المشير كل شيء من اعماله الماضية التي تبرىء ساحته وذمته، ولكنه يتغافل عما لحقه شخصيا من ظلم وعدوان.

وهو لايشكو ولا يتهم اي انسان، لانه ينظر الى المستقبل لا الى الماضي، لذلك جاء كتابي مطابقا لرغبته الصريحة ولرغبتي من هذه الناحية، وحسب هذا الكتاب ان ينير طريق السلم للمستقبل.

كونثر بلومنتريت
لواء مشاة

الفصل الاول

عائلته وايامه الاولى

معلومات هذا الفصل، مقتبسه عن الرائد (الرئيس الاول المتقاعد) اودوفون رونشتد شقيق المشير فون رونشتد، البالغ من العمر الان اربعة وسبعين عاما والقاطن في المانيا ضابطا متقاعدا منذ سنين طويلة خلت، فقد اشترك هذا الشقيق مع النجل الاوحد للمشير رونشتد وهو الدكتور المؤرخ المرحوم فون رونشتد المتوفي عام (١٩٤٨) بتأليف مختصر لتاريخ حياة المشير فون رونشتد.

ومن النادر جدا ان يتطرق المشير الى التاريخ القديم لعائلته حتى في دائرة الصفوة المختارة من اصدقائه، اذ من طبيعته النفور من التحدث عن نفسه، والمتصلون به يعرفون انه لايشير الى نفسه الا ناقدا متهكما.

ومن المستحيل في هذا الكتاب، وصف تقاليد عائلته التي تمتد جذورها الى ثمانمائة وخمسين عاما تقريبا. متى واين عاش اول فون رونشتد؟ ماذا حل به؟ كل ذلك لايمكن تقديره اليوم. لقد جاء ذكر عائلة رونشتد لاول مرة في وثيقة خطية وضعها (برينكاز) رئيس تشريفات مطران مقاطعة (هالبرشتات) الكائنة غربي الالب في الحافة الشمالية الشرقية من جبل (هارز) والتي كانت حينذاك جزءا من الدولة الالمانية القديمة، و (برنكاز) هذا ورد ذكره في السجلات الرسمية القديمة لعام (١١٠٩).

لقد شارك فرع من هذه العائلة في توطيد دعائم القومية الالمانية في اقطاعية (براندنبرك) الواقعة في شرقي الالب. وفي عام (١٣٣١) اسس فرع هذه العائلة اقطاعية قرب (ستندال) الواقعة غربي الالب، حيث بقيت تحت حكم هذه العائلة عام (١٩٤٥).

لقد وجد اسم عائلة (رونشتد) الاصلي في مقاطعة (هارز)، وقد استقر اسم هذه العائلة في بقايا القلعة القديمة قرب (هالمشتاد)، حيث يملك الروس نقطة سيطرة هناك في الوقت الحاضر.

ومن المهم ان نتذكر دائما، بان اكثر الذكور من عائلة رونشتد كانوامن رجال الجيش خلال القرون الطوال.

كانت اوروبة في القرون الوسطى وفي اوائل العصر الحديث غربية الى درجة ملحوظة روحيا وفكريا، وعلى الرغم من وجود الحدود السياسية بين حكوماتها، فقد برز اتجاهها الاوروبي الموحد الى العيان بشكل يستحق الاهتمام.

واخيرا عند ظهور الدولة القومية في اوروبة، فان تقاليد التراث الروماني ومخلفات القرون الوسطى ضاعت ثانية، ولم تكن عائلة فون رونشتد لتشذ عن ذلك، بل شاركت مصير كثير من العوائل الالمانية القديمة.

ومنذ عهد التقارب بين الدول الاوروبية على عهد الامبراطور شارل الخامس، نجد ان رجال هذه العائلة من ذلك الوقت يعملون في جيوش الرايخ الالماني وفي السلك الخارجي وفي جيوش اكثر دول غربي اوروبة تقريبا. وكمثال، فقد قاتل المشير هانس فون رونشتد تحت لواء (وليم اورانج) بجانب الهولنديين وضد الاسبانيين، وعندما تكون الجيش البروسي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، كان من الطبيعي ان ينخرط فيه معظم افراد هذه العائلة. كما نجد مرة اخرى العقيد (جواخين فون رونشتد) يلتحق عام (١٧٤٦) بخدمة (الهيسيين) ويذهب الى اسكوتلندا لينضم الى صفوف (آل ستيوارت) الذي كانوا يناضلون للحصول على السيطرة في جيش الحكومة الانكليزية.

كما اشتركت عائلة رونشتد في جميع الحروب البروسية التي خاضها الجيش البروسي عدا حرب الاستقلال التي نشبت خلال (١٨١٣ ـ ١٨١٥).

وفي اوائل القرن التاسع عشر لم يكن في هذه العائلة من الذكور البالغين من يشترك في حروب (١٨١٣ ـ ١٨١٥)، وهكذا نجد احفاد هذه العائلة التي تمتد عروقها الى عام (١١٠٩) غالبا مايتخذون الجندية مهنة لهم في جيوش اوروبة الغربية كافة، وسنرى فيما بعد كيف تمسك المشير فون رونشتد بتقاليد عائلته العسكرية هذه.

ان كل رجل يرث مزاياه عن طفولته، والذي يريد ان يدرس شخصية ما، عليه ان يتحرى ايام طفولتها والبيئة المحيطة بها.

ولد (كريد فون رونشتد) في ١٢ كانون الثاني (ديسمبر) (١٨٧٥) في (اسكيرس ليبن) غرب (كويدلنبرغ)، وكان الولد البكر من بين اربعة اخوة، وكان والده حينذاك (ملازما) في كتيبة الخيالة البروسية الملكية. اما امه (ني فيشر) فهي ابنة عمدة مقاطعة واقعة قرب (ماكدبرك)، وكانت صغيرة السن حين ولدت بكرها فون رونشتد، فاستعانت بمربية انكليزية لمعاونتها في تربيته، فاكتسب فون رونشتد، من مربيته هذه دون ان يشعر تلقائيا معلوماته في اللغة الانكليزية، كما اقتبس منها كثير من عادات الانكليز.

ان عائلة (فيشر) التي انحدرت من اصلابها والدة فون رونشتد، هي من (الهيكنوت) الذين فروا من فرنسا الى المانيا من جراء الاضطهاد الديني.

لقد ورث رونشتد عن والدته اكثر مزاياه، كما يرث اكثر الاطفال مزايا امهاتهم في الغالب، ومن تلك المزايا الجرأة الصادقة المتحدرة من دماء الهيكونوت اجداد والدته.

كتب عنه شقيقه مايلي: «ورث الذكاء عن امه وروح الجندية عن ابيه، وكما هو مألوف في العناية بتربية البكر، فقد غرست في تربيته الاولى مايمكن غرسه من الالمعية والعبقرية، وهكذا بلغ شاوا عاليا في الرسم والموسيقى، اما قابليته في المحاكاة فقد برزت في محاكاته كلام الاخرين.

ولقد احتفظ بألمعيته المنطقية المبتكرة حتى اواخر حياته، وعندما يكون على خير حال منطلقا على سجيته بين المخلصين من احبابه الذين الف مخالطتهم، فانه لايقتصر على محاكاة لهجات اللغة الالمانية الدارجة فحسب، بل يحاكي لهجات الشعوب الاخرى كافة،

وكانت محاكاته مبتكرة حقا، فلا الالمان انفسهم ولا الاجانب من غير قومه، يستطيعون السيطرة على ابتساماتهم وضحكهم عندما يريد رونشتد ان يثير فيهم الابتسام والضحك بأسلوبه المنطقي المتحدر الخاص.

«ورونشتد نفسه نادرا مايضحك، ولكنه سريع البديهة في ارسال النكات الرائعة، وحتى عندما كان في الكلية العسكرية ـ كما يقول شقيقه ـ كان يحاكي رؤساءه في تصرفاتهم وحركاتهم، واخيرا مارس قابليته هذه على حساب تصرفات وحركات هندنبرغ وهتلر.

«وعندما نقل والد المشير فون رونشتد الى كتيبة الخيالة الثالثة عشرة في مدينة (مينز)، التحق بالمدرسة الاعدادية في تلك المدينة، وبعد تخرجه فيها التحق بالجامعة.

«وفي المسبح العسكري على نهر (الراين) قرب (مينز) حيث كان فيها يومذاك ولي العهد الامير (فردريك) الذي اصبح بعد وقت قليل الامبراطور فردريك صهر الملكة فكتوريا والذي كان في (مينز) لاغراض تفتيش القطاعات العسكرية هناك، فأخذ يتهارش معنا نحن الصغار في العوم دون ان نعرف هويةزميلنا في اللعب الذي كان اكبر سنا منا حينذاك.

«وفي ذلك الوقت كان هناك جسر (بونتون) فقط على نهر الراين ينبغي رفعه بين حين واخر لتستطيع البواخر والارماث العبور، وقد اثار ذلك في نفسي ونفس شقيقي خيالا عن مستقبلنا.

«تصور شقيقي انه (مشير في الجيش) يقود جيشا مفروضا يتقدم من الشمال، وتصورت نفسي (شقيق رونشتد) (اميرالا) في البحرية يقود الاسطول، وعلى ضفة النهر كان شقيقنا الثالث (ايبرهارد) يمثل بقبعته الواسعة شحاذا.

«اشترى السيد (هاربنكتون) ملكا قرب (مينز) وكان والده (دوكلاس) زميل الدراسة لفون رونشتد، فأصبحا صديقين، لان بامكانهما تكلم اللغة الانكليزية سوية.

«وفي يوم من الايام اراد (دوكلاس) ان يشاكس زميلا في المدرسة لايحب معاشرته، فقرر ان يقصف مائدة يوم عيد ميلاد عدوه بلعبة على شكل مدفع، فدعاني (دوكلاس) وشقيق (فون رونشتد) للاشتراك بهذا القصف، ولكن عاصفة هوجاء مفاجئة اكتسحت حفلة عيد الميلاد واضطرت المدعوين الى الالتجاء الى داخل الدار، وهكذا اخفقت محاولتنا.

«وقد اراد بعض الاطفال الصغار الافادة من البارود الذي كان معنا لينسفوا به جسرا صغيرا فوق احد روافد (الراين)... الا ان هذه الخطة اخفقت ايضا، لغرق القارب الذي قرر المتآمرون الافادة منه لاجراء هذا النسف».

هذه الذكريات عن السنين الاولى من حياة رونشتد، تدل على طفولة متحررة من القيود، تلك الطفولة التي قرر خلالها رونشتد ان يكون جنديا، خضوعا للتقاليد القديمة التي استقرت كمثل اعلى في عقله.

ومن (ميتز) نقل والد المشير الى (فرانكفورت) مساعدا[1] لفرقة المشاة الثانية والعشرين التي كان مقرها عام (١٨٨٦) في معسكر المدينة. وفي عام (١٨٨٨) التحق فون رونشتد واخوه الى مدرسة التلاميذ العسكريين المستجدين[2] في (اورانين شتاين)، وهناك تحمل الطفل الذي لم يبلغ الثالثة عشرة من عمره تدريبا عسكريا شاقا كان يطبقه حينذاك الجيش البروسي القديم على تلامذة المدرسة العسكرية، وفي هذا المحيط شعر رونشتد الصغير اول الامر بحنين شديد الى اهله.

ولم يكن مألوفا للاشقاء في ذلك الوقت وفي هذه المدرسة الاسبارطية بالذات، ان يخاطبوا بعضهم بأسمائهم الشخصية، بل كان المألوف ان يتخاطبوا بأسماء عوائلهم، ولكن الشقيقين من آل رونشتد لم يتقيدا بذلك، وبقيا يتخاطبان بأسميهما الشخصيين.

وفي عام (١٨٨٩) جرى تمثيل رواية (كليشت) المسماة (الهيرمان شلاخت) على مسرح المدرسة العسكرية، وكان فون رونشتد يقوم بدور المشير الروماني (فاروس)، وفي اثناء مبارزته ضد ممثل دور الامير الالماني الذي كان متشحا بسيف ياباني حقيقي من نوع (ساموراي) جهزه به والده، هوى بهذا السيف على الخوذة الورقية التي كان يرتديها فون رونشتد، فأحدثت هذه الضربة جرحابليغا في رأسه.

وفي عام (١٨٩٠) نقل فون رونشتد الى الكلية العسكرية للتلاميذ الاقدمين في (ليخترفيلد) حيث مارس تدريبا اشد عنفا هناك. وقد ساهم مع تلاميذها في مراسيم تبديل الحرس. وعندما دعا القيصر القوات الاحتياطية للخدمة، اشترك التلاميذ في التدريب الاجمالي (المناورات) مع تلك القوات، وعندما توفي الطاعن في السن المشير فون (مولتكه) عام (١٨٩١)، انتظمت تلامذة الكلية العسكرية على جانبي الطريق حيث مر النعش من بينهم، وكانوا قد اجروا قبل ذلك عام (١٨٩٠) استعراضا امام بناية هيئة الاركان العامة بمناسبة عيد ميلاد (مولكته) التسعين. كان رونشتد في طفولته كأي طفل اخر، وحقيقة طوفلته يوضحها شقيقه الذي كان معه في الكلية العسكرية اذ يقول:

«كانت المراقبة غير كافية في الكلية، وكانت متطلبات النظام قاصرة تماما بالنسبة لبعض المعلمين، وكان رونشتد يشارك الاخرين في الاعيبهم في الصف.

«وفي يوم من الايام كان احد المعلمين يتلكأ على باب الصف، فناداه رونشتد باسمه قائلا له: والان ستدخل الصف ام ستذهب عنا؟... فسجل المعلم وهو الدكتور (رايخ) اسم رونشتد في سجل المذنبين عقابا له، وكتب ازاء اسمه الملحوظة التالية: «رونشتد وقح وعنيف»...

---

(١) يطلق على منصب المساعد في الجمهورية العربية المتحدة اسم: اركان الحرب.

(٢) المستجد: هو المدني الذي دخل العسكرية حديثا، ويطلق هذا المصطلح العسكري على تلامذة الكلية العسكرية الاحداث، وعلى الجنود الذين انخرطوا في سلك الجندية حديثا. (المعرب)

«ولما عرض هذا السجل على المراقب العسكري الذي كان برتبة نقيب، اعتبر هذه الملحوظة ثناء على رونشتد فمنحه اجازة خاصة يقضيها في برلين.

«تبدأ العطلة الاسبوعية عادة بعد الصلاة في الكنيسة يوم الاحد، وفي احدى هذه العطل، حاول التمتع بالاجازة مبكرا، فزعم انه يريد مرافقة جدته المسنة في ركوب الخيل في الغابات، ولو ان جدته في الواقع كانت مريضة في المستشفى.

لقد انتشرت جيدا امثال هذه النكات عن رونشتد بين اصحابه.

اجتاز رونشتد عام (١٨٩٢) الامتحان الذي يؤهله لنيل رتبة نائب ضابط حربي مشاة، وفي تلك الايام كان امر اختيار اي صنف من صنوف الخدمة الثلاثة: المشاة والخيالة والمدفعية، متروكا لرغبة الضباط الاحداث الطموحين من خريجي الكلية العسكرية.

كانت رغبة رونشتد في الالتحاق بصنف الخيالة، فأبوه ضابط خيال في فرقة (الهوسار)، كما ان مزاياه تنطوي على سرعة الخاطر، والحزم والمقدرة على الانتقال من واجب الى اخر بكفاية وسرعة، كل ذلك يؤهله للانتساب الى صنف الخيالة، غير ان الموارد المالية المحدودة لعائلة والده المؤلفة من اربعة ابناء لاتفي بمطالب هذا الصنف الذي يحتاج الى نفقات باهظة، لذلك اتجه رونشتد الى صنف المدفعية، فلم تتحقق رغبته بالانتساب الى هذا الصنف ايضا، لكثر طلبات الضباط الاحداث ولشدة رغبتهم في صنف المدفعية حينذاك.

وفي سن السادسة عشرة التحق النائب الضابط الحربي فون رونشتد بالمشاة في الكتيبة الثالثة والثمانين الملكية البروسية في مدينة (كاسل) حيث قضى خدمته فيها لمدة ستة اشهر كأي ضابط صف او جندي بالضبط، وفقا للتقاليد الالمانية، وذلك ليكون متفهما وثيق الصلة بحياة الجندي الذي يتولى قيادته! وفي سنة (١٨٩٢) التحق بالكلية العسكرية في (هانوفر) حيث اجتاز الامتحان الذي يؤهله لنيل رتبة ضابط، فأصبح برتبة ملازم ثان في حزيران (جون) سنة (١٨٩٣).

سنعالج سني حياته من (١٨٩٣ ـ ١٩١٤) بأيجاز: اتاحت حامية كاسل بموجودها الكبير وصنوفها المتعددة لرونشتد فرصة نادرة للاطلاع على تنظيم واسلوب الخدمة في الجيش وعلى اعماله الشاقة الرتيبة، وبعد بضع سنوات نقل الملازم الثاني فون رونشتد الى مدينة (ارولسن) لكي يشغل منصب مساعد في كتيبة المشاة الثالثة والثمانين التي كانت هناك.

كانت (ارولسن) عاصمة امارة (ولديك) وهي من الامارات التي تولت الحكومة البروسية تنظيم الاعمال فيها وادارتها، فلم يبق بعد ذلك لاميرها الشاب مايعمله، فأصبح بلاطه رمزيا او صورة مصغرة للبلاطات الحقيقية، لهذا السبب وجد هذا الامير متسعا من الوقت ينفق اكثره ضيفا على مطعم الضباط حيث كانت له علاقات وطيدة طيبة بالملازم الثاني فون رونشتد.

اما طراز الحياة في هذه المدينة ومدى تشابه النظام فيها بالنظام القبلي، فيمكن ادراكه اذا علمنا ان مواطنيها الطيبين كانوا حينذاك يتطوعون لحمل ملازمي الحامية في الايام المطيرة

ذات الاجواء الرديئة على ظهورهم حفظا لاحذيتهم الجلدية الطويلة اللماعة من البلل، ولتبقى نظيفة صالحة لحفلات الرقص في بلاط الامير. . . ، ولقد حدث في مناسبة من هذه المناسبات ان سقط فون رونشتد سقطة منكرة من فوق ظهر الرجل الذي يحمله، فتلوثت ملابسه وحذاؤه بالوحل، فأمن له الامير مايزيل عنه الوحل ويعيد اليه نظافته، واستعان لهذا الغرض بمناديل المائدة وبالثلج الذي استخرج من اوعية الشمبانيا.

ولم يكن في هذه السنوات في (ارولسن) سيارات حتى ولا عربات تجرها الخيول.

وفي احدى هذه الحفلات التقى فون رونشتد بالاميرة الشابة (وهلمينا) التي كانت تقيم في بلاط الامير والتي اصبحت فيما بعد ملكة (هولندا)، فأعجب بها اعجابا شديدا.

تزوج رونشتد بعد عودته الى (كاسل) سنة (١٩٠٢) من (لويز فون كوتز) ابنة نقيب متقاعد يسكن هناك، وفي سنة (١٩٠٣) رزق طفلا شب ليكون بعد ذلك مؤرخا لا ضابطا خلافا لتقاليد عائلته كافة، اذ انه بعد ان دخل مختلف الجامعات واجتاز امتحانات الدولة وحصل على لقب (دكتور) انهمك في عمله باحثا ومؤرخا الى ان اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية، وقد رافق اباه منذ سنة (١٩٤٣) في ميادين القتال، وكان معه في سجنه بانكلترا، ثم توفي سنة (١٩٤٨) في (هانوفر).

لقد سمحت السلطات البريطانية بتأييد من مونتكومري ـ بأجازة لرونشتد للطيران من انكلترا الى المانيا في عيد ميلاد سنة (١٩٤٧) لرؤية ولده الذي توفي بعد ذلك بقليل.

وفي سنة (١٩٠٣) عندما كان رونشتد يشغل منصب مساعد كتيبة المشاة الثالثة والثمانين اجتاز الامتحان الذي يؤهله لدخول دورة مدتها ثلاث سنوات في كلية الاركان ببرلين، وفي هذه الدورة كان الدرس المفضل لديه هو درس التعبية.

وبعد انتهاء مدة الدورة عين فون رونشتد في (هيئة الركن العامة الكبرى) كما كانت تدعى حينذاك، وبعد قضاء مدة تجربته وهي سنة ونصف السنة، نقل الى هيئة الركن العامة برتبة نقيب، وطبقا للانظمة السائدة في الجيش كان عليه ان يعود الى الوحدات، وقد عاد اليها وشغل منصب آمر سرية في كتيبة المشاة الـ (١٧١) في مدينة (كولمار) بالزاس.

وقد استمرت خدمته بعد ذلك وفقا لاسس الجيش الموضوعة بدقة والتي طبقها الجيش الالماني منذ سنة (١٨٧١) حتى سنة (١٩١٤).



رونشتد في المدرسة العسكرية للمستجدين

الفصل الثاني

نهاية الجيش القديم

لاشك في ان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) مادة بحث على جانب عظيم من المتعة للمؤرخ ولرجل الحرب الممتهن، اما القارىء الاعتيادي فلا يستمتع بها في الوقت الحاضر الا قليلا، لهذا السبب سنقتصر هنا على ايراد الحقائق الرئيسة التي تتعلق باعمال فون رونشتد خلال هذه الحرب.

كان فون رونشتد برتبة نقيب عند اندلاع الحرب العالمية الاولى، منتسبا الى هيئة ركن الفرقة الاحتياطية الثانية والعشرين، التي كانت تعمل في الجبهة الغربية، وكان منصبه هذا يعادل منصب (ضابط الركن الاول ـ قسم الحركات) في الجيش البريطاني، وقد لعبت هذه الفرقة دورا هاما في معركة (المارن)، وذلك بقضائها على محاولة قام بها الجيش الفرنسي من باريس لتطويق الجناح الايمن للجيش الالماني، وكانت هذه الفرقة هي التي استطاعت في ايلول (سبتمبر) ١٩١٤ ان تكون على اقرب مسافة من العاصمة الفرنسية، بحيث كانت تستطيع مشاهدة برج (ايفل) من بعيد.

كان رونشتد خلال تلك الايام المليئة بالحركات الفعالة، المحور المحرك لهذه الفرقة حسب المعلومات التي ادلى بها شهود العيان كافة، كما كان مصدر الهدوء والاتقان في قيادتها، وهذه امور لايمكن تقويمها بثمن، على الاخص بعد ان اصيب قائد الفرقة بجراح خطيرة.

وعندما بدأت حرب الخنادق في الغرب عين رونشتد في الحكومة العامة في (انتويرب)، وفي ربيع سنة (١٩١٥) جرى تعيينه مرة اخرى بمنصب ضابط ركن لفرقة اشتركت بعد ذلك في الجبهة الشرقية بالهجوم على (نيرو)، وبانتهاء الحركات هناك ارسل فون رونشتد الى الحكومة البولندية العامة في (وارشو) التي كان الحاكم العام فيها حينذاك اللواء (فون بسلر) وفي سنة (١٩١٦) تخلى عن منصبه في الجبهة الشرقية وعين رئيسا لهيئة ركن فيلق في (الكربات) في هنغاريا.

وكان القائد الذي يتولى قيادة الفيلق المذكور حينذاك غير محبوب، فعندما قدم رونشتد نفسه لاول مرة لهيئة الركن شعر ببرود من جانب ضباط الركن الاخرين. وفي احدى الاماسي قال له احد الملازمين المرحين: «حقا ايها الرائد! انك طيب تماما». فأجابه رونشتد قائلا: «ولم؟ هل فكرت انني خلاف ذلك؟»، فاستطرد الملازم مجيبا: «حسنا! لقد اسرف القائد في اطرائك، وكنا نخشى ان من يحظي بمثل هذا المديح منه، لابد وان يكون مثله صعب المراس فظا».

وفي منصبه هذا تسنى له معرفة الجيش القديم للنمسا والمجر على حقيقته، كما برزت خلال ذلك موهبة رونشتد العظيمة التي يفتقر اليها الالمان الاخرون، تلك الموهبة هي تجاوبه الروحي مع مرؤوسيه وحكمته في قيادته القطعات التي تعمل بأمرته، وسأشير الى هذه الموهبة مرارا عندما سأتطرق بالبحث الى الحرب العالمية الثانية.

وفي خريف سنة (١٩١٧) عين رئيسا لهيئة ركن الفيلق الثالث والخمسين في الجبهة الشرقية، وكان هذا الفيلق في ذلك الوقت قد احرز نجاحا في التقدم حتى بحيرة (بيبس).

وفي المدة الباقية من الحرب شغل الرائد الركن رونشتد منصب رئيس هيئة ركن الفيلق الخامس عشر في الجبهة الغربية، وبقي في هذا المنصب حتى نهاية الحرب.

ولرونشتد وجهات نظر شخصية قيمة حول ادارة الحرب الالمانية في الحرب العالمية الاولى: منها انه اعتبر ان خسارة المانيا لمعركة المارن في سنة (١٩١٤) كانت نتيجة لتخفيف الجناح الايمن للجيش الالماني خلافا لخطة (شليفن) التعرضية الاولى، كما ان هيئة ركن القيادة للجيش لم تقم بواجباتها في قيادته بحزم نظرا لان مقرها كان بعيدا في الخلف، كما ان القيادة العنيدة لجيش الجناح الايمن (فون كلوكه) سببت جعل هذا الجناح برمته في موقف حرج يصعب انقاذه منه.

وضعت معاهدة (فرسايل) في سنة (١٩١٩) نهاية لتقاليد الجيش الجرماني البروسي العريقة، وكانت هذه التقاليد قد بنيت على الخدمة العسكرية العامة ومرتبطة بقسم ولاء لارض الاباء والملكية المطلقة. انه كان جيشا ملكيا ثم جيشا امبراطوريا بعد ذلك، مما ادى الى اتصال طبيعي بين الضباط وشخص العاهل الحاكم. ومن سنة (١٨٧١) الى سنة (١٩١٤) عاشت المانيا وجيشها في سلم امده ثلاث واربعون سنة.

لقد كان واضحا ان ضباط هذا الجيش كانوا قد انصهروا في بوتقة واحدة ضمن نسيج الجيش الداخلي، وجرى تدريبهم على افكار منسجمة. لقد كان لذلك بطبيعة الحال محاذير، ولكن كان له ايضا مزايا عظيمة.

تمتد جذور هذه الوحدة في الافكار الى تقاليد اعرق في القدم كثيرا من عام (١٨٧٠ ـ ١٨٧١)، فان بروسيا وبافاريا وروتنبرغ وسكسونيا وبادن وهيس، كلها كانت دويلات المانية مستقلة ذوات سيادة وحكم ملكي قبل سنة (١٨٧٠). وكانت جيوشها تدرب وفقا لتقاليدها الخاصة واتجاهاتها الفكرية، وبأمعان النظر في تطور المانيا التاريخي والسياسي نرى ان بروسيا اخذت تتعاظم تدريجيا، ولكن الروح والمميزات الخاصة بالدويلات الالمانية التي كانت سائدة في سنة (١٨٧١) بقيت حتى سنة (١٩١٤) واضحة ومحافظا عليها، وكان الجيش الالماني من سنة (١٨٧١) حتى سنة (١٩١٤) المرآة العاكسة للنظام الالماني الامبراطوري البسماركي.

وكانت المانيا وجيشها دعاة وحدة (فدرالية) تجمع الدويلات الالمانية في وحدة مشتركة مع احتفاظ هذه الدويلات الاعضاء بمميزاتها، ولكن في الواقع كانت دولة مؤلفة من عدة دويلات لضم شمل وجمع القوى لتنفيذ المخططات المرسومة.

وكانت هذه الدويلات المختلفة وعلى الاخص بافاريا كثير من الحقوق الخاصة والصلاحيات المستقلة المتوغلة في الشؤون الادارية، وفضلا عن ذلك فان الجيش البافاري الملكي لم يضو الى قيادة القيصر الا في التعبئة العامة، اذ بقي جيشا منفصلا ضمن اطار الجيوش الموحدة. وعلى كل حال مهما اختلفت التقاليد بين جيوش المانيا، فقد كانت هناك بين ضباط الجيوش المختلفة انسجام في النزعة الملكية والمخططات العامة، وكانت هذه التقاليد الخاصة بالجيوش الالمانية المختلفة قديمة قدم تقاليد الجيوش الاوروبية الاخرى، اما مصدرها فكان القرن السابع عشر عندما كانت فرنسا النموذج الذي تحتذيه الشعوب الاخرى كافة. لقد كان الجيش الفرنسي بقيادة لويس الرابع عشر مثلا تجاريه الدول الالمانية، فالمصطلحات الفنية العسكرية اشتقت عن الفرنسية على نطاق واسع. ان من المهم ابراز هذه الحقائق، لان رونشتد انحدر من اسرة نبتت قرونا عديدة في تربة مشبعة بالمثل التي تمت بصلة الى الحكم الملكي المطلق، لذلك كان من الطبيعي ان يعارض رونشتد الاشتراكية الوطنية (النازية) باعتبار ان ذلك عالم بعيد عنه بعدا عظيما.

لقد وضعت معاهدة (فرسايل) سنة ١٩١٩ نهاية للرايخ الالماني القديم، فكان على الملك ان يعتزل وان يطوح بعرشه، كما كان على المانيا بعد حقبة طويلة من تاريخها الملكي ان تختار لنفسها النظام الجمهوري، وبنتيجة ذلك فان الاسس التي كان الجيش يرتكز عليها زلزلت تحت اقدامه الى حد بعيد واخذت بالزوال، فآثر الكثيرون من الضباط التقاعد بعد ان عصفت الايام بما اتخذوه لهم مثلا وشعارا، لذا لم تخلق (فرسايل) الجمهورية الحديثة فحسب، بل خلقت القوات المسلحة الالمانية الحديثة ايضا.

لقد اعطي شعب يسكن قلب اوروبا ويتألف من (٦٨) مليونا الحق في الاحتفاظ بجيش قوامه حوالي اربعة الاف ضابط وستةوتسعين الفا من ضباط الصف والجنود فقط. ناهيك حرمانه من الاسلحة كافة حتى المدفعية الثقيلة. كما ان وجود ثماني عشرة كتيبة خيالة في ملاكه قلل من قيمته الحربية، لان هذا الصنف في سنة (١٩١٩) فقد الكثير من اهميته: للتطورات الفنية العسكرية الحديثة التي ازدهرت حينذاك، ولعل خلق وحدات غير متكاملة كان اقل سوءابالنسبة لهذا الجيش الالماني منذ مايزيد على المائة عام. وضعت (فرسايل) اسس جيش ممتهن كان على الضابط الذي يخدم فيه ان يتعهد بالخدمة لمدة (٢٥) سنة، وكان على ضابط الصف والجندي ان يتعهدا بالخدمة لمدة اثنتي عشرة سنة. وكان هذا النظام غريبا عن الالمان، لذلك احتاج هذا الجيش الصغير الى بضع سنوات كي يراه الالمان شيئا.

لقد اختلفت الدوائر الالمانية في تفسير كنه هذا الجيش، فالتي كانت في اقصى اليمين زعمت انه جيش احمر، والتي كانت في اقصى اليسار زعمت انه جيش الف ليكون اداة مناوئة للحركات الشعبية.

لذلك لم تكن الامور ممهدة للقوات المسلحة الالمانية في سنيها الاولى، لكن القائد المبرز (زين هارت) من (ورتنبرغ) كان ذا الفضل في تمهيد الطريق امام هذا الجيش خلال

السنوات الحرجة التي اعقبت الحرب، غير ان (فون سيكت) يستحق من الاطراء مايفوق ذلك، اذ افلح في تقوية هذه القوة المتواضعة للجمهورية الحديثة بصمت، فقد قام بتدريبه تدريبا يمكن اعتباره نموذجيا بالنسبة لزمانه. ان التوتر الداخلي الذي ساد المانيا بعد سنة (١٩١٩) وتطاحن الاحزاب وتضارب الاراء، كل اولئك دفع فون (سيكت) الى ابعاد الجيش الالماني عن معترك السياسة، فلم يقحمه تيارا سياسيا ما استطاع الى ذلك سبيلا.

وكان الضباط الالمان يمتازون بانهم غير سياسيين، فقد لقنوا بحذق طوال اجيال عديدة ومنذو نعومة اظفارهم الابتعاد عن شتى الاتجاهات السياسية، وهذا هو السبب الرئيسي لبقائهم غير مؤثرين في كل مانبت في المانيا من اتجاهات سياسية جديدة.

لقد نددوا بالجيش القديم في مناسبات كثيرة بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها، لانه لم يؤثر في الاتجاهات السياسية، واخيرا اصبح لزاما على الضابط ان يكترث بالحياة السياسية لبلاده باعتباره مواطنا ومرشدا وقائدا للجنود الشباب، فاقتضى الامر قيام الحكومة بالاشراف العام على تعليم هؤلاء الضباط الذين هم اداتها ايضا التفكير السياسي دون ان يؤدي ذلك الى انهماك في العمل الايجابي في الاحزاب خارج الخدمة، لان انهماكهم في الاعمال الايجابية للاحزاب يؤدي الى نتائج وخيمة، اذ يصبح الجيش ممزقا بالاتجاهات السياسية، ولن يكون ذلك جهازا فعالا يمكن الدولة من الاعتماد عليه بل سيكون جهازا ضعيفا مفككا.



رونشتد وزوجته

كان رونشتد موغلا في تلك الافكار القديمة التي هجرت وعفى عليها الزمن، لذلك كان بفطرته على طرفي نقيض مع كل شيء (سياسي). اما (سيكت) فقد انطلق حينذاك لابعاد الجيش عن السياسة، وعمل جاهدا ان يجعل القوات المسلحة الالمانية فوق الاحزاب، ولكن من الضروري في الجمهورية وجود بضعة افراد في القمة تكون معنية بالقضايا السياسية، اذ لا مناص من ان تكون هناك حلقة ارتباط بين الجيش الصغير وحكومة الرايخ وبرلمانها، فأدى ذلك الى وجود بضعة ضباط في وزارة القوات المسلحة الالمانية، كان عليهم ان يشغلوا انفسهم بالسياسة والاحزاب ولكنهم كانوا افرادا يعدون على الاصابع.

وقد ظل الجيش وضباطه على العموم بعيدين عن السياسة حتى خلال حياة الجمهورية الممتدة من سنة (١٩١٩) الى سنة (١٩٣٣).

هذه الطريقة لم تكن رديئة لانها امنت للجمهورية جيشا يمكن التعويل عليه، ومن سنة (١٩١٩) حتى سنة (١٩٣٣) كانت القوات المسلحة الالمانية في اغلب الاحيان هي القوة الساندة الوحيدة لحكومة الرايخ، وبقي الضباط ذوو النزعات القديمة والذهنية المشبعة بافكار الحكم الفردي المطلق موالين للمجهورية خلال تلك المدة وبرهنوا على ذلك اكثر من مرة عندما حدثت بعض الاختلافات الداخلية.

لم يحتفظ رونشتد مطلقا بمنصب يزج به في الشؤون السياسية لمدة طويلة، فمن سنة (١٩١٩) حتى سنة (١٩٣٣) شغل مناصب عسكرية محضة سواء كان ذلك في هيئة الاركان العامة او في الوحدات.

لن يكون قارىء هذا الكتاب مكترثا بالسرد الطويل لاعمال رونشتد خلال هذه المدة فقد اردت ان اوضح بكل بساطة خلق رونشتد واتجاهه الفكري العام لا ان اصنف ثبتا مشحونا بتواريخ الحوادث؟

ويكفي ان تعلم انه بين سنة (١٩١٩ - ١٩٣٣) شغل تقريبا مناصب هيئة الركن العامة كافة الموجودة حينذاك، وعلى الاكثر مناصب رئاسة هيئات الركن. مثال ذلك فرقة الخيالة الثالثة في المنطقة العسكرية الثانية (فرقة المشاة الثانية) والفيلق الثاني، كما شغل مناصب قيادة الوحدات الفعالة (آمر وحدة) فكان آمرا لكتيبة المشاة الثامنة عشرة التي كانت من قطعات فرقة الخيالة الثانية حينذاك. ثم قائدا لفرقة الخيالة الثانية، وكانت هذه الفرقة في المنطقة العسكرية الثالثة (فرقة المشاة الثالثة) في عاصمة الرايخ برلين.

وبعد ذلك اي في زمان هتلر، اصبح قائدا للفيلق الاول في برلين، وهو الفيلق المؤلف من فرقة المشاة الرابعة وفرقة الخيالة الثانية.

وفي سنة (١٩٣٢) اعلنت حكومة فون (باين) وفون (شخلر) حالة الطوارىء، فاضطر رونشتد مكرها حينذاك الى التدخل في الشؤون الادارية لبضعة ايام بسبب المنصب الذي كان يشغله في برلين حينذاك، وقد اقدم على انجاز واجبه وسيطر على الموقف بحكمة ودراية في مجال غريب عنه.

واكبت هذه الحقبة من سنة (١٩١٩) الى سنة (١٩٣٣) الحركة الجديدة التي بدأت في النمو، الا وهي اشتراكية هتلر الوطنية (النازي)..

وحري بنا ان نثير الانتباه الى حقيقة: هي ان رونشتد لم يكن قد انسجم راضيا في خدمة هذه القوات الالمانية المسلحة التي تختلف اختلافا كليا عن تنظيم الجيش القديم فحسب، بل كان له ميل خاص نحو هذا الجيش المتواضع في عدده وعدده حينذاك. لقد كان هذا الجيش مؤلفا من وحدات مبتورة، غير انها كانت تمتاز بتطوع افرادها لمدة طويلة ووقف حياتهم للخدمة العسكرية، ولم يكد يتم تشكيل الجيش حتى تماسك، كما ساد الانسجام التام بين ضباطه القليلين الذين تم انتقاؤهم من خيرة العناصر سنة (١٩١٨)، كما كان يسود وحدات الجيش المعنويات العالية التي تمتاز بها احدث القطعات العسكرية واحسنها تدريبا. وهكذا تحقق لرونشتد ماينسجم وعقيدته الراسخة من بقائه جنديا محضا تاركا السياسة لاهلها.

الفصل الثالث

في الجيش الجديد

من المهم قبل ان نعالج بالبحث الجيش الجديد المزمع انشاؤه، ان نمعن النظر في بعض المشاكل التي ظهرت نتيجة لتطور الاشتراكية الوطنية ومجيء هتلر الى الحكم.

كان هتلر نفسه كاثوليكيا من النمسا، قصير القامة، غير معروف، وقد قدم لاول مرة من (فينا) الى (ميونيخ) عام (١٩١٢) دون ان يثير قدومه اليها اي انتباه، وقد عاش هناك عيشة متواضعة. ولما نشبت الحرب العالمية الاولى سنة (١٩١٤)، تطوع هتلر النمسوي في جيش بافاريا الملكي (الالماني) لا في جيش النمسا والمجر الامبراطوري القديم، فالتحق بكتيبة الاحتياط المشاة التاسعة عشرة البافارية، وخدم طيلة الحرب جنديا في الخطوط الامامية. وكان ـ كما تحدث بعض رفقائه القدامى ـ جنديا بسيطا يتحلى بالشجاعة ويتطوع في كل دورية، وكان يهوى الجندية على الرغم من ان مهنته السابقة كانت معمارية فنية، ومن الغريب على كل حال اخفاقه في الوصول الى رتبة ضابط صف خلال اربع سني الحرب برغم شجاعته الشخصية. واخيرا عين برتبة جندي اول على ملاك هيئة مقر الكتيبة الاحتياطية السادسة عشرة، غير انه لم يمنح قط رتبة ضابط صف، الا انه كوفيء بوسام الصليب الحديدي من الصنف الاول والثاني وشريط الاصابة بالجروح. انه من الممتع ان نعلم ان رفقاءه في السلاح الذين عايشوه في الملاجيء والخنادق يذكرون قصصا ممتعة عن تلبسه بشيطان السياسة في كثير من الاحيان، وطالما سخر منه رفقاؤه البافاريون الاقحاح، لانهم كانوا غير قادرين على تفهم اي شيء من افكاره السياسية المضطربة في نظرهم، اذ لم يكونوا من هواة الاحاديث السياسية، ولربما نتج عن تحدثه بالسياسة امتناع آمره عن ترقيته الى رتبة ضابط صف مع ان آمره يقدر غاية التقدير شجاعته عند مواجهة الاخطار.

ونستمع عنه ثانية في سنتي (١٩١٨ ـ ١٩١٩) في (ميونيخ) جنديا مسرحا من الجيش بلا منصب وغير معروف في زمن حكم دكتاتورية (ايسنر) الشيوعية، التي حكمت بالقوة مدة قليلة وسارت على النهج البلشفي، وهنا كانت نقطة الانطلاق لهتلر في سيره نحو السياسة، حيث ارتمى في احضانها من ذلك التاريخ بكل جوارحه معارضا الشيوعية، والبلشفية بعاطفته وقلبه.

وليس من اغراض هذا الكتاب التطرق الى وصف تطور الاشتراكية الوطنية (النازية)، غير انه من الضروري الاشارة باجياز الى كنه الدوافع التي سادت المانيا والتي كان على رونشتد ورفقائه الكثيرين ان يواجهوا مصاعبها.

افلح هتلر في ايجاد حزب سياسي صغير في (ميونيخ)، تصدى لتحمل واجب مزج القومية بالاشتراكية، وذلك بالقضاء على بعض الامتيازات الاجتماعية التي يتمتع بها مؤيدو القومية ومحاولة كسب الطبقة العاملة وجعلها بجانب الدولة. ولقد كان في الظروف السائدة حينذاك العوامل اللازمة لنجاح هذه المبادىء، فقد عاش الالمان برغبتهم واختيارهم في عالم من نسيج الخيال، منغمسين في اوهام دعاية الحكم الامبراطوري المطلق السابق دون ان يكون لهم المام بالاسس السياسية الصحيحة. وبعد ان خسرت المانيا الحرب، وجدت نفسها مضطرة الى استبدال الحكم المطلق الفردي الذي توارثته اجيالا طويلة بحكم جمهوري ديمقراطي غامض المفهوم بالنسبة اليهم حينذاك. ولانقسام الرايخ الى احزاب عديدة متطاحنة، ولوجود هذه العوامل الداخلية والخارجية، بالاضافة الى اشتداد وطأة الازمة الصناعية يوما بعد يوم، وظهور مشكلة التضخم النقدي وما اصاب المانيا من انهيار اقتصادي خلال سنة (١٩١٩ - ١٩٢٣)، كل ذلك سبب حدوث انتفاضات في ارجاء المانيا كافة تقريبا تطل بوجهها الدميم مصحوبة بأزيز المدافع الرشاشة تغذيها العناصر الراديكالية.

اضف الى ماتقدم الى ان الشعب خدع بمعاهدة (فرسايل) عام (١٩١٩)، لانه كان قد وعد سابقا بقدر محدود من الحرية بشروط معينة استنادا الى نقاط الرئيس الامريكي (ولسن) الاربعة عشر الشهيرة، وقد انطلقت دعاية حكومة الرايخ لتوطيد ثقة الالمان بالحرية الموعودة، ولكن تبين فجأة بان (ولسن) لم يكن ناجحا في وضع نياته موضع التنفيذ في معاهدة (فرسايل)؛ ونتيجة لذلك تبدت مرارة الخيبة الشديدة من معاهدة (فرسايل) في كثير من الدوائر، ومن المعروف حق المعرفة ان رئيس الرايخ الشريف المنصف قد اصيب شخصيا حينذاك بخيبة امل عظيمة، وهكذا اصبح من العسير على الجمهورية الجديدة ان تواجه هذا الموقف مواجهة قوية، فكان ذلك سببا في جذب الملايين من الشيوعيين في المانيا ومن غيرهم من الوطنيين حينذاك الى الراديكالية، ولكن تصرف كل منهم وفقا لطريقته الخاصة.

كان هتلر وسط تيارات الافكار الاجتماعية الجديدة هذه، يعمل جاهدا للامساك بنقاط ارتكاز جديدة داخل حزبه من سنة الى اخرى، وعلى الرغم من بعض الانتكاسات في بعض الانتخابات، فانه يمكن القول بصورة عامة: انه تقدم من نجاح الى اخر باستمرار؛ وبادىء بدء انتشرت الاشتراكية الوطنية في (ميونيخ) ولم تلبث بعد ذلك ان امتدت شمالا فسيطرت على (نورمبرغ) وشمال بافاريا.

وبصعودها الى جبال (ثيورنجيان) حصلت على مواطىء قدم في (ثورنجيا)، وبعد ذلك تمكنت من الاستيلاء على مناطق المانيا الغربية والشمالية والشرقية كافة ببطء شديد وبصعوبة.

وبقيت المانيا الشمالية المعروفة بالادراك السليم الواقعي وبخصال مميزة اخرى واقفة موقفا سلبيا وغير واثقة بهذا الاتجاه مدة طويلة، ومهما يكن من امر فان هتلر النمساوي

ادرك غريزيا بانه ينبغي كسب بروسيا فيها اذا اراد الحصول على المانيا برمتها، وفي ذلك الزمان وصف (برلين) بانها الرأس ووصف (ميونيخ) بانها القلب. وقد استمر في الحصول على نقاط ارتكاز اخرى من اجل القضية التي يعمل لها: بالحسنى مرة، وبالعنف مرات، حتى حلول عام (١٩٣٣)، كما اكتسب الى جانبه تأييد الطبقة العاملة الذي لاتقل اهميته عن كسبه السابق، وكثيرا مايبدو ان النسيان قد اسدل استاره على ما كان يقابل به هتلر في ذلك الزمان من هتاف حماسي.

ولربما لم يقدر الظهور للاشتراكية الوطنية لو ان المانيا كانت قد احتفظت بقدر معقول من الحرية، وحصلت على سلطة ديمقراطية، اذا لبقي هتلر مغمورا سواء كان قد ولد قبل او بعد ثلاثين عاما.

ويجدر بنا الان ان نلقي نظرة واقعية على مدار بحثنا بكامله.

ليس هناك من يدافع عن الظواهر السيئة او غير العملية لنظام هتلر، ولكن من الخطأ ان تتصور ان النظام المذكور عار عن بعض المزايا.

كانت الاكثرية من العمال وعدد كبير من المزارعين والطلاب والفنانين قد آمنوا بهتلر ايمانا مطلقا، والحقيقة ان الالمان جنوا ثمارا كثيرة من الناحية الاجتماعية الهامة، تلك الثمار التي يسعى العالم اليوم جاهدا للوصول اليها، وهكذا نرى ان هذا النظام لم يكن شرا كله!!

وفي سنة (١٩٣٣) عندما منح الرئيس هندنبرغ ذو المكانة المرموقة والماضي المجيد تأييده لهتلر، لم يدهش العالم لما غمر الجماهير الالمانية من سرور بذلك، وساد حينذاك الالمان اعتقاد صادر عن يقين، بان كل شيء في المانيا قد اصبح يسير نحو الكمال في احسن مايمكن من الظروف.

لو ان الجمهورية حينذاك كانت قد اوجست خطرا من الاشتراكية الوطنية، لكان من واجبها اتخاذ التدابير الدستورية للقضاء عليها في الوقت المناسب، وقد كان لها في الفصل (٤٨) من دستور الرايخ مايكفل ذلك، اذ الوسائل اللازمة كانت جاهزة.

هذه الوسائل تتألف من جيش جدير بالثقة، ومن شرطة قوية، الا ان مفهوم المبدأ السائد حينذاك كان يحتم على الديمقراطية ان تمنح الحرية للاحزاب كافة.

وهكذا افسح المجال لهذه الحركة ان تستمر من دون مقاومة.

اصبح الوقت في سنة (١٩٣٣) متأخرا جدا عن مقاومتها، ولم يعد هناك اي شك في ان الاكثرية الساحقة من الالمان قد اعتنقت وآمنت بمبادىء حزب هتلر، وفي هذه المرحلة كان على حكومة الرايخ بطبيعة الحال ان تكف عن استخدام الجيش والشرطة اذا ارادت ان تتجنب قيام مقاومة شديدة ضدها.

ان خير ايضاح يمكن اعطاؤه للاتجاه الذي كان سائدا حينذاك، هو انه لم تبذل اي محاولة للمحافظة على الجمهورية، فليس بمقدور جيش صغير قوامه مائة الف رجل مقاومة حركة كهذه انتشرت في شعب يبلغ ثمانية وستين مليونا من الناس. ولو ان الجيش الالماني الذي

يخضع للسياسيين قاومه حزب هتلر، لكان من المحتمل ان يهاجم من الاهلين ويوصم قادته: بانهم يقاومون (ارادة الشعب)، ولو اعرضت الحكومة عن التدخل الفعلي واعرضت عن استخدام الشرطة، فمن المؤكد ان الجيش لم يكن يتطوع للدفاع عن كيان الجمهورية من تلقاء نفسه بدون اوامر حكومية للدفاع عن هذا الكيان.

كان الشعور السائد في سنتي (١٩٣٠ - ١٩٣٢) ان انقلابا شاملا على وشك ان يقوم به العسكريون، اذ ان طبيعة تلك الايام كانت توحي بانها ستتمخض عن عمل ايجابي يقوم به القادة العسكريون، غير ان الحكومة لم يكن يخامرها احساس اكيد بأن هناك خطرا يهددها، وهكذا نجح هتلر في الوصول الى الحكم بعد نضال سياسي شاق يعتبر في الواقع نصرا لرجل ابتدأ بلا شيء في سنة (١٩١٩).

عين اللواء الركن المشاةفون رونشتد قائدا عاما لجحفل الجيش الاول في برلين سنة (١٩٣٢)، وكان جحفل جيشه مؤلفا من فرق المشاة: الاولى والثانية والثالثة والرابعة وفرقتي الخيالة الاولى والثانية.

واستمر رونشتد في تولي منصبه الرفيع هذا حتى سنة (١٩٣٩)، اي اكثر من ست سنوات، مع ان المتبع قبل ذلك هو تولي هذا المنصب لمدة سنتين فقط، وهذا يبدي لنا التقدير الرفيع الذي كان يوليه اياه رؤساؤه، غير ان هذا المنصب القى على عاتقه واجبا خاصا، فقد كانت برلين عاصمة للرايخ تلتقي فيها الطليعة من شخصيات السياسة والعلم والصناعة والفنون، كما كان يقيم فيها السفراء والمبعوثون السياسيون كافة.

كان القائد العام للجيش حينذاك هو الفريق (بارون فون فرتش) وهو جندي بارز، غير انه كان اعزب غير معيل.

اما رئيس اركان الجيش، فقد كان اللواء (بيك) ذا المقدرة الفائقة، غير ان هذا الجندي القدير بحكم منصبه رئيسا لاركان الجيش كان شخصا غير مسؤول مسؤولية القائد العام، واضافة الى ذلك كان يعيش لواجبه العسكري فقط كما كان معتزلا وفاقدا زوجه، كل اولئك جعله غير مهيمن هيمنة ذات اثر على الدوائر العسكرية، لذلك كان على رونشتد خلال ست سنوات ان يستقبل في داره السياسيين والعسكريين، وبهذه الصورة اتصل بعدد كبير من الدبلوماسيين الاجانب والسفراء المبعوثين السياسيين والبعثات العسكرية، واصبح نابه الذكر في كثير من الاقطار ومن سنة (١٩٣٢) حتى (١٩٣٨) التمس رونشتد مرارا وبالحاح تسريحه من الخدمة، ولكن رغبته هذه كانت تقابل بالرفض دائما.

واخيرا وفي نهاية سنة (١٩٣٨) حصلت الموافقة على مطلبه الذي طال اشتياقه اليه، فجرت ترقيته الى رتبة فريق واحيل الى التقاعد، فعاد الى حياته الخاصة في (كاسل) حيث امل ان يقضي ماتبقى له من العمر في شقة مستأجرة ذات طابق واحد، ولكن لم يكتب لهذه الرغبة ان تتحقق.

وهنا ارى من المناسب وصف الموقف العسكري من سنة (١٩٣٣) الى سنة (١٩٣٨).

لقد شغلت هذه السنوات في عملية بناء الجيش، وكان رونشتد باعتباره جنديا مجربا من

اولئك القادة الذين حذروا من محاولة اقامة صرح الجيش بسرعة بالوسائل السحرية خلال بضع سنين.

وما من شك ان في الامكان زيادة عدد الجيش من مائة الف الى ستمائة الف خلال اربع سنوات، ولكن لن يكون ذلك الا بالمظاهر الخارجية وبالحساب العددي فقط، اما ايجاد مجموعة من الضباط الممتازين بالصلابة وتجانس الافكار والكفاية، وايجاد جيش يتطور من الوجوه كافة، فلا يمكن تحقيقه في بضع سنوات. لقد كان واجب كل ضابط على الرغم من شعوره الباطني بعدم الارتياح لسرعة تكوين الجيش ان يعمل كل ما في وسعه للمساهمة في بناء الجيش.

وكان على القائد العام فون رونشتد قائد الفيلق الاول المنتشر في منطقة واسعة ان يفتش قطعاته سنة تلو سنة، وبظهور هذا الجيش الجديد الى حيز الوجود منبثقا من القوات المسلحة الالمانية، نمت فرق المشاة الاربع وفرقتا الخيالة التي كانت تؤلف فيلق رونشتد فأضبحت بضعة فيالق، وبذلك ازدادت واجبات قائدها العام بسرعة؛ وفضلا عن واجباته هذه كان هناك جولات الركن والمناورات والتمارين. وفيما يلي ندرج تواريخ الحوادث الرئيسة:

١ - سنة (١٩٣٥): اعادة الخدمة العسكرية العامة (لمدة سنة واحدة) وهي الخدمة الاجبارية في الجيش.
٢ - سنة (١٩٣٦): اعادة السيطرة العسكرية على منطقة (الراين) وتمديد الخدمة الاجبارية في وحدات الجيش من سنة الى سنتين.
٣ - سنة (١٩٣٨): ضم النمسا الى الرايخ.
٤ - سنة (١٩٣٨): الحركة الى ارض (السوديت).
٥ - سنة (١٩٣٩): فتح محمية (بوهيميا) وضم (ممل) الى الرايخ، التي كانت المانيا قد تنازلت عنها سنة (١٩١٩).

هذه الحوادث التي كان يسبقها عادة تحذيرات من كبار القادة لاسيما (بيك) وهي تؤتى ثمارها يانعة مقرونة بالمظاهر الخلابة لالمانيا دون ان تخلف نتائج سيئة، وبذلك بدأ هتلر مصيبا والقادة العسكريون مخطئين، لان شيئا من تحذيراتهم لم يتحقق! كان القائد العام ورئيس اركان الجيش والقادة الاقدمون في موقف صعب، لانهم اصبحوا يوما بعد اخر يوصمون بالتشاؤم، وهكذا نما التوتر بين قادة الجيش من جهة وبين قادة النازي من جهة اخرى، هذا التوتر الذي كانت بذوره موجودة من قبل، بين القادة العسكريين وزعماء النازيين.

وكان الجيش الجديد يضم عددا كبيرا من الضباط الشباب الميالين بكل عواطفهم الى افكار هتلر، وهكذا نشب صراع مستمر بين القديم والجديد، ذلك الصراع الذي لم يكبح جماحه في الجيش سوى التدريب وسيطرة التقاليد والضبط، ولكن الزيادة السريعة في عدد الضباط من اربعة الاف الى الاف كثيرة، سببت انخراط عدد عظيم من الضباط غير

الاكفاء من الاحتياط ومن الذين ادخلوا الجيش لسد النقص ومنهم من كان قد اخلد الى الحياة المدنية متقاعدا طيلة المدة السابقة، ونتيجة لذلك بدأ الجيش بشكل يختلف تماما عما كان عليه في سنة (١٩٣٥). ومن سنة (١٩٣٣) الى سنة (١٩٣٨) لم يحدث شيء يؤدي الى الحرب، فكل الحركات التي دعوها بالغزوات، كانت اغلبها حركات لم تسل فيها الدماء، والحقيقة ان هذه الحركات كانت تقابل بحماسة عظيمة من السكان لان التيارات الخفية في مناطق الغزو تركت اثرها العميق فيها دائما.

ولهذا السبب اطلق الناس على هذه الحملات اسم: معارك الازهار، لان القطعات الالمانية كانت تستقبل بالازهار والموسيقى والحماسة، ولانستثني من ذلك سوى احتلال منطقة (الجك) في (بوهيميا).

ولانشك من ان هتلر كان يفكر بان غزواته الاخرى ستلاقي نفس النتائج بنفس السهولة!

ساهم رونشتد في غزو منطقة (السوديت) فقط في خريف سنة (١٩٣٨) حيث زج بالجيش الثاني الذي كان بقيادته ضد جبهة الجك الرئيسة، اي ضد التحصينات المتينة جدا في (تروبو وجاكرندروف).

كان رئيس اركان الجيش بين (١٩٣٢ - ١٩٣٣) هو اللواء (فون هامرشتين) قد استقال من منصبه، وعلى اثر استقالته التمس فون رونشتد من فون (هندنبرغ) ان يسرحه من الخدمة، ولكنه بقي في الخدمة استجابة لرجاء رئيس الرايخ الوقور الشهير، حيث قال له هندنبرغ «ينبغي الا تتركني وحدي الان».

وفضلا عن ذلك، كان رونشتد ذا علاقات طيبة مع اللواء فون (شخلر)، فعندما تولى (شخلر) منصب رآسة وزارة الرايخ لمدة قصيرة، طلب من رونشتد الايترك الخدمة لان الوطن محتاج الى الرجال القديرين كافة. كانت محاولة (روهم) لاحداث الانقلاب في سنة (١٩٣٤) فحصا لقوة الحزب لداخلية، لكن اهدافه كانت غامضة شأنها شأن الاهداف الاخرى، وقد اراد (روهم) من حركته ادخال الاتجاهات الجديدة الى الحزب بوساطة منظمة ذوي القمصان القصيرة السمراء، وبذلك وقف موقف المعارض الصارم لعناصر الجيش المحافظة، ولاسيما قادة الجيش القدماء الذين كان رونشتد احدهم. كان غرض (روهم) تنظيم هذا الجيش الذي كان مستقلا في ميوله وافكاره الانقلابية وذلك بتوسيع جيش ال - (.S.A) (القمصان القصيرا السمراء)... فأصبح بمثابة جيش اخر ينافس الجيش الحقيقي، وكثيرا ماحدثت مشاحنات ومشاجرات بين افراد المنظمة الجديدة وبين افراد الجيش، لان الجيش شعر بان وجود هذه المنظمة ينال من كرامته بتمثيله دور الجيش، اذ كان الجيش يعتبر نفسه الاداة الوحيدة للسياسة والوريث التقليدي لحمل شعلة الجندية بين الشعب الالماني، وقد حاول هتلر تخفيف هذا التوتر بتشبثاته، ولكنه لم يفلح.

وعندما حاول هتلر ان يكبح جماح (روهم) بالقوة، وجد عواطف الجيش الى جانبه، ولقد وجدت بين الوثائق التي صودرت من منظمة (.S.A) (القمصان القصيرة السمراء)

قوائم بأسماء الضباط الاقدمين الذين كانوا سيبعدون عن الجيش لو قدر لحركة انقلاب المنظمة المذكورة النجاح.

لقد امل (روهم) ان ينال تأييد الضباط الشباب، ولاشك في وجود عدد قليل من الضباط الذين اعتنقوا فلسفة الحزب، غير ان الاغلبية الساحقة من الضباط الاحداث كانت تستهدي هدى اتجاهات الجيش التقليدية.

وكانت سنة (١٩٣٤) امتحانا لقوة الترابط الداخلي للجيش، ذلك الترابط الذي بقي بعد هذا التاريخ سليما.

وقد برهن ذلك ايضا على الرغم من الظواهر الخارجية للمدة الجديدة، ان التقاليد والتدريب والاتجاه والضبط اي صناعة الجندية في احسن صورها في الجيش النظامي، كانت لاتزال قوية! وينبغي الا يغرب عن البال ان رئيس الرايخ حينذاك كان (هندنبرغ) العجوز، وكان قد انتخبه الالمان مرتين قبل سنة (١٩٣٣) وفقا للدستور الالماني، وكان وقتئذ رغم شيخوخته رمزا لطوائف كثيرة من الناس، فليس غريبا ان يعده رجال الجيش الرئيس العسكري الحقيقي لهم. ان مقام مشير الحرب العالمية الاولى الشيخ ذي الماضي المجيد اعلى من مقامه رئيسا للرايخ، وعندما قضى (هندنبرغ) نحبه اختفى في نظر الكثيرين اخر رمز عسكري! وعند ذاك اصبح هتلر نفسه قائد للقوات الالمانية المسلحة الموحدة، واقسمت القوات العسكرية قسم الولاء لشخصه!

ان التوتر في علاقات قادة الجيش برجالات الحزب كانت نتيجة لاختلاف وجهات النظر، ونظرا لتوالي انتصارات هتلر الخارجية اضحى موقف القادة العسكريين يزداد حراجة يوما بعد اخر، لان هذه الانتصارات الظاهرية جعلت هتلر يبدو مصيبا دائما في قراراته، وان القادة وهيئات اركانهم كانوا مخطئين دائما في قراراتهم، كما ان جماهير الشعب كانت تشاهد الانتصارات الفورية دون ان تدرك عواقبها.

لقد كان التكوين الداخلي للجيش بصورة عامة من (١٩٣٥ ـ ١٩٣٩) يختلف عما كان عليه التكوين الداخلي للقوات الالمانية المسلحة التي شكلت بعد الحرب العالمية الاولى.

لقد ضعفت قابلية الجيش نظرا لنموه السريع، ولم يعد ضباطه وحدة متجانسة كما كانوا ايام القوات الالمانية المسلحة الصغيرة.

وكانت السنوات بين (١٩٣٣ ـ ١٩٣٩) سنوات انقلابية مشحونة بالتوتر الداخلي في المجالات السياسية والاقتصادية والشعبية كافة. اخذ الجيش يساق الى اعتناق المبادىء النازية، ولا عجب في ذلك، لان الجيش جزء من الشعب؛ وفي عام (١٩٣٨) ظهرت مذكرة رئيس اركان الجيش اللواء (بيك) الشهيرة، فقد كان القائد العام للجيش الفريق فون (براوشتش) ورئيس اركان الجيش اللواء (بيك) قد تتبعا سياسة هتلر بقلق متزايد، فكانا يخشيان ان تؤدي هذه السياسة الى حرب لامفر منها ضد حلفاء اقوياء. ولم يتسن لهما انتقاد هذه السياسة او اثبات اتجاه تياراتها باعتبارهما من رجال الجيش شأنهما في ذلك شأن رجال الجيش في الممالك الاخرى، لان من واجب الجندي تنفيذ اوامر السياسيين في

الظروف والاحوال كافة، ولان السياسيين هم الذين يمتلكون زمام القيادة.
غير انهما شعرا في قرارة نفسيهما بان من حقهما ومن واجبهما ان يلفتا نظر هتلر الى وجهات نظريهما، كما كانا مرتابين ايضا في صحة بعض الاتجاهات العسكرية البحتة، ففي غضون ثلاث سنوات (١٩٣٥ - ١٩٣٨) جرى توسيع الجيش، فأصبح اضعاف ماكان عليه سابقا، اذ ليس في وسع اي جيش ان يتسع بمثل هذه السرعة من غير ان يفرط بصلابة تكوينه الداخلي؛ كما لم يكن التسليح المادي سليما كما كان يتراءى، ولم تكن المواد الاحتياطية كافية لحرب كبرى. كل ذلك ادى الى تقديم (بيك) لمذكرته في سنة (١٩٣٨) مدفوعا بالعقلية الواسعة التي يتصف بها.

اعد اللواء (بيك) هذه المذكرة وقدمها للقائد العام للجيش، فاستدعى القائد العام قادة الجيش الاقدمين ومن ابرزهم فون رونشتد للاجتماع في مؤتمر عام، وعند حضورهم تلا اللواء (بيك) عليهم مذكرته التي اعدها، فلم يعترض اي قائد على ماجاء فيها، لذلك قدمها (براوشتش) الى (هتلر) شخصيا.
نظر هتلر الى هذه المذكرة من اسوأ جوانبها، فخيل اليه انه يرى فيها برهانا اخر على تردد القادة وهيئة ركنهم، فرفضها بخشونة، واحال رئيس اركان الجيش اللواء (بيك) على التقاعد.
مثل هذه الحوادث ادت الى تصدع العلاقات الشخصية بين رئيس الدولة (هتلر) وبين قادته العسكريين الاقدمين، كما ان هذه العلاقات بينهم وبينه استمرت في تدهورها واتصفت بطابع البرودة المستمرة حتى قبل ان تبدأ الحرب.
ويبدو ان هتلر لم يكن سيد الموقف دائما كما كان يظهر نفسه للعالم، ففي كثير من المواقف كان يصغي بانتباه وتأمل الى نصائح الهواة الذين اقحموا انفسهم في امور ليست من اختصاصهم، وكثيرا مابدل وجهات نظره نتيجة لتوجيهات هؤلاء الهواة، ولم يكن هتلر حريصا على ان يبدو سيد الموقف وصاحب الرأي الحاسم الا امام الناس، ومن المحتمل جدا ان يكون هتلر في هذه القضية بالذات فريسة لتأثير مختلف الاشخاص الذين كانوا حاضرين لبذل مثل هذه النصائح، اذ وجدوا في المذكرة فرصة طيبة لالقاء بذور الشك في ثقة هتلر بالجيش.
اننا نعلم بان اللواء رونشتد الذي كان قائدا لجحفل الجيش الاول في برلين لمدة ست سنوات، اخذ يلح بعد هذه الحادثة لاحالته على التقاعد، بعد ان حاول مرارا قبل ذلك فلم يفلح. واخيرا حصلت الموافقة، فرقي الى رتبة فريق، ومنح لقبا فخريا هو (قائد كتيبة المشاة الثامنة عشرة) تكريما له، وهي الكتيبة التي كان آمرها يوم كان عقيدا في سنة (١٩٢٥ - ١٩٢٦)، ثم احيل الى التقاعد. وبعد ذلك وخلال الحرب لم يرتد ابدا بزة لواء او مشير مفضلا عليها رداء بسيطا هو رداء آمر كتيبة مشاة موضوعا على كتفها رتبة المشير ورقم الكتيبة الثامنة عشرة، وقد حدث كثيرا ان اخطأ الضباط الشباب تمييزه، فظنوه عقيدا، غير عارفين ان من يقف امامهم هو المشير فون رونشتد، وقد واجه المشير مثل هذه

المواقف بروح مرحة طيبة. واستدعى رونشتد ثانية للخدمة بعد ان قضى مدة تقاعد قصيرة في (كاسل)، سنة (١٩٣٩) وذلك عند اعلان التعبئة العامة، واسند اليه منصب القائد العام لجحفل جيش الجنوب في حملة بولندا.

الفصل الرابع

الحرب العالمية الثانية

ذكرنا ان المسؤولين من قادة الجيش الالماني وعلى رأسهم المشير (براوشتش) واللواء (بيك) الكفؤ البعيد النظر، قد اصدروا مذكرة انذارية في عام (١٩٣٨) مدعومة بأسباب عسكرية وسياسية. وكانت الناحية العسكرية تحذر من نتائج (سرعة) تسليح الجيش الالماني في غضون بضع سنوات، خلافا لما الفوه من الاساليب التدريبية والتعاليم الدقيقة للجيش الالماني القديم، وبذلك توسع الجيش اكثر من طاقته وعلى غير هدى وبصيرة على حساب كفايته ومقدرته..

اما من الناحية السياسية، فقد ادرك هؤلاء القادة، ان العالم لن يقف مكتوف الايدي لمدة طويلة امام سياسة المانيا الراهنة، وان الامر سيؤدي الى حرب لامفر منها.

ومع ذلك فقد آمن عدد قليل ن قادة الجيش بسياسة هتلر هذه، كما آمن بها الضباط الاحداث الذين استقبلوا هذا التوسع في الجيش بترحيب قلبي، دون ان يفكروا في نتائج ذلك التوسع المغلوط عند الحرب.

وربما يكون غريبا ان يوجد بين الضباط من لايسره توسع الجيش، ولكن الجيل القديم ومنهم رونشتد لم يسرهم ذلك، فأصبح هذا الجيل القديم في موقف حرج في ظل الحكومة الجديدة التي حظيت بتأييد ستين في المائة من البالغين وجمهور الشباب. وقد اعتبر هتلر ومن ورائه الشباب ان الجيل القديم ليس الا عائقا للتقدم، فوصفوهم بانهم مناوئن للعمل وانهم القادة التحذيرية طراز قديم! كما تعاونت الاقدار على اظهار مذكرة القادة التحذيرية بانها غير مستندة الى اساس قويم، وحسب هتلر دليلا على ذلك ان يلوح بانتصاراته الكثيرة: كاحتلال (السوديت) التي يسكنها الالمان بدون مقاومة، واهم من ذلك مؤتمر (ميونيخ) حيث لم يلق هتلر فيه معارضة من بريطانيا او فرنسا او ايطاليا.

وكانت الحركة الى (جيكوسلوفاكيا) في ربيع (١٩٣٩) خاتمة لهذه الاحداث، وربما يتبادر الى الاذهان: لماذا لم يعمل الجيش على التخلص من هتلر؟ ولكن كيف يستطيع التخلص منه جيش ارتبط بقسم الاخلاص لرجل يحظى بتأييد خمسة وسبعين بالمائة من الناس؟ هذا الرجل الذي كان مهيمنا ـ بالاضافة الى هذا التأييد ـ على القوة الجوية الالمانية التي كان قد اوجدها من العدم، ومستحوذا على منظمتي الـ (ايس. اي) و (الايس. ايس) وقوات الشرطة المسلحة القوية.

كيف يستطيع القادة العسكريون احداث انقلاب حينذاك، وهذا الرجل في ذروة سلطانه مهيمنا بيدين من حديد على مختلف القوى الشعبية والحكومية؟ وحسبه ان يذكر الالمان باعماله التي انجزها دون ان تستنفد قطرة من الدماء!

كيف يستطيع قادة الجيش التخلص من قائدهم الاعلى الذي عرفته الدوائر السياسية الخارجية في العالم كله بانه الموجه الوحيد لكل ما انجزته المانيا حينذاك ـ تلك الاعمال التي رضخت لنتائجها تلك الدوائر؟

ولم يحدث في التاريخ الا نادرا قيام قادة الجيش بتنحية الحكومة القائمة لمجرد انهم لايقرون السياسة التي تنتهجها تلك الحكومة، ولا سيما قادة الجيش البروسي الالماني الذين اتصفوا منذ اجيال طويلة بالطاعة المطلقة من غير تردد او جدال.

كان من نتيجة ذلك قيام صراع في نفوس القادة بين التمسك بواجباتهم العسكرية والاخلاص للدولة القائمة من جهة، وبين التخلي عن نظام الحكم القائم من جهة اخرى.

آمن الالمان بهتلر ايمانا عميقا، ففي البلاد التي يسيطر عليها النظام الدكتاتوري ـ يوجه الشعب اتجاها خاصا حسب خطة دقيقة، بحيث لو ثار القادة العسكريون في ذلك الوقت لوصمهم الناس بانهم رجعيون يناوئون كل تقدم في البلاد.

لقد كان على رونشتد ان يختار الاتجاه الصحيح من اتجاهين متضادين احلاهما مر: الرضوخ للنظام السائد في المانيا مع مافيه من عيوب، او محاولة قلب هذا النظام خلافا لما اعتاده من تقاليد الضبط المتين.

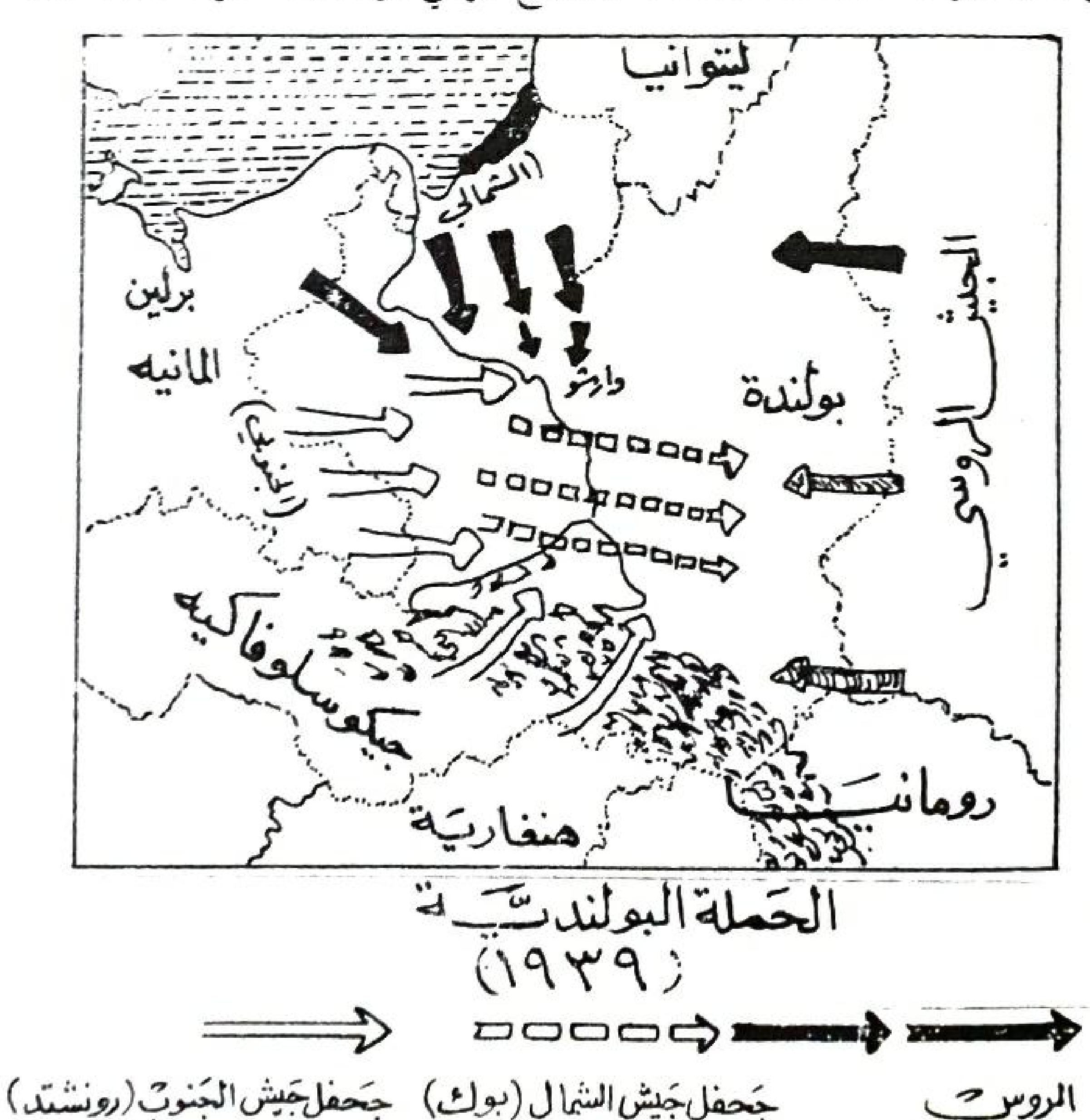
وربما يعتبر رضوخ القادة العسكريين الالمان لنظام هتلر خطأ كما يعتقد الكثيرون، ولكن ينبغي ان نفكر في الصعوبات القائمة حينذاك تجاه الخارجين على نظام الحكم القائم. ولن نحاول في الفصول القادمة عند البحث عن اتجاهات واعمال رونشتد ان نستقصي فن الحرب بالتفصيل بل سنذكر الحوادث العسكرية الرئيسة باجمال، ومن يرد استقصاء الحوادث الضافية عن السوق (الاستراتيجية) والتعبية فأمامه مادة غزيرة، اذ صنفت حول ذلك بحوث مستفيضة لمؤرخين عسكريين معروفين وطبعت بالتدريج خلال الحرب وبعدها. لم يشغل رونشتد منصبا رئيسا في القوات الالمانية، اذ لم يكن ضمن هيئات ركن هتلر، ولم ينتسب الى ركن القوات المسلحة، ولا الى هيئة ركن مقر الجيش. لقد كان في المرتبة الثالثة اي قائدا عاما لجحفل جيش مرة وقائدا عاما في الغرب مرة اخرى... لقد كان يتلقى اوامره من سلطة اعلى.

فما هي الافكار التي كانت تدور في خلد رونشتد حول ذلك كله؟
هذا ماسنتطرق اليه في هذا الكتاب.

لقد كان من حسن الحظ ان يتحلى رونشتد بحاسة سوقية (استراتيجية) سليمة، فلم يكن ليشغل نفسه قط بالتفاصيل العسكرية، وكمثال على ذلك فانه كان يفضل خريطة حركات مقياسها ١/١٠٠٠٠٠٠ على خريطة حركات مقياسها ١/٣٠٠٠٠٠ واقل رغبة في خريطة مقياسها ١/١٠٠٠٠٠.

ومن المهم ان انوه بان خطط رونشتد السوقية (الستراتيجية) الكبرى وضحت عمدا في هذا الكتاب بلغة سهلة مبسطة، اذ لم اكتب هذا الكتاب الا للقراء الاعتياديين لا العسكريين المتهنين او للخبراء من طلاب العلوم العسكرية.

ولم يكن قادة القوات المسلحة الالمانية في خريف (١٩٣٩) يعلمون شيئا عن الاسرار السياسية، او ربما علموا عنها قليلا لانه لم يكن من عادة الحكومة ان تزود القادة بما لديها من معلومات عن مقاصدها السياسية. ولقد اشيع ان بولندا الحديثة نبذت سياسة (بلسودسكي) التي كانت ميالة الى صداقة الالمان، وان بولندا اتخذت اتجاها معاديا للالمان، كما قيل ان بولندا لم تبد اي اشارة الى ميلها لحل مرض لمشكلة الالمان القاطنين ضمن حدودها، واخيرا اشيع ان بولندا نفضت يديها من كل حل مقبول لمشكلة (الممر)، هذا الممر الذي خلقته في سنة (١٩١٩) معاهدة (فرسايل)، وهو عبارة عن قطاع من الارض عرضه نحو ستين ميلا الى الغرب من نهر (الفستولا) السفلى ممتد نحو البلطيق، وكان قد اقتطع من المانيا واعطي الى بولندا، وهكذا عزلت مقاطعة بروسيا الشرقية عن بقية الرايخ الالماني، فلم يكن بالاستطاعة الوصول من المانيا الى مقاطعة بروسيا الشرقية الا بسكة حديد مسيطر عليها سيطرة دقيقة، وقد سبق تقديم مقترحات عديدة لايجاد حل يرضي كلا من المانيا وبولندا حسما لهذه المشكلة، كالاقتراح الرامي الى أنشاء خطوط محايدة ضيقة



الحملة البولندية
(١٩٣٩)

الروس — جحفل جيش الشمال (بوك) — جحفل جيش الجنوب (رونشتد)

تحاذي الطرق تحت الادارة المشتركة، وانشاء طرق السيارات تقاطع الطرق الاصلية من بولندا شمالا الى الميناء البولندي (جينيا) ومن الرايخ الالماني الى بروسيا الشرقية.

ولم يحظ رجال الجيش بمعلومات اكثر تفصيلا من ذلك، وبقيت الاسرار الحقيقية للحملة البولندية سرا عليهم، اما من الناحية العسكرية، فقد كانت القوات الالمانية تتجه تدريجيا نحو الحدود البلوندية، وامرت بانشاء التحصينات العسكرية هناك.

كان الاعتقاد السائد بين صفوف الشعب الالماني كله وصفوف الجيش عام (١٩١٤)، ان الحرب فرضت عليهم فرضا، خلافا لما حدث عام (١٩٣٩)، حيث لم يكن الشعب ولا الجيش متحمسا لهذه الحرب مندفعا اليه! وقد ادرك كثير من مختلف طبقات الشعب الالماني الخطر المتوقع من الحرب الوشيكة الوقوع، كما تبينوا ان حملة بولندا ستؤدي الى حرب حقيقية لا الى معارك ازهار خالية من القتال الحقيقي ـ كما حدث سابقا ـ والذين يلقون نظرة سريعة على خريطة اوروبة لعام (١٩٣٩) يدركون حتما ان بولندا قد اندحرت سوقيا قبل ان يطلق الالمان طلقة واحدة، وقبل ان يجتاز جندي من الالمان حدودها.

لقد ادى تخطيط حدودها الى تطويقها من جهاتها الثلاث بالمانيا كأن ذراعين قويتين قد حطمتاها! ففي الشمال تقع بروسيا الشرقية، ومن الحدود الجنوبية لبروسيا الشرقية تستطيع القطعات الالمانية ان تندفع جنوبا نحو (وارشو) و (بريست ليتوفيسك)، ومن وجهة اخرى كانت الحدود البولندية ـ الجيكوسلوفاكية تغري بشن هجوم يتجه نحو الشمال مستهدفا (كراكاو ولمبرك)! ولست بحاجة الى معلومات عسكرية لتعرف بنظرة واحدة موقف بولندا اليائس!

كان بمقدور المانيا دائما ان تستثمر هذا التفوق السوقي الاستراتيجي) استثمارا كاملا، واذا كانت الاحاطة السوقية لم تؤت ثمارها كاملة، فلان شبكة الطرق لم تكن في شرق (سلوفاكيا) كافية، فعرقلت تقدم القطعات الجسيمة.

وفضلا عن ذلك فان المنطقة الجنوبية الشرقية لبروسيا الشرقية، لم تسمح لاسباب فنية بتحشد[1] سريع لقطعات جسيمة، . . . كما ان التحصينات البلوندية الجيدة في خط (نيرو) شمالا وجبال (الكربات) جنوبا يشكلان مانعين يستفاد منهما في تأخير تقدم الجيش الالماني.

كان البولنديون في موقف بائس جدا، ففي الغرب من بلادهم اي في شرق (الفستولا) تقع منابع تموينهم وصناعاتهم المهمة، وفوق ذلك كانت المقاطعة الالمانية السابقة (بوزان) تحتوي على مصادر ثروة بولندا، فلو استطاع الالمان ارغام البولنديين على الانسحاب من هذه المنطقة، لانتهت الحرب، لانه لم يكن هناك صناعات حربية مهمة شرقي (الفستولا)، واكثر من هذا فان سقوط ابار النفط القليلة الكائنة في (غاليسيا) من منطقة (الكربات) بيد الالمان يؤدي الى حدوث عجز البولنديين في مادة النفط الحيوية.

لهذه الاسباب المنطقية اضطر البولنديون الى الاحتفاظ باكثر جيشهم في الاراضي الحيوية

---

(١) التحشد: مبدأ من مبادىء الحرب، وهو جمع اكبر قوة مادية ومعنوية في المكان والزمان المناسبين.

المحيطة بمنطقة (بوزان)، هذه المقاطعة الداخلة بين حدود المانيا الى عمق بعيد، فلم يبق لديهم الا قطعات ضعيفة لحماية كلا الجناحين الطولين المكشوفين حتى (نيرو) و (الكربات)، وهكذا نجد ان الموقف العسكري لسنة (١٩٣٩) كان في صالح الالمان. كما كان الموقف العسكري ملائما لهم ايضا في جيكوسلوفاكيا عام (١٨٣٩ ـ ١٩٣٩) نظرا لطول حدودها المطوقة بها، حيث اضطر (الجيك) ايضا الى الدفاع عن القسم الاهم من بلادهم والكائن على الحدود حول مدينة (براغ). لقد كانت القيادة البولندية من جراء ذلك في محنة، وكثيرا ماتطرق الفريق رونشتد حينذاك الى هذا الموقف العصيب للبولنديين. وكان يحمل بحق فكرة عالية عن الجيش البولندي، لان البولنديين شجعان محنكون ذوو مراس صعب، وهم جيش يندفع للقيام بأصعب الاعباء.

ولكن تجهيز وتسليح الجيش البلو[illegible]ي [illegible] يكن حا[illegible]ا، وكان لديهم وحدات مدرعة من طراز قديم فقط، وقوتهم الجوية ضعيفة، وطائراتهم [illegible]يمة ايضا. ان الجيش البولندي كان يمتاز بروحه المعنوية، ويتحلى بمزايا القتال، وبمقد[illegible] على انجاز الحركات الليلية بكل كفاءة، وكان يجتاز بطريقته الخاصة مدة انتقالية [illegible]ـاة اساليب الجيش الروسي، وكان الضباط البولنديون يمثلون طبقة باسلة م[illegible]سجمة فيما [illegible]نها، وكانوا يحظون بتقدير عظيم من الجيش الالماني؛ واحسن ما في الجيش البولندي [illegible] سانهم الممتازون بتقاليدهم القديمة، هؤلاء الفرسان الذين حعلوا بعض الفرق الالمانية اثناء الحملة البولندية تحسب لهم الف حساب، والذين امتازوا بشجاعتهم العظيمة.

لقد كان معروفا حينذاك، بان البولنديين قد اعدوا عدتهم واتخذوا تدابيرهم الدفاعية ضد روسيا دون ان يحاولوا اخفاء هذا الاتجاه، الا ان تحصيناتهم المستحضرة لم تكن كافية لحماية الحدود البولندية الشاسعة، لذلك اضطرت القيادة البولندية العليا الى حماية مناطق ذات الاهمية القصوى بالتحصينات المنشأة بالترابة (السمنت) والحديد، وكانت تحصينات (سيلزيا العليا) من احدث واقوى هذه التحصينات ـ تلك التحصينات التي في استطاعتها الثبات بنجاح ضد القصف من الجو ومن المدفعية الثقيلة، وكانت التحصينات الواقعة شمالا في (نيرو) على الحدود الجنوبية لبروسيا الشرقية في الدرجة الثانية من تحصينات سيلزيا العليا وعلى الاخص تلك التحصينات الواقعة قرب (اوستاو)، ولم يكن على طول الحدود الشاسعة الاخرى غير عوائق معزولة من الترابة (السمنت)، وكانت هذه العوائق كثيرة في مدينة (بوزنان). وفي بولندا نجد تشابها بين تحصيناتها هذه وتحصينات الحدود في جيكوسلوفاكيا عام (١٩٣٨) و (١٩٣٩). كانت خطة الحركات الالمانية خطة بسيطة: يحتل جحفل الجيش الشمالي المؤلف من الجيشين الثالث والرابع مع القطعات الالية وفرقة الخيالة الاولى موضعا في الشمال، ويتقدم على محور (بوزنان) ـ (وارشو) ـ (برست ليتوفسك) بقيادة الفريق فون (بوك) للاحاطة بالجيش البلوندي، ومن جهة اخرى يقوم جحفل الجيش الجنوبي باجتياز الحدود على محور (تاترا العليا) (الكربات ـ بوشن ـ برسلو ـ كلوكو) ويتقدم الى الشرق والشمال الشرقي لاحاطة الجيش البولندي من الامام والجنوب،

وقد استطاع القائد العام للجيش فون (براوشتش) ورئيس هيئة الاركان العامة (هلدر) تأمين التعاون التام بين جحفلي هذين الجيشين. كان جحفل الجيش الجنوبي بقيادة فون (رونشتد) اقوى الجيشين، لانه كان مؤلفا من ثلاثة جيوش ومن القسم الاعظم للوحدات الالية، وكان الجيش الرابع عشر بقيادة اللواء (ليست) الذي من قطعاته فيلق فون (كليست) المدرع في جناحه الايمن، وكان واجب هذا الجيش التقدم من سيليزيا العليا خلال مناجم الفحم باتجاه الشرق نحو (كاراكاو) و (برزي مسل) و (لمبرك)، وكان عليه ان يطوق الجناح البولندي الجنوبي الكائن على جانبي جبال (تاترا العليا) التي يبلغ ارتفاع قممها اكثر من (٨٠٠٠) قدم من الجنوب مخترقا (الكربات) بمفارز قوية عززت اخيرا بثلاث فرق جبلية، وفي المركز كان جيش فون (ريشناو) العاشر قويا جدا. هذه القطعات الرئيسة كانت تضم القسم الاكبر من القطعات المدرعة والفرق الالية، وواجبها الهجوم نحو (سيليزيا) على محور (راندوم) العام؛ وفي اليسار كان جيش اللواء (بلاسكوويتس) الثامن اضعف هذه الجيوش. وكان عليه ان يشرع في الهجوم من منطقة قريبة من (كلوكو) باتجاه (لوتس) واهم من ذلك كان عليه حماية الجناح الشمالي لجحفل جيش (رونشتد) في (وانا) و (بزورا) حيث كان القسم الاعظم من الجيش البولندي محتشدا في المنطقة المحيطة بمدينة (بوزنان) والى الشمال منها.

خصصت القوة الجوية الالمانية الاسطول الجوي الرابع بقيادة (لوهر) لاسناد الهجوم في منطقة (رونشتد)، واضيف اليها تشكيلات الصاعقة الجوية بقيادة اللواء فون (ريخ توفن) لغرض الاسناد القريب للفيلق المدرع.

لقد كانت الجبهة واسعة جدا، تمتد من (تاترا العليا) - (تروباو) - (اويلن) - (برسلاو) - (كلوكو)، اي حوالي (٢٧٥) ميلا اذا اعتبرناها خطا مستقيما من بدايتها الى نهايتها، وكان رونشتد هو القائد العام لهذه الجبهة، اذ استدعي لقيادته بعد ان احيل على التقاعد عام (١٩٣٩). كان الجيش يرى في رونشتد جنديا يتحلى بخلق رفيع نادر وبموهبة خاصة تعينه على تفهم الحركات السوقية (الاستراتيجية) ومعرفة الاتجاهات الصحيحة، اما رئيس هيئة ركن قيادته، فكان اللواء النشيط الكفوء الفعال فون (مانشتاين)، لذلك كان على رأس مقر قيادته خيرة الضباط، ولان هذه الهيئة شكلت لاول مرة عند اعلان التعبئة العامة في بداية الحرب، وقد التحق بها كثير من الضباط وضباط الصف الاحتياط الذين جاءوا من اعمالهم المدنية، وكانت الخدمة في مقر رئيس كهذا امر غير مألوف لديهم، ولكن كفاية مقره تحسنت تدريجيا بالممارسة وبمرور الزمن، وقد جرى اسكان مقر قيادته لاول مرة في مركز تدريب واقع في (سيليزيا) ثم نقل بعد ذلك الى (نيس)، وقد اصبح الدير الكاثوليكي للصيب المقدس دائرة للمقر، فشاركنا الرهبان في حديقة الدير ومرافقه، وقد قضى رئيس الدير الالمعي الحكيم ليالي عديدة يتحدث الى رونشتد ويتبادل معه وجهات النظر دون كلفة. كان المفروض ان يبدأ اجتياز الحدود يوم ٢٦ آب (اغسطس) عام (١٩٣٩)، وكان على مفارز الاستطلاع ان تتخذ تشكيلات القتال المتقدمة للامام ليلة ٢٥/٢٦ آب

(اغسطس).

صدرت الاوامر كافة، واصبحت الجيوش تهيئة للحركة ليلة ٢٥ آب للوصول الى اهدافها.

لم تكن الروح المعنوية السائدة في هذه الجيوش عالية مندفعة، كما لم يظهر على البولنديين اضطراب كبير، ولكن برز للعيان السؤال التالي: ما الذي سيحدث بعد هذا.

في الساعات الاولى من مساء يوم ٢٥ آب، وصل الينا امر غريب صادر من هتلر، بلغه الينا القائد العام للجيش، مفاده ان على الجيش الشرقي ان يتوقف حالا! ومن الواضح ان السياسيين كانوا يبحثون عن مخرج لاجتناب الحرب في اللحظات الاخيرة، وكان هذا الامر يحتاج الى اقصى سرعة لتنفيذه، والا فستجتاز قطعاتنا الامامية الحدود، حيث تشتبك بالقتال!

لقد كان ايقاف انتقدم الوشيك لقطعات الاستطلاع الامامية على جبهة طولها (٢٧٥) ميلا قبل اختراق الحدود عملا معجزة حقا، ولكنه انجز من جانب القيادة العامة وآمري القطعات والقطعات بشكل بلغ حد الكمال. كانت ليلة وضاءةبنور القمر، ازدحمت بها الطرق بين (تاترا العليا) و (كلوكو) بأرتال فرق المشاة والفرق المدرعة المتقدمة لقطعات امامية لجحفل جيش الجنوب، وكان هناك كتيبة آلية تتحرك متوغلة نحو الشرق على طريق يمتد من (سيلين) في جيكوسلوفاكيا جنو (تاترا العليا) لغرض اجتياز جبال (الكربات) باتجاه الشرق، فتعذر الاتصال بهذه الكتيبة، لانها كانت بعيدة جدا عن مقر القيادة، ولرداءة المواصلات في (جيكوسلوفاكيا) الشرقية، اضطر رونشتد الى ايفاد ضابط بطائرة المانية صغيرة يستخدمها ضباط الركن الاقدمون من نوع (ستورك) مجتازا الجيش الرابع عشر للوصول الى هذه الكتيبة، فتمكن هذا الضابط من تمييز الكتيبة في ضوء القمر وهي متحركة على الطريق شرق (سيلين)، وهبط بالقرب من مقرها، ثم بلغها امر توقف الحركة.

توقف المحرك الجبار للجيش عن الحركة، غير ان دوريات صغيرة آلية اجتازت الحدود هنا وهناك، فأمكن سحبها قبل ان تشتبك في القتال. لم يكن رونشتد يعرف دواعي صدور امر توقف الجيش عن الحركة، لعدم وصول اي معلومات عن الموقف السياسي اليه، غير الاشاعات السائدة حينذاك كانت تزعم بأن موسليني او الدول الغربية عرضوا اقتراحات للتسوية السلمية بين الطرفين. لقد سبق لهتلر ان اصدر امرا بالتوقف عن التقدم في عام (١٩٣٨) قبل الحركة الى (السوديت). وعندما وصل امر التوقف عن التقدم هذه المرة، ساد هيئة الركن ارتياح عظيم. ونال على اثر ذلك فون رونشتد بضع زجاجات من شراب (التوكي) الذي استحضر من (نيس) لتكريم هذه المناسبة السعيدة بالاشتراك مع رئيس الدير.

هذه هي حقيقة الروح المعنوية السائدة في تلك الساعة، ولكن امر التوقف عن التقدم لم يدم طويلا، فقد صدرت اوامر حازمة للشروع بالتقدم لاختراق الحدود والشروع في

الحرب، ففي يوم ١ ايلول (سبتمبر) سنة (١٩٣٩) اجتاز جحفلا الجيشين الحدود البولندية من الشمال والغرب والجنوب، فاندلعت نيران الحرب. . . !

كانت مقاومة البولنديين شديدة لاسيما في المنطقة الصناعية من سيليزيا العليا، حيث استفادوا من التحصينات الدفاعية القوية هناك، فكانت خسائر الجيش الرابع عشر المهاجم لتلك المنطقة كبيرة لايستهان بها. اما في المناطق الاخرى على امتداد خط الحدود الطويلة، فقد تجنب البولنديون القتال في بادىء الامر، ولم تشتد مقاومتهم الا بعد مرور يومين او ثلاثة على بدء القتال، فنشبت سلسلة من المعارك السيارة المتقلبة بين الشدة تارة والسهولة اخرى: هذه المعارك التي يتعذر سرد تفاصيلها في هذا الكتاب.

قاتل البولنديون بشجاعة كما كان المؤمل منهم، واهم من ذلك امتازت الوية خيالتهم الباسلة بمباغتة قطعاتنا ليلا وكأنهم جيش من الاشباح. نشأت ازمة وقتية عندما حاول القسم الاعظم من قطعاتهم التراجع من جوار (بوزنان) متجها نحو (وارشو)، حيث هددهم جحفل جيش الشمال فحاولوا التملص متجهين نحو الجنوب عبر (بزورا)، ولكن عندما شرع الجيش الثامن الذي كان من قوات رونشتد بالهجوم متجها نحو الشرق، ظهر البولنديون على طوال نهر (بزورا) باتجاه جناح الجيش الثامن، فهددوا بذلك هذا الجيش تهديدا خطيرا لبضعة ايام، مما ادى الى ارسال بعض الفرق من الجيش العاشر الذي كان في المركز بصورة وقتية شمالا لغرض اسناد الجيش الثامن. قام رونشتد ورئيس هيئة ركنه بأجراءات فعالة، فقد طارا الى مقر الجيش الثامن في (لوتس) واصدرا الاوامر اللازمة، وقد نشأت الازمة هذه على الجناح الايسر للجيش الثامن لسبب قلة الاستطلاع. حقا لقد كان هذا الخطر ناجما عن قلة عناصر الاستطلاع المخصصة لهذا الجيش، اذ لم يكن لديه غير كتيبة آلية واحدة، خصصت للجناح الايمن بدلا عن تخصيصها لاقصى الجناح الايسر؛ واكثر من هذا فقد كانت الاستطلاعات التعبوية ناقصة، تلك التي اجرتها الخيالة، ذلك الصنف الذي احتفظ دائما بفائدته في المناطق الشرقية. حث رونشتد الذي كانت له معلومات دقيقة عن المناطق الشرقية اكثر من مرة، على ضرورة نقل وحدات استطلاع الفرق التي كانت في الجبهة الغربية الى الجهة الشرقية، فقد كانت الفرق الالمانية في الغرب في موقف مستكن الى مواضعها في التحصينات الغربية، ولم يكن لوحدات استطلاعها اي وجه لاستخدام مفيد.

اما الاستطلاع الجوي فقد كان ناجحا، نظرا للسيادة الجوية التي كانت في جانبنا نتيجة لكثرة الطائرات الالمانية، غير ان الطيارين لم يتمكنوا دائما ان يحددوا بالضبط ماهية الموقف على الارض.

كان ايلول (سبتمبر) عام (١٩٣٩) شهرا معتدل الجو، سماؤه مشرقة؛ وعلى السبل الرملية كانت سيول جارفة من اللاجئين يتحركون ومعهم خيولهم ومواشيهم وعرباتهم كما هو في كل مكان في الشرق، كما كانت القطعات البولندية ايضا تتراجع باتجاه الشرق، في حين ان قطعات اخرى من البولنديين تملصت بعيدا مرة اخرى من الشمال باتجاه الجنوب،

فكان هناك خليط هائل من القطعات والاهلين، ولكن لم يكن ليرى من الجو شيء عدا سحبا كثيفة من الغبار تنبعث من الجهات كافة وعلى الطرق كافة، ولولا هذه السحب من الغبار الكثيف، لكان في الامكان تمييز ماكان يتحرك تحتها.

وفوق ذلك فان البولنديين شأنهم شأن الامم الشرقية الاخرى ـ مغرمون بالاستفادة من السري ليلا للتنقل والقتال. لقد امتاز البولنديون على القطعات الالمانية عام (١٩٣٩) بالحركات الليلية، مما اضطر القطعات الالمانية لاول مرة الى العمل ليلا.

توصل القائد العام لجحفل جيش الجنوب بعد ذلك الى قرار سوقي هام، فقد كان على الجيش البولندي بتأثير ضغط جحفل جيش الشمال الانسحاب من (برومبرك) و (بوزنان) لاجل الخلاص من حركة الاحاطة المزدوجة، وقد ساد الغموض لبضعة ايام في القيادة الالمانية العليا، فكان هناك احتمالان: الاول ان البولنديين لايزالون قرب (وارشو)، والثاني انهم اصبحوا وراء هذه المنطقة باتجاه الشرق والشمال الشرقي بحالة تراجع عبر نهر (البك).

رجحت القيادة الالمانية العليا الاحتمال الثاني، فطلبت من جحفل جيش الجنوب التقدم من رومانيا في الجنوب الشرقي عبر نهر (الفستولا) باتجاه (لوبلن) لقطع خط تراجع البولنديين بين نهري (البك) و (الفستولا).

ولكن رونشتد ورئيس هيئة ركنه قدرا الموقف بشكل يختلف عما قدرته القيادة الالمانية العليا، فاستنتجا ان العدو لايزال يقاتل بالقسم الاعظم من قواته في غرب (وارشو)، واستنادا على ذلك غير اتجاه الجيش الثامن واتجاه القسم الاعظم من الجيش العاشر الآلي بكل سرعة شمالا نحو (وارشو)، فتحمل بذلك روشنتد مسؤولية تنفيذ هذا القرار المصيب على الرغم من مخالفته لرأي القيادة الالمانية العليا، فنقلت قوات الجيشين العاشر والرابع عشر، كما نقلت المدفعية الآلية الثقيلة كافة بسرعة الى اتجاه (وارشو) لتطويق هذا الموضع المدافع عنه بشدة، والمحاط بالمواضع البولندية السمتحضرة والحصون والقلاع، ولجعل عملية عبور نهر الفستولا اكثر صعوبة، وقد امكن ازاحة القسم الاعظم من الجيش البولندي الذي كان محيطا بـ (وارشو) بالتعاون مع جحفل جيش الشمال الذي كان يتقدم من ناحية الشمال.

ولقد قصفت دفاعات (وارشو) بشدة من الجو وبالمدفعية من الارض بالاضافة الى هجوم المشاة والدروع عليها، فاضطر القائد البولندي الشهم على الاستسلام مع جيشه وحصونه، وبذلك حققت حرب الصاعقة في بولندا اهدافها بالنسبة لابواق الدعاية فقط، وان لم تكن الحرب منتهية بعد بالنسبة للقطعات الالمانية المقاتلة، فقد تحدثت الدعاية عن حرب استغرقت ثمانية عشر يوما، ولكن مجرى الحوادث عند التطبيق لم يكن كذلك. مما لاشك فيه ان القسم الاعظم من الجيش البولندي قد انهار، ولكن القوات الالمانية لاتزال تصطدم بقطعات قوية من الجيش البولندي على الضفة الشرقية لنهر (الفستولا)، وقد حاولت تلك القطعات البولندية التملص بالعبور بين نهري (البك) و (الفستولا) الى

رومانيا.

تطور الموقف بسرعة هائلة من بعد ذلك، فقد توصل هتلر الى اتفاق مع روسيا لاقتسام بولندا، ورتبت الامور من البداية على اساس اعطاء المنطقة الكائنة شرق الفستولا كافة للروس، فعبرت القطعات الروسية ودروعها الحدود البولندية الروسية على جبهة واسعة بين (مينسك) و (بودوليسك) وتقدمت ببطء نحو الغرب، فكان نتيجة ذلك اصطدام جحفل جيش الجنوب اثناء تقدمه بقطعات بولندية كانت تحاول يائسة الوصول الى رومانيا المحايدة في الجنوب الشرقي لتكون بمناجاة من قبضتي القطعات الالمانية والروسية، كما اتجه كثير من الشعب البولندي من الشرق الى الغرب خوفا من الروس.

يمكن ان نتصور كيف كان الموقف غامضا، حينما كان هناك قتال محلي مستمر في شرق (غاليسيا) وحول (لوبلن) وبصورة خاصة ليلا، بعد انقضاء الثمانية عشر يوما، فقد كان البولنديون يستفيدون من الظلام ومن غابات شرقي بولندا.

وفي منطقة (كروديك) من (غاليسيا) وحول (لمبرك)، حدثت اشتباكات تميزت بالضراوة والعنف، خاصة في المستنقعات والغابات المجاورة لهذه المنطقة، فقد ظهر البلونديون في جبهة ومؤخرة القطعات الالمانية محاولين شق طريقهم خلالها. وسط هذا الموقف المرتبك شرقي (الفستولا) و (السان)، حصل اصطدام بسيط له مغزى بين وحدات البنادق من الفرقة الجبلية الاولى وبين وحدات روسية مدرعة، فقد اخطأ الملازم الالماني الذي كان يحتل ربيئة في تمييز الدبابات الروسية المتقدمة من الشرق، فأمر بفتح النار حيث اصيبت الدبابة الروسية الامامية، كما قتل الضابطين الالماني والروسي في نفس الوقت.

ومع ان الحملة البولندية كانت منتهية بالنسبة لاغراض الدعاية، الا ان الموقف بالنسبة لقطعات رونشتد في (غاليسيا) تطور بشكل غريب يوما بعد اخر، فقد كان على القطعات الالمانية كافة ان تنسحب الى غرب (الفستولا) و (السان) وفقا للاتفاقية الالمانية الروسية لتسليم هذه المنطقة الى الاتحاد السوفيتي، غير ان القطعات الالمانية كانت مشتبكة اثناء انسحابها باشتباكات صغرى مع الجيش البولندي؛ ومهما يكن من الامر، فان الروس تركوا الالمان لمعالجة هذه المقاومات، وتقدموا ببطء باتجاه الغرب، وقد ظهرت للعيان من ذلك الوقت صعوبة التغلب على الريبة والشك المغروسين الى غور بعيد في الجيش الاحمر.

وهكذا وجدت وحدات من الجيش الرابع عشر نفسها في موقف حرج اثناء انسحابها عبر (السان) خلال منطقة (التاينو) الشهيرة برمالها وبندرة طرقها وبغاباتها ومستنقعات ضفافها الضحلة نتيجة للهجمات البلولندية عليها، ولنجدة هذه الوحدات وصلت تشكيلات المانية اخرى الى الشرق. بعد ذلك تبدل قرار تقسيم بولندا الاول، فاصبح خط التقسيم الجديد هو خطا (السان) - (بك)، ومعنى ذلك انسحاب القطعات الروسية باتجاه الشرق ثانية وتقدم التشكيلات الالمانية عبر (الفستولا) الى (البك الاسفل) مرة اخرى، ومن ذلك تظهر اي صعوبات وخسائر عانتها القطعات بسبب تعيين الخط الفاصل بالطرق السياسية.

لم تنته الحرب البولندية فعلا الا في منتصف شهر تشرين الاول (اكتوبر)، وحتى بعد ذلك الوقت تكبدت القطعات الالمانية خسائر كبيرة في الارواح.

كانت هيئة ركن رونشتد خلال هذه المدة تسكن بيتا ريفيا في جنوب غربي (وارشو) يعود الى عائلة (باتوكي) البولندية، وفي هذا المكان تلقى رونشتد بتعيينه قائدا عاما للجبهة الشرقية، وان يبقى في بولندا مع هيئة ركنه لحماية البلاد بصفته حاكما عسكريا لها.

لم يكن هذا الامر يتفق مع رغبته بأي وجه، اذ كان قد تقرر احداث منصب الحاكم المدني العام البولندي، فعين حاكم نازي للبلاد والتحق بمنصبه.

سبق ان حدثت اختلافات حادة بين وجهات نظر رونشتد وبين رجالات الحزب النازي، كما حدثت مثل هذه الاختلافات خلال الحرب البولندية، لذلك لم يدخر رونشتد وسعا للتخلي عن منصبه في منتصف تشرين الاول (اكتوبر)، اذ اصدر هتلر نفسه امرا يقضي بنقل رونشتد وهيئة ركنه الى الغرب لاستلام قيادة جحفل الجيش (أ) هناك، وتعيين اللواء (بلاسكوويتس) حاكما عسكريا جديدا لبولندا؛ فسلمت هيئة ركن رونشتد مقاليد البلاد الى الحاكم الجديد، وانتقلت الى (لوتز). وفي نهاية تشرين الاول نقلت هيئة ركن رونشتد غربا الى (كوبلنز) على نهر (الراين) واستلم رونشتد وسام الصليب الحديدي من درجة (صليب الفارس).

اثبتت تجارب الحرب البولندية، ان قسما من مشاة الالمان لم يكونوا ثابتين تحت النار، ولم يبلغ مستواهم مستوى وحدات المشاة الالمانية الشهيرة في سنة (١٩١٤)؛ وقد اهتم بذلك كثير من آمري الوحدات وابدوا تذمرهم من ان بعض قطعاتهم يهاجمون بقلوب خائرة، ومن المؤكد ان مستوى بعض الفرق كان ارفع من ذلك، ولكن حتى هذه الفرق من المشاة كان بعضها دون الحد المرضي.

لم يكن سبب ذلك ناجما عن جندي المشاة الالماني، بل سببه التوسع في انشاء التشكيلات بسرعة فائقة جدا، فلم يحظ الجيش نتيجة ذلك بالانسجام الداخلي المتين؛ وكان السبب المباشر لانهاء الحرب بسرعة ونجاح، يعود الى كفاءة القوة الجوية والدروع.

لقد ارسل الى هتلر تقرير حول عدم كفاءة فرق المانية معينة اثار استياءه، لانه كان مقتنعا بان مشاته ممتازة من الوجوه كافة كالمشاة التي خدم فيها بنفسه جنديا عام (١٩١٤)، لكن الواقع لم يكن كذلك!

ان دراسة الحرب البولندية بالنسبة لرجال الجيش ممتعة ومفيدة من الناحية الثقافية، فقد كانت حربا سيارة اكتنفتها مواقف متبدلة باستمرار بين الدفاع والهجوم والتطويق والتملص والهجوم المقابل. وكان فيها مواقف جديدة ومفاجئة وتبدل سريع في النتائج، ولم يتسير خلالها اي راحة لهيئات الركن وللقطعات خلال النهار، كما لم يتسير بكل تأكيد خلال الليل!

لقد كانت حملة تتفق بصورة* خاصة والخطط السوقية والتعبوية لرونشتد - اي انها كانت حربا ذات تبدلات سريعة، وقد كان رئيس هيئة ركنه اللواء القدير فون (مانشتاين) مخلوقا

بصورة خاصة لمثل هذه الحملة. وقد اسر كلا جحفلي الجيشين حوالي (٦٩٠٠٠٠) بولندي.

اسر في بداية الحملة لواء بولندي فحل ضيفا على مقر رونشتد لمدة يومين، فرثى هذا اللواء سياسة حكومته، وبكلمات مرة عبر عما يكنه: «ان عدد كبيرا من الضباط البولنديين كانو يؤملون ان يضطلع الجيشان الالماني والبولندي معا بمهمة الدفاع ضد الخطر الروسي»!..

ان عدم معرفة ماسيقع من الاحداث المتعاقبة، جعلنا نعتبر حينذاك ما قاله هذا اللواء الشهم مجاملة ليس الا... وربما تسنى له - باعتباره بولنديا ان يبصر مجاهل المستقبل البعيد.

الفصل الخامس

حرب الصاعقة في الغرب
عام ١٩٤٠

كان مقر رونشتد الجديد في المدينة الالمانية القديمة (كوبلنز) على نهر (الراين)، وكانت دوائر المقر في ابنية قديمة سكنها من قبل مقر الفيلق البروسي الثامن وفيها تكاد تلمس بوضوح تقاليد قرن كامل، وقد اسكن معظم الضباط في فندق (ريزن فيرستن هوف).

ظل الموقف السياسي مجهولا في الواقع، لان قادة الجيش والفيالق لم يطلعوا الا على قليل من المقاصد والاهداف، لذلك اثرت اشاعة غير مدبرة فيهم تأثيرا عظيما.

لايكاد يفرق احد بين الدعايات والوقائع الصحيحة. ان المعلومات الناقصة عن الموقف السياسي لم تؤثر على رونشتد وقادة الجيش الاقدمين، كما كان محتملا ان يكون تأثيرها على قادة جيوش الاقطار الغربية.

لقد تعلم الجندي البروسي الالماني اكثر من اي جندي اخر بفعل تقاليد قرنين طويلين، الا يشغل نفسه بالامور السياسية، لهذا السبب كان ميلهم لاستجلاء الخفايا في ذلك الوقت ضعيفا.

ولم تكن اسباب احجام قوات انكلترا وفرنسة عن الاشتراك فعلا في الحرب واضحة، في الوقت الذي كان معظم الجيش الالماني ودروعه وقواته الجوية متحركة نحو الشرق الى بولندا.

ولقد كان التوتر السياسي موجودا منذ ربيع عام (١٩٣٩)، وفي يوم ١ ايلول اندلعت نيران الحرب البولندية ـ الالمانية، وعندما حاول موسليني التوسط يوم ٢ ايلول ـ ذلك التوسط الذي يمكن ان توافق عليه فرنسا والمانيا ـ في ذلك الوقت، اصدر السفير البريطاني في برلين قرارا نجم عنه حدوث حالة الحرب.

ربطت فرنسا مصيرها ببريطانيا، وبقي لغز يصعب حله، وهو: لماذا لم تضع الدولتان القويتان بريطانيا وفرنسا حدا للحرب بكاملها، وذلك بغزو المانيا الغربية في ايلول (١٩٣٩)؟ اكانت هناك اسباب سياسية؟ هل كان هناك امل في اجراء تسوية بعد الحرب البولندية؟ هل ان الاتفاق الروسي الالماني حول بولندا قد اخاف تلك الدولتين.

اما ما اطلق عليه (بالجدار الغربي) فلم يكن الاخدعة من خدع الدعايات الالمانية، ومن الصعب تصديق ان حقيقة شر هذا الجدار بقيت خافية على خدمة الاستخبارات الغربية، فقد كان سمك الخرسانة المسلحة لكثير من حصونه غير كافية للثبات تجاه القصف

الثقيل، كما لم تتيسر ساحة نار كافية لبعض المانعات[1]؛ وفي بداية الامر لم يكن فيه غير قليل من عراقيل الاسلاك الشائكة، وكان تسليح الجدار بالمدفعية والرشاشات الثقيلة ضعيفا، كما كانت شبكة الطرق والسكك الحديد الضرورية لمثل هذه التحصينات في دور الانشاء، وكثيرا ما بذلت الجهود الشاقة في انشاء التحصينات لعدم تيسر الطرق، ثم انشئت من بعد ذلك الطرق.

ان اي عسكري يعلم ضرورة انشاء الطرق والسكك الحديد ومحلات الاسكان اولا، ثم انشاء التحصينات الدائمية من بعد ذلك.

ولقد ضحك رونشتد عندما فتش (الجدار الغربي لاول مرة، وبالاضافة الى ذلك كانت وسائل المخابرة ناقصة وغير متصلة بالمطارات وبمواضع اسلحة مقاومة الطائرات، ولكن الدعاية اظهرت ان (الجدار الغربي) اقوى من خط (ماجينو) القديم نوعا ما، فقد ادعوا ان هذا الجدار كرقعة الشطرنج من حيث قدرته على الدفاع عنه في حين ان خط (ماجينو) لم يكن الا خطأ محصنا قديما، ولكن حقيقة اسلوب الدفاع بالعمق عن (الجدار الغربي) هي انه لم يكن جاهزا في الحقيقة، خلافا لخط (ماجينو) الذي انشيء بدقة وعناية، فكان فعلا اقوى من (الجدار الغربي)، ومن المؤكد ان الفرق بين قوتيهما كان كبيرا جدا.

ومن الطبيعي ان نفترض اشتراك عدد كبير من الجواسيس في اقامة (الجدار الغربي)، ولابد ان فرنسة وبريطانيا عرفتا منهم تمويه الدعاية عن هذا الجدار ومبالغتها في وصف قوته!

يضاف الى ذلك عامل موقف القوات الالمانية في ايلول وتشرين الثاني عام (١٩٣٩)، فقد كان خمسة وسبعون بالمائة من الجيش الالماني والقوة الجوية الالمانية في الشرق تقاتل بعيدا حتى نهر (البك)، ولم يبق في الغرب غير ربع القوات الالمانية بدون اي قوة مدرعة، وفضلا عن هذا، لم يبق في المانيا وفي المطارات الغربية غير وحدات ضعيفة من القوة الجوية، وقد استخدمت هذه الفرق الالمانية القليلة لستر الحدود تجاه هولندا وبلجيكا وفرنسا، فاحتل كل منها قواطع واسعة. . فلم يكن هناك دفاع بالمعنى الصحيح، بل حماية محلية ليس الا. كما لم يحصل في تلك المناطق قتال جوي، اذا اكتفى الفريقان بمجرد المراقبة فقط؛ وكانت هناك حالة حرب ولكن بغير قتال، اذ لم تطلق غير طلقات طائشة هنا وهناك، كما حدثت اكثر الخسائر من الغارات الجوية او من انفجار الالغام ليلا، والحق ان علاقات ودية تقريبا نشأت بين القطعات السائرة الامامية القصوى للطرفين، كما آمن الطرفان بضرورة اجتناب الاعمال الايجابية، كأنما عقدت بين القطعات المتقابلة اتفاقية الرجال الشرفاء، دون ان يخل احد الطرفين بهذا الاتفاق.

وقبيل انتهاء الحرب البولندية في ايلول، سحبت الفرق الالمانية الفائضة عن الحاجة الى الغرب، وبعد انتهاء هذه الحرب اندفعت القوات الالمانية الى (الراين)، فلم يبق في

---

(١) المانعات: جمع مانعة، وهي موقع محصن يمنع العدو من التقدم لتحصينه بالصلب والسمنت، ولوجود اسلحة ثقيلة فيه.

الشرق سوى تشكيلات ضعيفة، ومع هذا لم يقع حتى ذلك الوقت اي شيء يذكر في الغرب. كانت اسهم هتلر لاتزال مرتفعة، وكان الشعب القلق واثقا بان هتلر على صواب دائما وبان هيئة الركن العامة على خطأ دائما. ولقد تبين ان القائد العام للجيش المشير (براوشتش) كان مقتنعا حينذاك بالاكتفاء بمراقبة الحدود الغربية بقوات ضعيفة فقط ريثما يجد السياسيون في اللحظة الاخيرة حلا ما للسلم، لهذا جعل ترتيباته العسكرية دفاعية هناك، ونظم الجيش الالماني وفقا لذلك. وعندما علم هتلر بخطته هذه حدث اصطدام عنيف بينه وبين مقر الجيش، واصدر امره بان يرتب الجيش الالماني في الغرب بشكل يجعله قادرا على الهجوم عند الحاجة، لذلك وجد رونشتد الموقف في الغرب عندما وصل الى (كوبلنز) في نهاية خريف (١٩٣٩) غامضا جدا.

كانت الجهة الغربية مقسمة بين ثلاثة جحافل جيوش: جحفل الجيش (ب) بقيادة فون (بوك) ويضم الجيوش الثامن عشر والسادس والرابع مع القسم الاكبر من الفيلق الآلي، وقد رتب هذا الجحفل بالعمل اعتبارا من الراين الاسفل والى الشرق، وكانت فرقه الامامية على الحدود الشرقية لهولندا وبلجيكا وجناحه الجنوبي في منطقة (ايفل)، وكان هذا الجحفل اقوى بكثير من الجحافل الاخرى، وعلى قواته انعقدت الآمال الكبار.

وجحفل الجيش (آ)، وهو مؤلف من الجيش الثاني عشر بقيادة (ليست) والجيش السادس عشر بقيادة (بش) فقط وبدون قطعات آلية، وكان هذا الجحفل قريبا من الجنوب، ولذلك ربض في مركز الجبهة الغربية، وكانت فرقه الامامية على حدود (فرنسة) و (لوكسمبرك) وجناحه الايمن يمتد الى الجنوب الغربي من (بروم) تقريبا، وجناحه الايسر قرب (نيرزك) في (السار).

وجحفل الجيش (جـ) بقيادة فون (ليب) وقد ستر بجيشه الحدود الالمانية من (نيرزك) ممتدا الى (ساربروكن) والى الحدود الجنوبية من (بلاتينا) البافارية ومن ثم الى الشرق من (الراين) الاعلى بين (كارلس روها) و (بازل) الى الشمال. فكان هذا الجحفل بمثابة حلقة اتصال بين الجحفلين (آ) و (ب). وكانت الخطة الهجومية الالمانية المزمع تطبيقها عند الحاجة في نهاية عام (١٩٣٩) كما يلي:

يتقدم جحفل الجيش (ب) القوي الى جنوب هولندا وبلجيكا باتجاه مضيق (دوفر).

ولقد حدث عام (١٩١٤) ان كانت اهداف المانيا شبيهة بذلك، وعندما وضع رئيس هيئة الاركان السابق الكونت (شليفن) خطته، تلك الخطة التي لم تنفذ وفقا لافكاره، اذا اراد ان يطوق بجناح قوي من الجيش دفاعات فرنسة القوية الشهيرة في الشمال، ليمهد الطريق لحركة التفاف قوية ضد الجيش الفرنسي من اتجاه بلجيكا.

لم يعلم رونشتد فيما اذا كانت خطة (١٩٣٩) توارد خواطر لخطة عام (١٩١٤) ام هناك اسباب مسوغة لاعادة خطة (شليفن) على شكل اوسع، ومهما يكن الامر فقد القي على الجحفل (ب) الواجب الرئيس في تطبيق هذه الخطة.

وكان الواجب المخصص لرونشتد ابسط من ذلك كثيرا، فقد كان على جحفل الجيش

(آ) القيام بواجب ثانوي هو التقدم الى (الموز) الوسطى فقط بين (جفت) و (سيدان) على ان يستر الجناح الايسر لجحفل الجيش الشمالي بعد ذلك، ومن ثم فكل شيء يتوقف على تطورات الموقف.

اما جحفل الجيش (جـ) فقد كان عليه ان يشترك في القتال فيما بعد، اذ يخترق خط (ماجينو) من الشمال والشرق ويحتل الالزاس واللورين.

عمل مقر رونشتد اعتبارا من كانون اول (١٩٣٩) مستندا الى المبدأ التالي:
لوصدر امر بالتقدم غربا لاقتضى تبديل الخطة الراهنة. يتميز رئيس هيئة ركن فون رونشتد اللواء البارز فون (مانشتاين) بروح الابداع، فهو الذي دأب على التفكير في مختلف المسالك المتوقعة، فكان فضل ظهور خطة العمل بشكلها النهائي يعود اليه وحده. وقد اقر رونشتد فكرة رئيس هيئة ركنه بلمحة خاطفة واحدة، تلك اللمحة التي كانت من خصائصه، وعكف بعد ذلك مع رئيس هيئة ركنه على ايضاح الخطة الجديدة للقيادة العليا بعد ان استنفذت تلك الخطة شهورا طويلة لاكمالها.

ان مسؤولية نتائج الخطة المقترحة تقع على عاتق القائد الاعلى وحده، اي على فون رونشتد بالنسبة للتقاليد العسكرية.

لقد تساءل رونشتد ورئيس هيئة ركنه: عما اذا كان هجوم جحفل الجيش الشمالي في هولندا يؤدي الى انتصار حاسم باسرع مايمكن، وكان كل من هولندا وبلجيكا قد اقام موانع قوية للغاية ضد الآليات، وكان من اهم تلك الموانع القنوات ومناطق المستنقعات في هولندا التي تعرقل تقدم الدروع عرقلة خطيرة، ولم تقتير هولندا وبلجيكا على دفاعات الحدود القوية والتحصينات الداخلية، بل كان لديهما خطوط التحصينات التي نظمت بالعمق؛ ولان حالة الحرب موجودة منذ امد طويل فمن المفروض ان الجيشين الهولندي والبلجيكي قد حصلا على الوقت الكافي لانجاز الاستعدادات الدفاعية.

هنا اقترح (رونشتد) استنادا الى اقتراح (مانشتاين) وضع فيلق مدرع بأمرة جحفل الجيش (آ)، كما اقترح بعد ذلك توسيع اهداف الجحفل (آ) اكثر من السابق نحو الغرب، اي لايقتصر هذا الجحفل على التقدم الى (الموز) الوسطى فحسب، بل عليه ان يعبر هذا النهر ويستمر في تقدمه باتجاه الغرب، وبذلك اما ان يستطيع جحفل الجيش (آ) حماية الجناح الجنوبي لجحفل (بوك) واما ان يقوم بمساندة جحفل الجيش (ب») غرب (الموز) مندفعا الى الشمال باتجاه (بروكسل)، وقد حصلت موافقة مقر هيئة ركن الجيش على هذه المقترحات. وعلمت خدمة الاستخبارات الالمانية في الاشهر الاولى من سنة (١٩٤٠) بعقد مؤتمر في (بروكسل) بين ضباط ركن من فرنسا وبلجيكا وهولندا، ولم يكن ذلك غريبا لانه من جملة التدابير الوقائية، ولكن الغريب في الامر ان اشياء معينة مما دار في المؤتمر المذكور اصبحت معروفة، وبذلك اصبحت هيئة ركن القيادة الالمانية العليا على علم بان قطعات الجيش البريطاني التي جرى انزالها في اوروبة وجيشا فرنسيا قويا سيتقدمان عبر الحدود الفرنسية الشمالية مباشرة باتجاه (بروكسل) لغرض اجتناب موقف مشابه لما حدث سنة

(١٩١٤)، ولتأمين اسناد مؤثر للجيش البلجيكي الهولندي فيما لو اجتاز الالمان الحدود.
ايدت هذه المعلومات اقتراح اللواء فون (مانشتاين) حول تبديل الهيكل العام لخطة الحركات التي وضعها، فقد اصبح واضحا الان بأن هجوم الحلفاء الغربيين الاربعة وهم فرنسة وانكلترا وهولندا وبلجيكا، من داخل بلجيكا سيؤدي الى اصطدام قواتهم مع الهجوم الرئيس الذي سيشنه جحفل الجيش (ب)، مما يفضي الى تعذر الحصول على نتيجة سريعة، بل سيؤدي الامر الى قتال مديد في مناطق محصنة في هولندا وبلجيكا.
ان اللفتة البارعة في التعديل الجديد لخطة رونشتد ومنشتاين هي في نقل مركز الثقل للجيش الى المركز، اي جحفل الجيش (آ).

وعلى ذلك فان الاندفاع الحاسم سيكون مباغتة تامة لخط (نامور ـ سيدان) والى الغرب، وسيؤدي الى استمرار الاندفاع الى الامام حتى ساحل القنال الانكليزي بين (دانكرك) و (ابفيل)، وبعد ذلك في حالة سحب القوات الفرنسية ـ الانكليزية الى المناطق المحيطة بـ (بروكسل) فان هذا الاندفاع السريع لجحفل الجيش (آ) قد يأثر على جناح وخلف تلك القوات من الاتجاه المذكور، وربما نجح في قطع خط انسحاب الجيش البريطاني الى موانيءالقنال وقطع خط رجعة الجيش الفرنسي الى فرنسا. كانت القضية كلها تنحصر في جعل العدو يتصور احتمال وجود القوات الالمانية الرئيسية في الشمال. وبعد كثير من الاختلافات في وجهات النظر بين هتلر والقيادة الالمانيا العليا، اقر هتلر هذه الخطة التي قدمت اليه، وهكذا ظهرت الى الوجود الخطة النهائية للحركات التي كتب لها تنفذ يوم ١٠ مايس عام (١٩٤٠).
وضع الجناح الايسر لجحفل الجيش (ب) اي الجيش الرابع فون (كلوكا) بامرة جحفل جيش رونشتد دون ان يبدل القاطع المخصص له، وهكذا اصبحت بأمرة رونشتد ثلاثة جيوش: الرابع والثاني عشر والسادس عشر، كما اصبح بأمرته القسم الاعظم من قطعات الفيلق المدرع والآلي الالماني، وكان اللواء فون (كليست) يقود هذا السلاح المدرع الحاسم الذي دعي حينذاك باسم: الجحفل المدرع، بينما كان (كودريان) قد استلم الوحدات الامامية من الجيش الآلي؛ وهكذا اصبحت بأمرة فون (كليست) تسع فرق مدرعة وآلية نقلت الى مركز المنطقة المحتلة من الجيشين السادس عشر والثامن عشر، وكان عمق هذه الوحدات كبيرا الى درجة ان وحداتها الخلفية مواضعها الى مسافات بعيدة شرق (الراين)، وبالاضافة الى هذه الوحدات كان هناك الفيلق الخامس عشر المدرع المؤلف من الفرقة الخامسة المدرعة والفرقة الرابعة المدرعة (رومل) والذي جعل بأمرة الجيش الرابع مباشرة.
من ذلك يتضح ان القوات التي اصبحت تحت قيادة رونشتد مؤلفة من عدد هائل من المشاة واحدى عشرة فرقة مدرعة وآلية، وقد كان واجبا شاقا امر تعبية مثل هذه الكتل الضخمة من القطعات في فسحة ضيقة نسبيا بين (الراين) والحدود الغربية، وادامة[1] هذه

(١) الادامة: تموين القطعات بالارزاق والعتاد والسلاح والرجال، وتصليح آلياتهم وتجهيزاتهم واسلحتهم وموادهم.

القطعات، واصعب من ذلك امر تحريكها الى اهدافها.

هذا هو الموقف التقريبي في مايس عام (١٩٤٠)، وفي يوم ٩ مايس وصلت معلومات الى رونشتد من مقر القيادة العامة عن قرب انزال قطعات بريطانية في سواحل بلجيكا وهولندا.

لقد تمكنت القطعات الالمانية خلال ستة اشهر، وهي المدة بين انتهاء الحرب البولندية وبين ابتداء الحرب في الغرب، ان تحصل على ثمرات تجارب الحرب البولندية نتيجة للتدريب المتواصل على ضوء تلك التجارب، ففي تلك الشهور التي لم يعكر صفوها قتال ارتفع مستوى كفاية قسم من الجيش الالماني لاول مرة بصورة محسوسة.

ضلت احدى طائرات القوة الجوية الالمانية طريقها في بداية سنة (١٩٤٠)، فاضطرت الى الهبوط في منطقة الحلفاء وهي تحمل ضابطين المانيين، وكان هذان الضابطان يحملان تفاصيل بعض اقسام خطة الحركات الالمانية، فاستطاعا تمزيق بعض اوراق هذه الخطط بعد اضطرارهما الى الهبوط. لقد اهتمت القوة الجوية الالمانية بذلك كثيرا، ولكن هتلر كان اهتمامه اقل من ذلك، فقد تصور ان الحلفاء قد يعتبرون هذا النزول الاضطراري خدعة مدبرة لتضليلهم، وفضلا عن هذا فان مالديهم من المعلومات على الخطة القديمة لا الخطة الجديدة التي وضعها رونشتد ومنشتاين، لهذا لم تلحق هذه الحادثة ضررا ما بالالمان.

وقد حدث عمل اخر غير متقن في المدة بين تشرين الثاني عام (١٩٣٩) ومايس عام (١٩٤٠)، فقد تبدلت الاوامر الصادرة بالتقدم الى الحدود والانسحاب منها مالايقل عن احدى عشرة مرة، وحتى القراء الذين لا معلومات عسكرية لديهم يستطيعون ادراك مدى التنظيم والضبط الضروريين لحركة مثل هذه القطعات الكبيرة الى الامام مرات عديدة وسحبها الى الخلف ثانية.

لقد سبق لهتلر ان استخدم مرة مثل هذه الاساليب بمقياس صغير في خريف سنة (١٩٣٨) قبل التقدم نحو (السوديت)، كما استخدمها مرة اخرى في نهاية آب (١٩٣٩) قبل ابتداء الحرب البولندية، وكان قد طبق ذلك لاغراض سياسية، وقد اصبح مألوفا ان تعزي اسباب تبديل الاوامر الى الاحوال الجوية، فكان الجيش يتسلم، اوامر تنص على التخلي عن التدابير المتخذة كافة نظرا لسوء الاحوال الجوية، اي ان الثلج والمطر في جبال غربي (الراين) تمنع القيام بتلك الاعمال. لقد كانت تلك الايام من الايام المزعجة لرجال الانواء الجوية، ومهما يكن الامر فان رونشتد وكثيرا من الضباط كانوا لايعتقدون بانهم سيقومون بهجوم جدي في اي حال من الاحوال.

وقدم هتلر في ٦ تشرين الاول (١٩٣٩) للعالم فرصة لانهاء الحرب بخطابه الذي القاه في (الرايخشتاغ)، لذلك فقد تداعت ثقة الجيش من شهر الى اخربامكان حدوث (تعرض[1])ما من القوات الالمانية ضد الحلفاء، وقد قام مساعد هتلر اللواء (شبدل) خلال

(١) التعرض: مبدأ من مبادىء الحرب، ومعناه الهجوم باوسع معانيه.

الشتاء بزيارات متعاقبة للمقرات والوحدات ليطلع بنفسه على تأثير جو الشتاء على الطرق والانهار.

وكان شتاء سنة (١٩٣٩ ء ١٩٤٠) شتاء قاسيا، وكانت الجسور المهمة عبر (الراين) و (الموزل) مهددة بخطر فيضان الثلوج، كما كانت الطرق المتعرجة في منطقة الجبال بين

الحدود و (الراين) متجمدة، وكانت العجلات الآلية تتزحلق، اما المدفعية المسحوبة بالخيل فكان باستطاعتها التقدم ببطء. لقد تنبأ رونشتد بعقم اية حملة في الشتاء، لان مثل هذه الحملة تكون خاضعة لعوامل ليست في الحسبان.

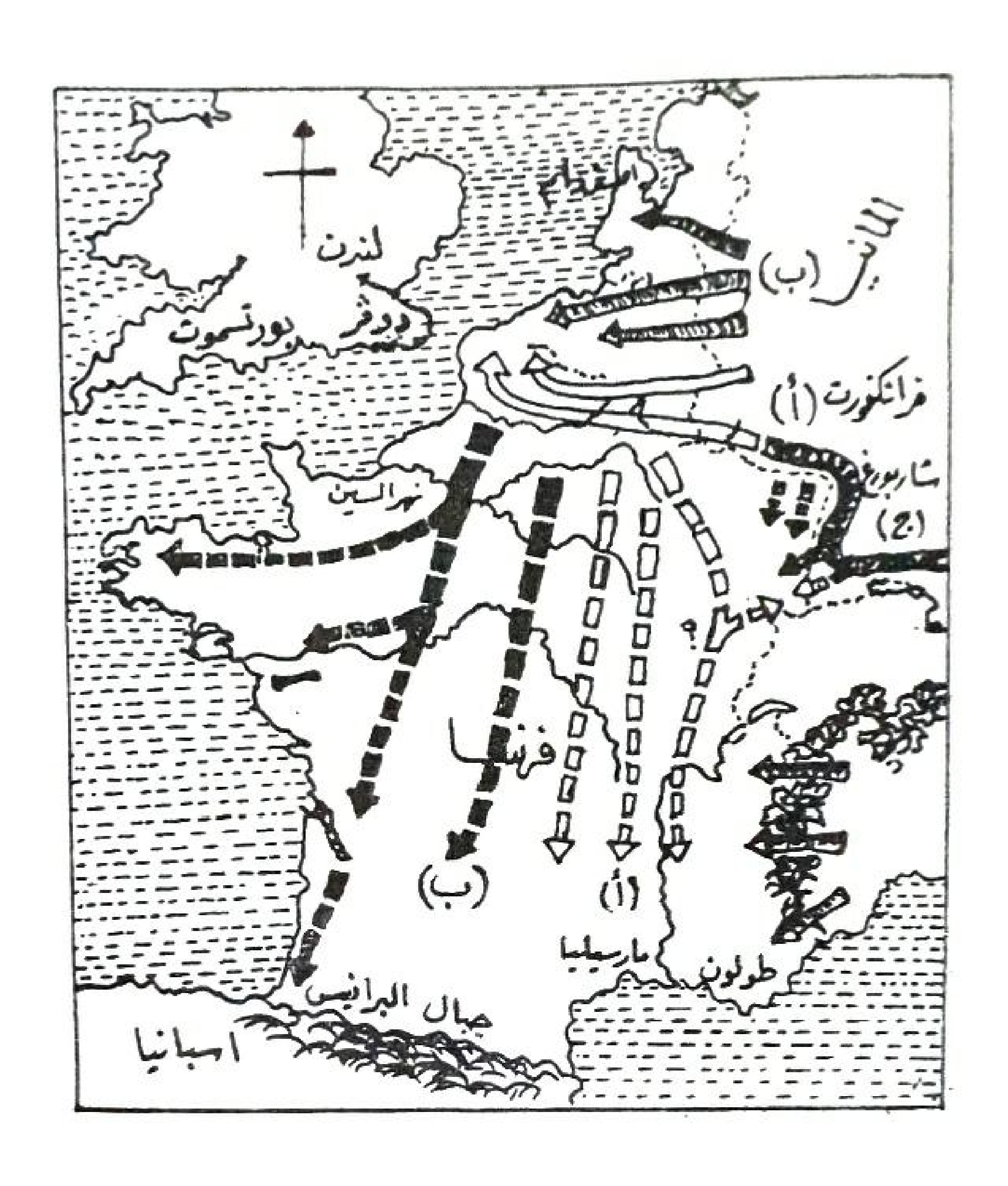
واخيرا ينبغي الاشارة الى نقل فون (مانشتاين) الالمعي من منصب رئيس هيئة الركن لقيادة فون رونشتد وتبديله باللواء فون (سود نستيرن) نتيجة لما حصل من احتكاك وكراهية له باعتباره صاحب خطة الحركات الجديدة والحريص على تطبيقها والمنافح عنها. لم يفلح رونشتد في محاولة الغاء هذا النقل، وقد رفع (مانشتاين) الى رتبة لواء واسندت اليه قيادة فيلق، ولكنه كان فيلق مشاة!!

ربما كان مانشتاين قد برز باندفاعه وابداعه في افكاره فجعله ذلك غير محبوب، ومع ان القائد العام وهيئة ركنه اسفوا بطبيعة الحال لفراق مانشتاين، فقد قنعوا برئيس الركن الجديد الهادىء الماهر فون (سودنستهيرن).

لقد ابرزت الخطوط الرئيسة فقط للخطة السوقية، فقد كان واجب جحفل جيش رونشتد بجيوشه الثلاثة والجيش المدرع الاندفاع الى الامام عبر خط (نامور ـ سيدان) والوصول الى ساحل القنال الفرنسية بين (دانكرك) و (ايفيل) بأسرع مايمكن لقطع خطوط رجعة البريطانيين والفرنسيين كافة، المتقدمين نحو بلجيكا دون ان يشغل نفسه بالتفكير في جناحي جحفل جيشه.

ان نظرة واحدة الى خريطة فرنسة، تظهر ان كل ميل يقطعه جحفل الجيش نحو الغرب يؤدي الى اطالة الجناح الجنوبي لجحفل جيش رونشتد، اي يؤدي الى ان يتعرض لتهديد خطير، وهكذا امتد جناحه الجنوبي من (سار لويس) مارا (بسيدان) ـ (لا اون) والى (ابيفيل) وذلك عند وصول قطعات جناحه الايسر الى (ابيفيل)، وبذلك اصبح طول الجناح حوالي (٢٢٠) ميلا اذا قيس كخط مستقيم بصرف النظر عن الانحناءات، ولكن في الحقيقة كانت هذه الجبهة المكشوفة التي تمتد جنوبا اطول بكثير من ذلك، وقد كانت القيادة تنوي تقوية هذا الجناح الطويل تدريجيا بتغيير اتجاه الاحتياطات التي كانت تتقدم في الخلف. يتضح من ذلك انه كلما توغل الجيش الرابع والجيش المدرع في تقدمه غربا، اشتدت الحاجة لاستدارة الجيشين الثاني عشر والسادس عشر نحو الجنوب لحماية الخط المشار اليه اعلاه، ولاسيما ذلك الجزء الكائن على (الايسن) و (السون).

علم رونشتد بوجود احتياطات فرنسية قوية حول (باريس) و (شالون ـ سير مارن ـ وفردان)، ولابد انها باقية هناك، ولم يكن يجهل المهارة الفائقة المتوارثة لهيئة الركن



الحملة الغربية عام ١٩٤٠

جحفل الجيش (ج) في الصفحة الاولى — جحفل الجيش (ب) في الصفحة الاولى — جحفل الجيش (أ) في الصفحة الاولى

جحفل الجيش (ج) في الصفحة الثانية — جحفل الجيش (ب) في الصفحة الثانية — جحفل الجيش (أ) في الصفحة الثانية

الايطاليون في الصفحة الاولى

الفرنسية، كما كان يعلم ايضا بان شبكة الطرق وخطوط السكك الحديد المتميزة تساعد على نقل قوات قوية بسرعة، وكان يحمل رأيا عاليا عن اللواء الفرنسي (غامليان)، فقد اعتاد ان يقول ضاحكا: «من المؤكد ان صغيري (غامليان) يعرف مايصنع».

لقد اتيح لرونشتد ان يعرف اللواء (غامليان) في لندن سنة (١٩٣٦) عندما كان هناك ممثلا للجيش الالماني في مراسيم تشييع جنازة الملك جورج الخامس.

وكان اهم مايشغل تفكير رونشتد هو احتمال نجاح الفرنسيين في هجوم مقابل قوي يشنونه من الجنوب باتجاه جناح جيشه الايسر العميق، وقد اهتم ايضا بـ (الموز) بالدرجة الثانية، كما ادخل في حسابه استفادة الفرنسيين المحتمة من اشهر الحرب الطويلة بين ايلول عام (١٩٣٩) ومايس عام (١٩٤٠)، فحصنوا منطقة (الموز) من (سيدان) الى (نامور) تكملة لتحصينات خط (ماجينو)، مستغلين كل وسيلة ممكنة لانجاز ذلك، ولابد انهم احتلوا هذه المنطقة بقوات كافية.

كان على الجيوش الالمانية التابعة لجحفل الجيش (آ) ان تتغلب على دفاعات الحدود اولا، وان تطهر المنطقة من العقبات الكثيرة المضادة للدبابات، ثم تتقدم مخترقة بلجيكا الجنوبية ذات الجبال والغابات، الى ان تصل في اندفاعها الى نهر (الموز)؛ وقد افترض ان المقاومة ستنبعث من قطعات الحدود ومن القطعات السيارة الخفيفة ابتداء من الحدود وفي داخل البلاد، ولذلك قد تستغرق مقدمات الجيش المدرع وجيوش المشاة الثلاثة يومين او ثلاثة ايام قبل ان تصل الى (الموز) بين (نامور) و (سيدان)، وعلى هذا فلدى الفرنسيين وقت كاف لاحتلال هذه المنطقة بسهولة.

تكثر في وادي (الموز) ووادي (سي مواز) الضفاف الحادة والغابات، كما ان هذين النهرين متعرجان كثيرا، لذلك يتطلب التغلب على عقباتها كفاحا طويلا مريرا حتى ولو اقتصر الامر على الوصول الى الخط المحصن في (الموز).

لقد كان اهتمام رونشتد بهاتين الناحيتين في محله، وسيكشف لنا الشرح التالي حدوث المعجزات. اخترق الحدود جحفل جيشي (آ) و (ب) على طول حدود هولندا وبلجيكا ولوكسمبرغ وفرنسا، بينما ظل جحفل الجيش (جـ) متحفزا؛ وكانت بلاغات الجيش وابواق الدعاية قد ركزت اهتمامها بجحفل الجيش (ب) كي تلفت اليه الانظار لاسيما في الايام الاولى من الحركات لغرض الخدعة. اما جحفل جيش رونشتد فلم يذكر عمدا ولم يشر اليه الا باشارات عابرة، وذلك ليتسنى له تحمل العبء العظيم الملقى على عاتقه، فيتقدم بكل قوة مندفعا نحو الغرب، وسيجري تعقيب مجرى الحركات لهذه الحملة بصورة عامة.

امكن الوصول الى استنتاج على جانب عظيم من الاهمية قبيل البدء بالحركات، فقد توقع رونشتد وقادة جيوشه كما ذكرنا سابقا انجاز تحصين خط (الموز) تحصينا ممتازا واحتلاله بقطعات كافية، وقد ظهرت في التصاوير الجوية كافة تحصينات واسعة حول (شالفيل) و

(ميزيبرس)، كما امكن ملاحظة وجود قطعات كبيرة شرق (الموز) من التصاوير الجوية ايضا.

وكان في هيئة ركن رونشتد ضابط مهندس بارز من صنف هندسة الحملة هو الرائد (فون سكوتا) احد منتسبي صنف الهندسة النمساوية سابقا، وقد استطاع هذا الضابط بعد دراسة التصاوير الجوية ان يدرك بان هذه التحصينات ناقصة، اذ لم تنشأ غير اساساتها فقط، فساعد هذا الاستنتاج الذي عرف قبيل تقدم جحفل (كليست) المدرع على نجاح تقدم هذا الجحفل كثيرا.

ولم تصادف جيوش المشاة الثلاثة والجيش المدرع التي اجتازت الحدود البلجيكية ـ اللوكسمبركية ـ الفرنسية بين منطقة (ايفل) و (ميرزك) صعوبات كبيرة، فسرعان ما ازيلت او نسفت حواجز الطرق وموانع ضد الدبابات الكثيرة، واستمر المشاة والدروع على التقدم بسرعة، لانهم تحاشوا انواع الموانع والعراقيل كافة خلال تقدمهم.

وكانت كثير من الدفاعات الصغرى خالية من القطعات، وامكن كسر شوكة مقاومات العدو الضعيفة بسرعة حيثما وجدت في الايام الاولى، ولم يحدث ابدا قتال على الحدود او حدث قتال لايستحق الذكر.

كانت المقاومة على الحدود البلجيكية بطبيعة الحال اشد عنفا، حيث تبدأ المواضع الامامية لخط (ماجينو) هناك. لم تشغل قطعات (لوكسمبرغ) خط دفاعها على الحدود، بل ان شرطة هذا القطر ساعدت في تنظيم سابلة الارتال الالمانية المتقدمة مساعدة فعلية.

وفي ١٠ مايس و ١١ منه بدأت المقاومة تشتد لاول مرة في نقاط خاصة، وقد ابتدأت المقاومات بقيام فرقة البندقيات (اردنس) البلجيكية بالاشتراك مع فرقة خيالة فرنسية بصورة مفاجئة بمقاومة خطيرة في منطقة ملائمة للتعويق، ولكن لم يكن هناك اي جدوى لاية شجاعة في العالم اواء كتل هائلة من الدروع والمشاة كانت تتقدم على جميع الطرق والسبل بالاضافة الى تقدمها عبر الاراضي خارج الطرق، وكان لدى كل فرقة خرائط مفصلة مؤشر عليها محاور التقدم بألوان مختلفة، وقد تركت طرق تموين خاصة مفتوحة لمرور التقويات، وجرى سلفا تثبيت هذه الطرق والسبل على الخرائط حتى نهر (الموز)، ولمعرفة حقيقة الموقف يمكن تصور كتل ضخمة متماسكة تسير جنبا الى جنب يمتد عمقها حتى (الراين).

كان شغل رونشتد الشاغل هو التفكير في كيفية تنظيم حركة هذا العدد الهائل من المشاة والدروع. لقد كان شيئا ممتازا في سنة (١٩٤٠) عدم قيام الفرنسيين والقوة الجوية الفرنسية والانكليزية بالهجوم على هذه التشكيلات الضخمة بأي درجة من درجات الفعالية الجوية المؤثرة، ولو حدث ذلك لكانت النتائج خطيرة جدا.

وبينما كان على كل من الجيشين الرابع والثاني عشر وجيش فون (كليست) المدرع الاتجاه غربا نحو (نامور ـ سدان)، كان من واجب الجيش السادس عشر الاستدارة جنوبا نحو خط (سيدان ـ سيريك) لكي يستر جناح جحفل رونشتد الجنوبي الممتد ويديم التماس

بجناح جحفل الجيش (ج) الايمن في جنوب (ميرزك)، وعندما وصل الجيش السادس عشر الذي كان يقوم بالاستدارة الى خط (ماجينو) تسلم الاوامر لتقدمه الى هذا الموضع المحصن الى مسافة لا تتجاوز مدى نيران العدو لغرض تقليل الخسائر، وكان على هذا الجيش بعد ذلك ان يحفر مواضع دفاعية له. . . كانت جميع هذه الخطط قد انجزت نظريا على الخرائط سلفا ونفذت فيما بعد بكل دقة دون ان يعترض تنفيذها عقبات محسوسة.

وفي يوم ٩ مايس تقدم فون رونشتد مع ضابط ركنه الشخصي من مقره في (كوبلنز) الى الامام حيث وصل الى بقعة شجراء قريبة من (بيت بيكرك) الواقعة على بعد اثني عشر ميلا فقط من مركز جبهة جحفل الجيش، وهناك تتبع رونشتد تقدم جيوشه بانتباه دقيق.

وعندماوصلت الوحدات المدرعة الامامية الى (الموز)، نقل رونشتد مقره من (بيت بيرك) الى (باستون) لكي يكون على اقرب مايمكن من قطعاته في هذه اللحظة الحاسمة؛ لاشك ان المقاومة في شمال بلجيكا اشتدت، فحدث هناك قتال شديد في بعض النقاط، ولكن لك لم يؤد الى توقف الجيوش؛ وكما قدر في الخطط، فان وحدات الاستطلاع وصلت الى (الموز) بين (نامور) و (سيدان) خلال بضعة ايام.

زار هتلر رونشتد في مقره الكائن في (باستون) ليطلع بنفسه على الموقف، وفي هذه المناسبة لم يتطرق احد الى امور معينة، وقد تقدم رونشتد وبرفقته ضابطان الى (الموز) بين (مزيرس) و (سيدان) لكي يطلع على الموقف بنفسه، فوجد هندسة حملة القطعات المدرعة قد شرعت باقامة وسائل العبور، وعلى الضفة الغربية كان يمكن مشاهدة بضع مانعات، وكانت النار ضعيفة وغير دقيقة، ولم يظهر وجود للمدفعية الفرنسية في الحركات، اذ لم يسمع غير اصوات نيران الرشاشات فقط.

لقد حدثت المعجزة الاولى التي لم يستطع روشنتد تفسيرها: تلك المعجزة هي عبور نهر (الموز) بين (شارل فيل) و (سيدان) خلال اربع وعشرين ساعة بخسائر طفيفة.

وكان القتال بالنسبة للجيش الرابع في الشمال اشد عنفا بكثير، فهناك اضطرت الفرقتان المدرعتان الخامسة والسابعة من فرق المشاة الى القتال بشدةعند العبور بالقرب من (دنيانت) و (جيفيت)، كما حاول العدو القيام بالهجمات المقابلة، ومهما يكن الامر، فقد امكن في النهاية عبور النهر ايضا بين (نامور) و (جيفيت)، والتأخير الوحيد الذي حدث كان سببه عراقيل كتل السابلة في الضفة الغربية لاعمال العدو، ولم يكن على نهر الـ (سي مواز) ذي الضفاف الحادة سوى بضعة جسور سبق تخريب اكثرها، وهناك تكدست الارتال الالية غير المحدودة كما تكدست معها ارتال المشاة السائرة على الاقدام من فرق المشاة.

وقد اوفد روشنتد ضابطا في طائرة لاكتشاف اسباب التأخير ولكي ينظم التقدم بعد ذلك بواسطة شرطة السيطرة على السابلة.

ولم تكد الفرق المدرعة وفرق المشاة الامامية تنتهي من عبور (الموز) متجهة نحو الغرب،

حتى نقل روشنتد مقره الى الامام حيث استقر في (شارل فيل)، وتقدمت خلف الجيوش قوات كبيرة اخرى كانت احتياطا بأمرة مقر ركن الجيش، الا ان تفاصيل حركة وادامة هذه الفرق الكثيرة بقيت تحت مسؤولية رونشتد.

لقد ذكرت سابقا بان رونشتد يحمل رأيا عاليا جدا عن القيادة الفرنسية العليا، لذلك كان هو ورئيس هيئة اركانه يتوقعان الان تعرضا مقابلا كبيرا مباغتا تقوم به قوات فرنسية من منطقة (فردان) و (شالون) ـ (سير) ـ (مارن) متجهة نحو الشمال الى (سيدان) و (مزيرس) ضد الجناح الايسر الذي لم يزل يمتد باستمرار، وهو جناح الجيوش التي كانت تندفع للامام باتجاه الغرب. لقد كان في استطاعة تعرض مثل هذا السيطرة على الجسور الحيوية الوحيدة على (الموز) والاخلال بتموين القطعات المقاتلة باتجاه الغرب اخلالا خطيرا. كما افترض روشنتد بالاضافة الى ذلك بان العدو سيقوم بهجمات قوية نحو الشرق باتجاه (لونك وي) و (مونت ميدي) تشنه قطعات قوية من الجنوب بحماية خط (ماجينو)؛ والواقع ان اياما قليلة قاسية مرت بنا، وفي اغلب الاحيان كان القتال متقلبا بين الشدة والسهولة.

وكان قصف المدافع ولاسيما في الليل يرتفع في بعض الايام بشدة الى درجة لايستهان بها، مما حدا بالقائد العام الى ان يخبر عنها الجيش السادس عشر برأيه هاتفيا في عدة مناسبات. وفي جنوب (سيدان) في اعالي (ستوين) نشبت معركة دروع سيارة بين القوات المدرعة الالمانية والفرنسية، وقد اضطرت الفرقة الفرنسية المدرعة الى التراجع مرة اخرى نحو الجنوب، بينما استمرت الدروع الالمانية على التقدم نحو الغرب، وطالما هاجم الجيش الرابع وجحفل فون (كليست) المدرع بنجاح بعد ذلك واحيانا بقتال عنيف، شاقين طريقهما نحو (فلنسينس ـ سانت كوينتن). ولكن بقيت هناك حاجة لاستدارة قطعات قوية من الجيش الثاني عشر واحتياطات الجيش نحو الجنوب لستر الجناح الجنوبي الذي لم يزل يمتد ويمتد، فكان ممتدا من (سيدار) متجها نحو الغرب الى (الايسن) وبعد ذلك الى (السوم).

بقي رونشتد وهيئة ركنه في (شارل فيل) منذ ذلك اليوم، ولاشك ان في بقائه هناك محذورا، لان الاتصال الشخصي بجبهة الهجوم يصبح سهلا لو ان المقر عقب الجيش المدرع الى (سنت كونتين)، ولكن ينبغي ان نتذكر بأن الجناح الايسر كان حينذاك جنوب (لوكسمبرغ)، وكان هناك الجبهة الجنوبية المهددة التي ينبغي السيطرة عليها والتي امتدت اخيرا حتى (ابيفيل) حيث رتب هناك جيشان قويان للدفاع، ولذلك عندما زار هتلر (شارل فيل) لاول مرة اتفق تماما بان رونشتد يجب ان يكرس اكبر انتباهه لجناحه الجنوبي الطويل المهدد اكثر مما يكرسه للجيش الرابع والجيوش المدرعة المندفعة نحو الغرب، فقد كانت القوات الاخيرة بأمرة قادة مجربين وفعالين: فون (كلوك) و (كودريان) وفون (كليست)، وكان لدى هؤلاء القادة اوامر جازمة للوصول الى الساحل بين (دانكرك) و (ابيفيل)، ولم يكونوا بحاجة الى توجيهات تحددهم، كما كان امر وصولهم الى الساحل مفروغا منه تماما

ومؤكدا، في حين ان القيادة الالمانية لم تزل غير واثقة من قيام الفرنسيين بمباغتة تعرضية اوعدمه.

ولم تقع المباغتة الفرنسية المتوقعة، فظهر اخيرا ان قلق القيادة حول الجناح الجنوبي الطويل لم يكن في محله، اذ لم يحدث شيء خطير في هذه الناحية، وقد بقي الفرنسيون مدافعين تجاه الجيشين الثاني عشر والسادس عشر دفاعا مستكنا، وكانت هذه هي المعجزة الثانية، وهي المعجزة التي سماها هتلر بعد ذلك باسم المعجزة التامة، ويقصد بهذه المعجزة الصفحة الاولى من الحملة بكاملها.

ولاشك من وجود اسباب كافية لدى قيادة الحلفاء العليا لاخلاء (الموز) بهذه السرعة، وعدم محاولتهم القيام بأي حركة من اتجاه فرنسة، ولكن رونشتد لم يكن عالما بهذه الاسباب في عام (١٩٤٠)، فقد كان يفترض دائما اسوأ الاحتمالات من جانب العدو بالنسبة للالمان، فاذا ماتطورت الامور من بعد ذلك خلافالما افترضه من احتمالات، فنور على نور.

ولاتحتاج الحركات التي حدثت بعد تنفيذ القسم الاول من الحملة الا الى شرح موجز، ففي يوم ٢٠ مايس وصلت تشكيلات قوية مدرعة من جيش فون (كليست) مصب نهر (السوم) بالقرب من (ايفيل) بعد ان مرت بـ (سانت كونتين) و (اميانس)، وقد وصلت فرق المشاة بمسيرات قسرية الى هناك لتسلم المناطق المحتلة من القطعات المدرعة وتحتل مواضع دفاعية في جنوب هذا النهر.

ونشأ موقف حرج قرب (آراس)، فقد حاولت قطعات فرنسية التملص من (ليسل) خلال (آراس) الى (اميانس) ومن الاتجاه المضاد جلبت قطعات من باريس لتندفع الى الامام باتجاه (آراس)، وبذلك اصبحت وحدات القطعات الالمانية مشتبكة بقتال عنيف حول (آراس) واصبح هناك احتمال قوي بقطع خط رجعة هذه القطعات، ولكن كان هناك كتل ضخمة لايستهان بها من القطعات الالمانية قادمة من الشرق باتجاه (آراس)، لذلك لم تستمر مقاومة الفرنسيين غير وقت قصير.

واستمر المشاة على مسير يومي بلغ حتى حد خمسة وعشرين ميلا، وقد وصل معدل مسير بعض الفرق التي كانت في الامام متجهة نحو (اميانس) و (ابيفيل) خمسة وثلاثين ميلا او اكثر من ذلك في بعض الايام.

وقد رافق المشاة المحملون في السيارات الدبابات دوما، وحافظوا في سرعة حركتهم على معدل سرعة حركة الدبابات... بل تجاوزوا الدبابات في بعض الاحيان؛ ولاجل ايضاح الموقف ينبغي ان نشير الى ان جحفل الجيش (ب) استدار نحو الغرب بعد خروجه من شمال بلجيكا، وقد شق هذا الجحفل طريقه خلال القنوات والمواضع الدفاعية والتحصينات في جنوب هولندا وبلجيكا بعد اشتباك بالقطعات الهولندية والبلجيكية والفرنسية والبريطانية وكسر شوكة المقاومة العنيفة.

لقد كان واضحا تماما، بان الهولنديين سيستسلمون يوم ١٤ مايس البلجيكيين سيستسلمون يوم ٢٨/ مايس، لان موقفيهما كان يائسا للغاية.

وهكذا اقتربت الاجنحة الداخلية لجحفلي (أ) و (ب) من بعضهما بصورة مستمرة، ونسقا حركاتهما.

وبين هذين الجحفلين كانت تقاتل تشكيلات فرنسية لا يستهان بها، ومفارز بلجيكية وهولندية والجيش البريطاني بأسره، وكانت القوات الالمانية تضغط على تلك القوات باستمرار فيؤدي هذا الضغط الى تجمعها في منطقة (أوستند ـ دانكرك ـ ليل ـ بروكسل)، وقد حدث قتال عنيف في هذه المنطقة خاصة حول تحصينات (موبوك) و كوندي) و ليل).

وكان الجحفل (ج) لا يزال في مواضعه القديمة ينتظر امر قيامه بالهجوم، وقد حدث قتال محلي في نقاط عديدة من الجبهة الدفاعية الواسعة على (الايسن) و (السوم) وعلى الاخص بالقرب من (فوز يرسي) وجنوب (لاؤون)، ولكن بقي الطرفان في حالة دفاعية في اغلب هذه الجبهة.

وصلت قطعات رونشتد الى (بولون) يوم ٢٢/ مايس و (كاليه) يوم ٢٣/ منه، لهذا فأن وصول القطعات الالمانية الى مضيق (دوفر) بين (ابيفيل) و (كاليه) خلال اربعة عشر يوما حيث وصلت اليها دروع (كودريان) و كليست) يعتبر معجزة عسكرية.

دعنا نستعرض نتيجة الصفحة الاولى لحملة الغرب بصورة مختصرة قبل ان نبدأ في امعان النظر في قضية (دانكرك) الممتعة.

كانت منافذ الخلاص قد سدت بوجه القطعات البريطانية والفرنسية في منطقتي (ارتوا) و فلاندرس) خلال الايام من ٢٥/ مايس الى حوالي ٤ حزيران، اذ طوقت القطعات البريطانية والفرنسية من جميع الجهات تقريبا. سقطت، وان (دانكرك) يوم ٤حزيران وتمكن الجيش البريطاني من التملص عبر القنال عائدا الى انكلترا تاركا وراءه بطبيعة الحال القسم الاعظم من تجهيزاته الثقيلة، وقد بلغ عدد الاسرى حوالي المليون من الفرنسيين والبريطانيين والهولنديين والبلجيكيين، ويعود سبب ارتفاع هذا الرقم بصورة رئيسة الى استسلام هولندا وبلجيكا، وقد غنم الالمان كميات هائلة من المواد الحربية.

قاتلت جميع قطعات الحلفاء بشجاعة، وهذا مايعترف به القادة الالمان برحابة صدر وعن طيبة خاطر، وقد اظهر البريطانيون صلابة خاصة في هذا الحركة الدفاعية، كما اظهروا ذلك خلال الحرب العالمية الاولى.

وبهذا تم انجاز الصفحة الاولى من الحملة بنجاح، من يوم ١٠ مايس الى يوم ٤ حزيران، اي خلال حوالي (٢٥) يوما فقط، وقد اعطيت لقطعات رونشتد في هذه الصفحة الواجب الرئيس.

وقبل ان نتتبع مجرى حركات الجحفل (آ) في القسم الثاني من الحملة، ينبغي لنا ان نمعن النظر في المعجزة الثالثة التي حدثت في (دانكرك)، فقد لعبت قطعات رونشتد المدرعة هنا دورا حاسما ايضا.

ناقش المستر تشرشل واللواء (فولر) والنقيب (ليدل هالرت) وكثير من الكتاب العسكريين المعروفين معركة (دانكرك)، كما كان للمؤلفين الالمان ما يقولونه ايضا! كيف

وقف هتلر والفرق المدرعة الالمانية الضخمة التي طوقت (دانكرك) من جهاتها الثلاث موقف المتفرج من الجيش البريطاني الذي كان يجري اركابه بمختلف وسائل الاركاب دون ان يقوموا بالهجوم عليه لأسر القسم الاعظم من هذا الجيش؟

سيبقى هذا السؤال ممتعا جدا للعالم، ولكن دعنا نستعد الى الذاكرة تفاصيل هذه التجربة التي مرت، ودعنا نصف مالذي فكر فيه رونشتد وطبقه بنفسه.

اوضح هتلر سنة (١٩٢٣) في الجزء الاول من كتابه: (كفاحي): «انه معجب بالامبراطورية البريطانية، وراغب في توطيد اركان تفاهم معها!». وفي سنة (١٩٣٧) ابدل اللغة الفرنسية كلغة رئيسة في المدارس العليا الالمانية باللغة الانكليزية، وفي السنة نفسها صرح من مأواه الجبلي في حديث شخصي له مع اللواء فون (ريشناو) الذي كان موضع ثقته حينذاك: «بأنه يرى ان تحالف المانيا مع انلكترا اجدى عليها من تحالفها مع ايطاليا».

ونضيف الى ماتقدم ماحدث في الناحية العسكرية لتأكيد شعور هتلر الطيب نحو بريطانيا، تلك هي المدة الطويلة التي مرت بين انتهاء الحملة البولندية وابتداء الحملة في الغرب يوم ١٠ مايس (١٩٤٠)، وكذلك حركة القطعات واصدار الاوامر اليها بالتوقف، وتكرار هذه الاوامر عدة مرات دون مسوغ، كما رفض هتلر في ذلك الوقت قصف المدن الانكليزية حتى في حالة قصف القوة الجوية البريطانية للمدن الالمانية!!!

لقد ساد بصورة واضحة اعتقاد بين رجال الجيش غير المحترفين للسياسة، هو ان هتلر يرغب في اجتناب كل ما من شأنه اغاظة انكلترا. وعندما كانت فرق رونشتد المدرعة وقوات اخرى من جحفل جيش (بوك) المتقدمة من الشرق تقترب تدريجيا من (دانكرك) في نهاية مايس، وكانت القطعات البريطانية حينذاك على الرغم من مقاومتها تتحمل ضغطا شديدا يدفعها للتجمع القسري في منطقة هذه القلعة البحرية (دانكرك) التي طوقت تماما من البر ولم يعد مفتوحا امامها سوى مسلك القنال.

لقد ارتأى القواد العسكريين كافة ومن بينهم (رونشتد) و (كلوكا) و (كليست) و (كودريان)، الهجوم على (دانكرك) لاجبار القوات البريطانية الموجودة في فرنسا على التسليم.

كان عدد من فرق فون (كليست) المدرعة قد شرعت بالاقتراب من الغرب حين صدر امر التوقف الذي اثار دهشة الجميع.

صدر هذا الامر من مقر هيئة ركن الجيش الالماني هاتفيا الى رونشتد بناء على وصايا هتلر الشخصية، وقد تأيدت هذه المخابرة الهاتفية ببرقية، فاحتج بطبيعة الحال كل من رونشتد ورئيس هيئة ركنه على هذا الامر الذي يمكن اعتباره الناحية العسكرية غامضا كل الغموض؛ ولكن هتلر اصر على تنفيذه رغم ذلك الاحتجاج.

لقد نص الامر على الاتتجاوز الفرق المدرعة في تقدمها حدود مدى المدفعية المتوسطة، على ان تستثني من ذلك فعاليات الاستطلاع. لهذا اصدر روشنتد امره بالتقدم ضمن مدى مدافع ذات عيار ١٠ سنتمترات اي حوالي (٨ - ١٠) اميال من (دانكرك)، فلم تندفع الى

الامام باتجاه هذه القلعة سوى الدوريات المدرعة.

اجتاح الغضب فون (كلوكا) وفون (كليست) و (كودريان)، لانهم لم يفهموا اي معنى لهذا الامر، وقد شاهدوا كيف كان الجيش البريطاني مضيقا عليه بشدة في منطقة (دانكرك)!!! وقد ايد الاستطلاع الجوي موقف القطعات البريطانية الخطير، كما اكتشفت المحاولات الاولى للجيش البريطاني للتملص عبر القنال مستعينا بانواع الوسائط كافة. وقد افادت تقارير الاسطول الجوي الثالث بقيادة اللواء (اسبرل) والذي كان يتعاون مع جحفل جيش رونشتد، بان الطرق المحيطة (بدانكرك) كافة مزدحمة بالسيارات والتجهيزات والمدخرات!!!

لم يكن لدى الدروع الالمانية - مع ذلك - في هذه الايام المثيرة سوى ان تقنع بالمراقبة والنظر، بينما كان البريطانييون ينقلون ليلا ونهارا عبر القنال دون تدخل مجدي بأي وجه من الوجوه[1].

لقد كان ذلك معجزة.

قدم هتلر الاسباب التالية لتسويغ اوامره هذه، وهي:

١ - الارض المحيطة بـ (دانكرك) غير ملائمة لاستخدام الدروع نظرا لروابيها الكثيرة وتربتها المشبعة بالرطوبة.

٢ - كان عدد الدروع قد تضاءل خلال مجرى الحركات في الحملة، مما اثار الشكوك حول استطاعتها انجاز الصفحة الثانية باتجاه جنوبي فرنسة بكفاية.

كان جواب رونشتد والقادة الاخرين على هذين السببين مايلي:

١ - صحيح ان المنطقة المحيطة بـ (دانكرك) غير ملائمة تماما للدروع، نظرا لتربتها المشبعة بالرطوبة، ولكن هذه الدروع نفسها قد نجحت بالعمل في بلاد اكثر صعوبة من منطقة (دانكرك) بكثير خلال الحملة البولندية. ففي غرب (وارشو) تقع (بوستاكام بينوفيسكا) التي كانت صعبة جدا بالنسبة للدروع، كما تمكنت الدروع اجتياز مستنقعات (نيرو) في الشمال واهوار (غاليسيا) الشرقية بسهولة.. فلماذا اذا تتعطل هذه الدروع نفسها في ظروف اسهل مما مر بها سابقا هناك؟...

٢ - كان على جحفل جيش رونشتد ان يقدم تقريرا في كل مساء الى هيئة ركن المقر العام عن عدد الدروع المتيسرة، لان هتلر اراد ان يكون على علم بموقف هذه الدروع يوميا. وبطبيعة الحال كان عدد الدروع القادرة على العمل قد قل من جراء التقدم السريع وخسائر المعركة، ولكن اغلب هذه الخسائر لم تكن نهائية، لانها ناشئة عن عطل فني وقتي يمكن غالبا اصلاحه خلال اربع وعشرين ساعة.

وعندما اقتربت الفرق المدرعة من (دانكرك) كانت دروعها قد ازدادت الى درجة

---

(١) هذه هي حقيقة تمكين الجيش البريطاني من التملص عبر القنال الى الجزر البريطانية. اما البريطانيون فقد كتبوا العديد من المؤلفات يسبغون بها نعوت البطولة على جيشهم في التملص من (دانكرك)، ولو اراد الالمان لما استطاع جندي بريطاني واحد من العبور سالما.

لايستهان بها.

ومن جهة اخرى كان هناك سبب اخر، فقد قيل: ان مشير الجو (كورنك) قد اقترح على هتلر ان يتم استسلام البريطانيين على يد القوة الجوية الالمانية لا على يد الجيش، ويبدو ان هذا محتمل جدا، لان (كورنك) قد يكون اراد اكتساب الفخر لقوته الجوية...

ولكن حقيقة الموقف ان الاسطولين الجويين الثاني (كسرلنك) والثالث (سبيرل) لم يكن لديها القنابل اللازمة لقصف البواخر كأهداف قصفا مؤثرا، اذ لم يتيسر لديهم غير عدد قليل من القنابل ذات الشظايا، فاضطروا الى استعمال القنابل المصممة ضد الدبابات الترابة (السمنت) في بعض الاحيان، فهي مناسبة للهجوم على تحصينات دائمية ولا جدوى فيها ضد السفن الصغيرة. ومع ذلك فلا بد ان يكون هتلر مطلعا على هذه الحقيقة. ان العقيد (كولر) القدير جدا رئيس قسم الحركات للاسطول الجوي الثالث في ذلك الوقت، اخبر بنفسه جحفل الجيش عن حقيقة موقف القنابل عند القوة الجوية، فلا عجب ان ساد رأي في هيئة ركن روشنتد بان اوامر هتلر تلك لم تكن مبنية على اسس عسكرية فحسب، بل ان آمالا سياسية سريعة لعبت دورها في اصدار تلك الاوامر، ولانستطيع ان نفترض هنا غير رغبة هتلر الشخصية في مساعدة بريطانيا.

يمتلك الجيش البريطاني الان امرا صادرا عن جحفل الجيش(آ) فيما ينم على ان رونشتد هو الذي اصدر امر التوقف، ولقد شاع في وقت ما بان الغرض من الوصايا التي صدرت الى الفرق المدرعة لقطع الاشتباك هو لاجراء تصليحات في الدروع، وهذا صحيح؛ ولكنه كان قد صدر في وقت بعيد عن ايام (دانكرك) فقد صدر من بداية الحملة حين لم يكن هناك من يعرف بان مثل هذا القرار سينفذ بالقرب من (دانكرك)!!!

ولكن روشنتد من اولئك الذين يعجزون عن ادراك قيمة مثل هذه الفرصة العسكرية النادرة، ولكن ينبغي الا نتغاضى عن نظام الحكم في الدولة الاشتراكية الوطنية، اذ ليس في وسع اي قائد ان يتخذ مثل هذا القرار المشؤوم على مسؤوليته بدون موافقة هتلر، وقد يؤدي البحث التاريخي ودراسة كل حركة من الحركات يوما ما الى جلاء اكثر للغز (دانكرك). كان رونشتد في ذلك الوقت مقتنعا، بان كلا العوامل العسكرية والسياسية قد اقنعت هتلر بأن يصدر قرار التوقف.

وكان لهتلر ايضا الفطنة العسكرية الكافية لادراك موقف القطعات البريطانية اليائس، وقد يبدو هذا اللغز اكثر متعة على ضوء الملحوظات التي ابداها هتلر بمناسبة زيارته لمقر رونشتد، ففي ذلك الوقت صرح بانه راض كل الرضا عما تم من حركات بسرعة لاتصدق، ووصف الاعمال التي جرت بانها معجزة خارقة، واضاف قائلا: «انه قد يحصل على صلح مع انكلترا وفرنسا في غضون ستة اسابيع» وبعد ذلك لخص وضع انلكترا بصورة مختصرة، فوصفها بانها قوة عالمية ينبغي ان تبقى في التاريخ بقاء الكنيسة الكاثوليكية. واستمر يقول: «انه لايعلق اهمية خاصة على المستعمرات، اذ ليست لديه ملايين من الالمان ليعيشوا فيها، فما المستعمرات في نظره الا مسألة اعتبار ليس الا»...!

حقا لقد صرح يومذاك انه ربما يعرض مشروع تحالف مع انكلترا، كما انه حاضر لمساعدة بريطانيا بقوته الجوية وبأسطوله في حالة حدوث مشاكل لهم في العالم... كما ادعى هتلر بان المانيا ستكون القوة القائدة لاوروبة، بينما تكون انلكترا القوة السائدة في العالم وفي البحار. وقد عبر عن هذه الافكار بشكل من الرضا والاقتناع جعلت رونشتد يقول بعد ان غادر هتلر: «ان كان لا يطمع في شيء اخر، فاننا سنحظي بالسلم...»..

الفصل السادس

النصر في فرنسا

في الوقت الذي كان فيه القتال في (ارتواز) و (فلاندرس) يقترب من نهايته في بداية شهر حزيران، بدأ التحشد العظيم للجيش الالماني بكامله في الغرب لخوض القسم الثاني من الحملة التي كانت تستهدف انهاء الحرب في فرنسة، وللوصول الى هذه النتيجة، كان من الضروري قهر الجيش الفرنسي واحتلال فرنسة.

يمتد خط الدفاع الطويل باتجاه الجنوب كما يلي تقريبا: (ابيفيل) - (آميانس) - (سواسون) - (نهر ايسن) - (سيدان) - الحدود الالمانية التي تتاخم منطقة الالزاس واللورين حتى شمال (بازل).

قسمت هذه الجبهة الطويلة بكاملها الى ثلاثة قواطع:

نقل جحفل الجيش (ب) بقيادة (فون بوك) والقسم الاكبر من القوات المدرعة بقيادة (كليست) من (ابيفيل) الى جوار (لافير).

وكان جحفل الجيش (أ) بقيادة (فون رونشتد) مع بضعة جيوش وفيلق (كودريان) المدرع يحتلون مناطق مجاورة لشرق جحفل الجيش (ب) من جوار (لافير) حتى قرب (مونتميدي).

وخصص جحفل الجيش (جـ) بقيادة فون (ليب) للمنطقة الكائنة من (مونتميدي) وعلى امتداد خط (ماجينو) و (الراين) الاعلى حتى شمال (بازل).

وكانت الغاية العامة الهجوم بجحفلي الجيشين (أ) و (ب) والهجوم في الوقت ذاته بجحفل الجيش (ب) نحو الجنوب والغرب للوصول الى حدود فرنسة الجنوبية في (البرانيس) والبحر الابيض المتوسط، وكان الهدف الرئيس لجحفل الجيش (ب) هو القيام بهجوم تطويقي على باريس ومن ثم الاستمرار باتجاه (تورس) و (بوردو)، وكان على جحفل جيش رونشتد ان يتقدم باتجاه خط (ديجون) ووادي (الرون) الى (ليون) و (مارسيليا)، ويكون هذا الخط محور تقدمه المركزي، بينما كان على جحفل الجيش (جـ) احتلال الالزاس واللورين من الشمال والشرق.

لم يجر الزحف عمدا على طول هذه الجبهة الهائلة في نفس اليوم.

كان قد تقرر القيام بهجوم الجحفل (ب) يوم ٥ حزيران، وبهجوم جحفل روشنتد يوم ٩ حزيران، وجحفل (جـ) يوم ١٤ حزيران، وكان القتال شديدا على طول الجبهة كلها خلال الايام القليلة الاولى، فقد كان ضروريا جدا اختراق خط (فيغان) الدفاعي الممتد

من مصب (السوم) الى قرب (سيدان) والمؤلف من تحصينات خلف نهري (السوم) و (الايسن)، ومن قلاع قديمة منعزلة، كما كان ضروريا التغلب على خط (ماجينو) و (الراين) اعلى بين (سيدان) حتى الحدود السويسرية.

ولم يتمكن (بيك) من النجاح في عبور (السوم) الا بعد قتال شديد، وكانت المعارك التي خاضها (ليب) ضد خط (ماجينو) قاسية ايضا.

وعلى كل فقد تم قهر تحصينات الميدان والتحصينات الدائمية كافة خلال ثمان واربعين ساعة من قتال عنيف بمعاونة القوة الجوية.

وصادف جيش جحفل رونشتد مقاومات محلية عنيفة في اماكن كثيرة ولاسيما على الايسن، ولكنه نجح في اختراق جبهته كلها خلال وقت قصير نسبيا.

لقد تم انجاز القسم الثاني من الحملة بدون جهد يذكر بعد نجاح الجيوش الالمانية في انجاز عملية الاختراق في الغرب.

وكان الجيش الفرنسي مشتبكا في صراع لا امل له فيه... لم يكن بامكانه سحب جزء من قوات خط (ماجينو)، لان ذلك يؤدي الى ضعف الدفاع عن هذا الخط؛ كما لم يتمكن من الاحتفاظ به، لان جحفل جيش رونشتد استولى على خط (ماجينو) بكامله من الجانب والخلف باندفاعه نحو الغرب عبر (سيدان).

من الممكن التطرق بايجاز الى الخطوط الرئيسة لمجرى حركات الصفحة الاخيرة:
وصلت قطعات رونشتد (ريمس) يوم ١ حزيران، ووصلت (شالون - سير مارن) يوم ١٢ حزيران، غير ان جحفل (كودريان) المدرع اندفع مخترقا الجبهة المتداعية متجها نحو الجنوب الشرقي.

وافق رونشتد على استعمال ثلاث كلمات رمزية استعيرت من مصطلحات كرة القدم لتسهيل حركات حرب الصاعقة والاستغناء عن الاوامر التفصيلية، مثال ذلك: كلمة (نصف الوقت)، واعطيت هذه الكلمات الى كودريان بالجهاز اللاسلكي فور وصول دروعه الى منطقة (لانكرس).

وكانت الكلمة الاولى الرمزية تدل على: «استدر شرقا نحو (بلفورت) لمنع الفرنسيين من الانسحاب من الالزاس».

وتدل الكلمة الثانية الرمزية على: «استمر في التقدم على خط مستقيم باتجاه الجنوب نحو (ليون - مارسيليا) لتحطيم جبهة الالب الفرنسية من الخلف، المحتلة لغرض الدفاع ضد ايطاليا»...

وتدل الكلمة الثالثة الرمزية على: « استدر نحو الجنوب الغربي باتجاه (بوردو) لتدمير تراجع الفرنسيين امام جحفل الجيش (ب)».

وهكذا تمكن رونشتد ان يوجه القطعات المدرعة وفقا لما يتطلبه الموقف السوقي الرئيس بأقل مايمكن من (استعمال اللاسلكي)، وعند وصول كودريان الى (لانكرس)، استلم بهذا الاسلوب امرا للتقدم نحو الجنوب الى (ليون). اما نحو (بيسان كون) فلم يوجه غير مفارز

مستقلة لسد منافذ (بير كاندي) تجاه تراجع الفرنسيين من (بلفورت). وصلت هذه القطعات الحدود السويسرية وفي نفس اليوم احتل الفيلق المدرع بقيادة فون (كليست) مدينة (ديجون).

يمكن ادراك درجة السرعة الهائلة والثقة العالية التي تميز بها هذا الزحف بسرد القصة التالية؛

كان قطار فخم سريع لازال يسير في تلك الايام باتجاه (ليون) يحمل ضباطا فرنسيين مجازين بصحبتهم زوجاتهم، فتوقف هذا القطار من جراء تقدم وحدات الاستطلاع الالمانية تقدما سريعا وسط حيرة ودهشة المسافرين.

تمكنت جحافل الجيوش الثلاثة وهي تتقدم جنبا الى جنب على طول الجبهة كلها من ان تصل (روين) يوم ٩ حزيران و (دييب) يوم ١٢ حزيران، و (ريمس) يوم ١١ حزيران، و (شالون ـ سير ـ مارن) يوم ١٢ حزيران و (الهافر) يوم ١٣ حزيران، ولم تنجح محاولات الفرنسيين لجمع صفوف المقاومة على (اللوار) لعدم تيسر الوقت اللازم لديهم لبناء جبهة جديدة.

وهكذا تضاءلت هذه الحملة تدريجيا، فأصبحت اشتباكات معزولة عن باقي الجبهة، ولكن بقيت هناك معارك صغرى في بضع نقاط. لقداصبح الجيش الفرنسي قوة غير متماسكة تتهاوى يوما بعد يوم، وكثيرا ما فوجئت الارتال الفرنسية الطويلة المتراجعة واللاجئون بتقدم الفرق المدرعة الالمانية على نفس الطرق دون ان يكترث بهم الالمان... وعلى هذا الشكل انتهى القتال.

ودخلت ايطاليا الحرب يوم ١٠ حزيران، وبعد استقالة وزارة (رينو) الفرنسية يوم ١٦ حزيران، فتحمل مارشال فرنسا المشهور (بيتان) المسؤولية الجسيمة، تلك المسؤولية هي عقد هدنة مع المانيا، وقد تم عقدها يوم ٢٢ حزيران.

وتمكن الالمان خلال ذلك من عبور (اللوار) واحتلال (شاربوغ) و (ليمانس) و (نانس) يوم ١٨ حزيران، و (بريست) و (ابينال) و (تول) و (لونافيل) و (استراسبورغ) يوم ١٩ حزيران، واستولوا على (ليون) يوم ٢٠ حزيران، وفي يوم ٢٢ حزيران انتهى القتال في (الالزاس) و (اللورين).

وتوقفت الاعمال العدائية كافة في الدقيقة الخامسة والثلاثين بعد الواحدة ظهرا من يوم ٢٥ حزيران.

وكان الايطاليون قد حشدوا قواتهم في الالب على الحدود الفرنسية ـ الايطالية للاندفاع الى الامام على محور (مونت بلانك ـ مينتون) نحو (سافوى) حتى (الرون)، ولكن هذه المحاولة اخفقت تجاه التحصينات الفرنسية في اعالي الالب، كما اخفقت محاولاتهم في مواجهة الشجاعة البطولية لقطعات الالب الفرنسية الشهيرة وهي التي عرفت باسم: (الفيلق المختار)، وقد اقترح الايطاليون انزال قطعات ايطالية من الجو خلف مغاوير الالب لتسهيل هذا الهجوم، ولكن القتال سنة ١٩٤٠ كان يتسم بمزايا الفروسية الشريف، لهذا

رفض هذا القرار كل من القائد العام الالماني وزميله الايطالي، بحجة انه تنفيذ غير شريف ويتنافى مع حرب الفروسية، ولكن اصبح أمر تطبيقه فيما بعد من الامور الاعتيادية في الحرب!!

وتلقى رونشتد وصايا من مقر رئاسة اركان الجيش للتقدم بشكيلات آلية وبالفرقة الجبلية الاولى من (الرون) متجها نحو الشرق الى الوديان الجبلية تجاه مؤخرة مغاوير الالب، لكسر شوكة المقاومة الفرنسية في الالب، ولكن عليه الا يتقدم بسرعة فائقة.

وكانت لاتزال هناك اشتباكات صغرى، غير ان مغاوير الالب الشجعان، تخلو ايضا عن هذه الجبهة العقيمة.

نقل كليست وتشكيلات آلية قوية من امرة الجحفل (ب) الى امرة جحفل جيش رونشتد الذي جمع تحت قيادته مرة اخرى قبيل انتهاء الحركات فيلق القطعات المدرعة بالاضافة الى جيوش المشاة، وقد نقل مقر رونشتد الى (شالون ـ سير ـ مارن) اولا ثم الى (اوكسير) في الايام الاخيرة من الحملة.

ابتدأت حرب الصاعقة هذه في الغرب يوم ١٠ مايس وانتهت يوم ٢٥ حزيران، وقد اندحر الجيش الفرنسي، لان تحضيراته وتنظيمه كانا من الطراز القديم، ولان قيادة الحلفاء الغربيين كانت لاتزال مشبعة بآراء وتجارب اسلوبية ترجع الى الحرب العالمية الاولى، ومع ذلك فان رونشتد وقطعاته اعترفوا كل الاعتراف بشجاعة خصومهم القدماء.

توالت في مقر رونشتد في (اوكسير) الحوادث التي تحيي آمال الجنود في قرب حلول ايام السلم. مثال ذلك: جرى عرض عسكري كبير في (الشانزليزيه) بمدينة باريس، وكان على رونشتد ان يوفد ضابط ركن من مقره وعددا من رجاله لحضور هذا الاحتفال، كما تلقى عدد من الفرق المدرعة في جنوب فرنسة اوامر من المقر بالتحشد في باريس للاشتراك في هذا العرض!

كما وصلت وصايا من قائد الجيش العام في برلين حول الغاء وتسريح عدد كبير من فرق المشاة التي شكلت حديثا في بداية الحرب!

واخيرا استدعيت فرق عديدة آلية ومشاة من فرنسة الى المانيا!

اظهرت هذه الحقائق ان هتلر يؤمل حلول السلم!

كانت الكلمة الرمزية: (اسد البحر) تعني في الجيش الالماني غزو انكلترا، ولكن كيف يمكن التوفق بين هذه الخطة وبين الآمال في الصلح؟ ان العارفين بهتلر يدركون انه اراد احداث تأثيرات خارجية بترديد هذه الخطة، لانه لو اراد حقا تطبيق خطة (اسد البحر) لوجب ان تنجز الاستعدادات اللازمة قبل ابتداء الحملة بكاملها في الغرب.

ولم يبد مايشير الى تطبيق هذه الخطة، كما لم يتطرق بشيء عنها لرونشتد خلال الحرب في فرنسة. ومن الواضح انه لايمكن زج جيشين عبر القنال الانكليزية بوسائط عبور مرتجلة للغاية نتيجة للدوافع الانية المحصنة ولغرض احداث تأثيرات خارجية فقط.

ولو اراد هتلر الهجوم على بريطانيا حقا، لما سمح بتملص الجيش البريطاني من (دانكرك) الى الجزر البريطانية في نهاية مايس، ليجده بعدئذ هناك مدافعا، واخيرا فقد كانت هناك قطعات متيسرة للعبور الى انكلترا فورا في نهاية مايس، كما كانت تتيسر فرق كثيرة جدا لاستخدامها في القسم الثاني من حملة فرنسية، اذ لم تشترك في القتال من عشرة الى اثنتي عشرة فرقة من جحفل الجيش (آ)، بل بقيت احتياطا للجحفل تعقب قطعاته الامامية. لذلك اعتقد رونشتد بان الاوامر الصادرة حديثا بشأن حركة: (اسد البحر) ليست غير خدعة سياسية، وسنرى كيف تطورت هذه القضية.

صدر الامر الى رونشتد وهيئة ركن الجحفل (آ) لاتخاذ التدابير الضرورية لتنفيذ خطة: (اسد البحر)، وقد نقلت هيئة الركن من (اوكسير) الى فندق هنري الرابع في (سنت جرمان) قرب باريس.

مهدت الاوامر الصادرة من هيئة ركن الجيش (براوشتش) و (هلدر) بالدرجة الاولى كما يلي:

الانزال في انكلترا على جبهة واسعة بين (دوفر) ونهاية الجزيرة البريطانية الجنوبي، وقدروا ان الساحل البلجيكي الفرنسي من (انتويرب) الى (بريست) يصلح ان يكون قاعدة لاستحضارات الانزال. كانت الاوامر تقضي بانشاء رؤوس جسور كبيرة في البدء على الساحل البريطاني الجنوبي، ومن ثم يجري الاندفاع الى الامام باتجاه الشمال، وقد تقرر ان يجري احتلال لندن بقوات ضعيفة، بينما يستمر الهجوم الرئيسي غربا تاركا العاصمة.

وكانت منابع الاسطول الالماني اضعف شأنا من تحمل اعباء مثل هذه الخطة. لقد كانت البحرية الالمانية صغيرة ولكنها كانت كفوءة ومبدعة، الا انه لم يكن في استطاعتها ابدا مجاراة البحرية البريطانية بقوتها، ولو نفذت هذه الخطة، لكان من الواجب اغلاق القنال من (دوفر) الى (كاليه)، وفي الغرب بين نهاية ارض الجزيرة البريطانية من جنوبها الغربي وبين (بريست)، كي يتعذر على الاسطول البريطاني اعاقة اجراء العبور من هاتين الجهتين. ولذلك كان من الضروري زرع (الغام العمق) في البحر في هذين الموضعين، غير ان عدد الالغام المتيسرة لهذا الغرض كان قليلا جدا، كما اصبح بعضها مستهلكا لا يصلح للاستعمال.

وجاء دور خطة ثانية، بنيت على ضرورة تقصير خط الانزال على الخط الكائن شمال خط (دوفر - بورت سموث)، لامكان تأمين حماية قوية لكلا الجناحين.

انتخبت موانىء (نوتردام) (دوفر) لتكون قواعد لهذه الخطة المقتضبة، وكانت موانىء هولندا وبلجيكا ضرورية لانزال الفرق المدرعة السريع، وكان ينبغي لاجل العبور من (نوتردام) و (انتويرب) الى (دوفر) احتضان الساحل البلجيكي في الجناح الايمن، ومن ثم الاستدارة نحو (دوفر).

ولم يهتم رونشتد ورئيس هيئة ركنه بحركة: (اسد البحر) هذه اهتماما جديا، كما لم يهتم بها ضباط الركن الاخرون، وقد اظهر ذلك جليا من امتناع روشنتد عن حضور التمارين

البحرية التي اشترك فيها الجيشان بكل حرص، وحتى هتلر نفسه لم يسأل رونشتد عن استحضارات هذه الخطة، مع ان هتلر كان يحاول عادة ان يجعل نفسه ملما بكل شيء. . .

جرت التمارين كافة بالاشتراك مع ضباط من القوة الجوية والبحرية، وكان الشعور السائد بين الجميع بان هذه الخطة لن تطبق! لذلك لم ينهمك فيها اي واحد من هيئة الركن انهماكا غير اعتيادي.

وجرى ترفيع عدد من القادة الاقدمين في شهر تموز، فأصبح رونشتد برتبة مشير.

وتقدم هتلر بعرض للصلح مرة اخرى في خطابه الذي القاه في الرايخشتاغ يوم ١٩ تموز (١٩٤٠)، وسمعنا في باريس عن محادثات للصلح بواسطة السويد ودوق البة، كما كان معروفا وجود اختلافات في الرأي بين المحيطين بهتلر. . فقد اراد هتلر عدم قصف المدن البريطانية والاكتفاء بقصف الاهداف العسكرية المهمة: كأرصفة الميناء في مصب التايمس. ولكن كورنك ارادها حربا جوية بكل معنى الكلمة. . . وعندما عاد المشير رونشتد من برلين في تموز، اخبرنا بان هتلر صرح له في حديث شخصي جرى بينهما، بانه لاينوي تنفيذ خطة: (اسد البحر). . . . لذلك فان حدس رونشتد المبكر عن هذه الخطة كان صحيحا، وكانت نتيجة كل ذلك ان اصبحت الرغبة ضعيفة في العمل من اجلها بين ضباط الركن.

والان سأتطرق الى وصف مجرى الحوادث التي جرت بعد ذلك.

بدأت (لعبة حرب[1]) اخرى على الخرائط في آب او في مستهل ايلول في (سنت جرمان)، ومع هذا لم يعتقد احد بتطبيق خطة: (اسد البحر).

والحقيقة ان الاوامر اخذت تتوارد حول ترك هذا المشروع الخيالي، فقد اعيدت السفن الى اتجاهات مختلفة ثانية، وتخلينا عن العمل بكامله.

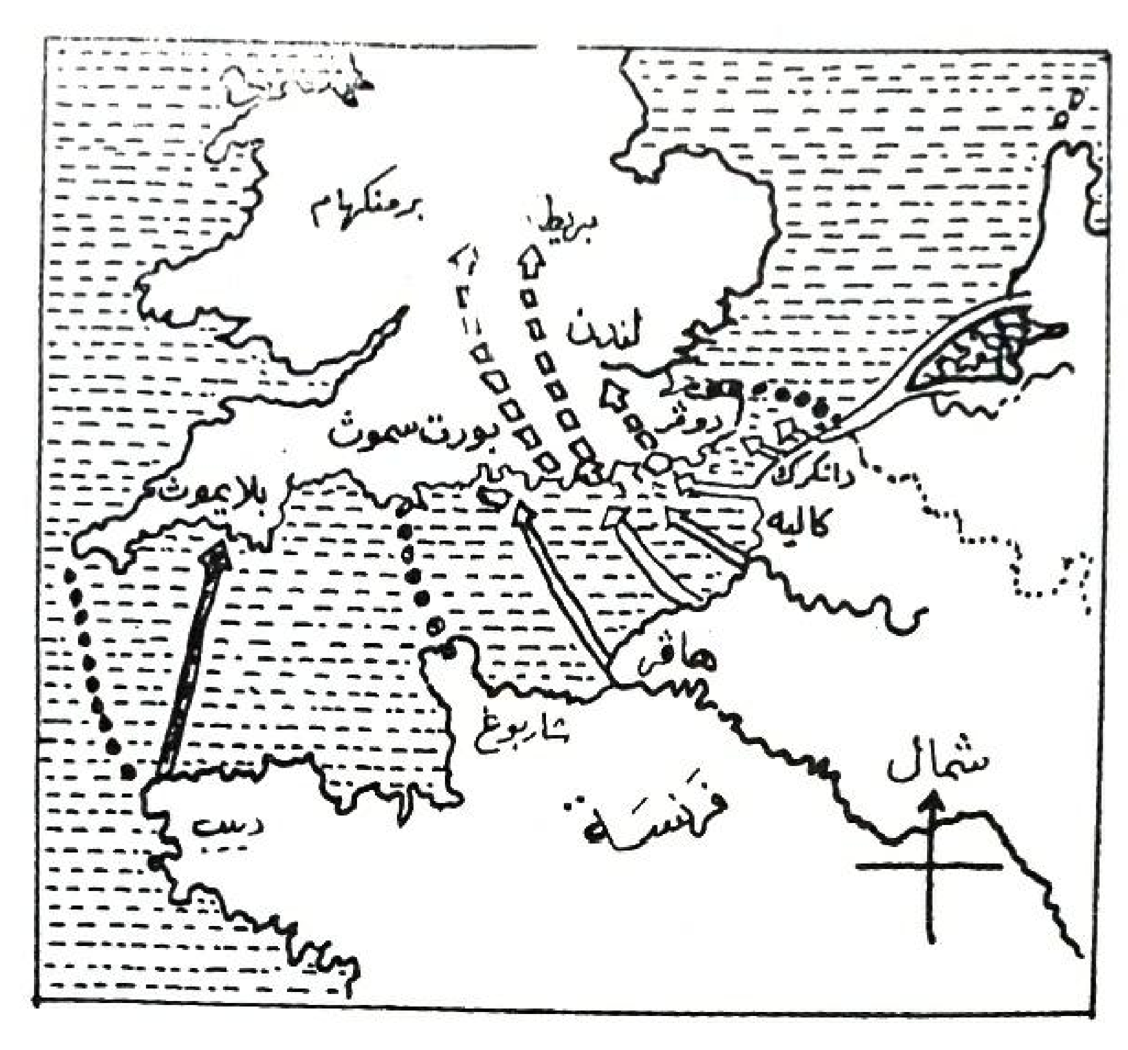
ينبغي ان نؤكد هنا، بان رونشتد كجندي اعتبر امر تنفيذ خطة: (اسد البحر) غير ممكن.

والذين درسوا امكانية وسائط النقل المتيسرة، المزمع نقل القوات الالمانية فيها الى انكلترا، يعرفون هذه الوسائط غير كافية ابدا لمثل هذا الواجب. وحتى في حالة نجاح الانزال، يبقى المقاتلون الالمان ودروعهم تعزلهم القنال عن القارة.

وهل بالامكان ان تقف القوات البحرية والجوية البريطانيين موقف المتفرج؟ الحقيقةلا ان رونشتد كان مصيبا عندما وصف خطة (اسد البحر)، بانها مجازفة، كما ان هتلر نفسه اخبر رونشتد بانه يشعر بالقوة في البر وبالضعف في البحر، فقال: «لايوجد جسر على البحر» وكان نص كلام هتلر: «انا بطل في البحر، ولكنني جبان في الماء. . .».

---

(١) لعبة الحرب: نوع من التمارين لتطبيق خطة عسكرية، مع استخدام الوسائل السلكية واللاسلكية واصدار الاوامر والقيام بكل تفاصيل الخطة على الخرائط وبدون استخدام القطعات.



خطة أسد البحر

حقول الغام

الهجوم ورؤوس الجسر

الهجوم بالمرور من لندن وتركها الى الغرب



الخطة الاولى وهي غير عملية بالنسبة للبحرية الالمانية لان القاعدة كانت واسعة جداً

كانت الاشهر التالية لهدنة يوم ٢٥ حزيران مليئة بالاسترخاء لكل من القطعات وهيئة الركن، ولقد خلقت فرنسا وامال السلم اياما هادئة سارة للجميع ولمقر رونشتد ايضا في (سانت جرمان).

سكنت هيئة الركن كما ذكرت سابقا في فندق (هنري الرابع) الواقع في نهاية الممر الطويل الشهير (لسنت جرمان)، وكان منظر باريس واضحا للعين من هناك، وكانت اغلبية دوائر الركن تطل على نهر (السين) وعلى مدينة النور.

لقد كان جميعا سعداء بالهدنة بوجودنا في باريس وبالامل في حلول الصلح.

درس تاريخ باريس تاريخ فرنسة بشوق عظيم، وكان الجنود وضباط الصف والضباط والموظفون العسكريون الاخرون يشاهدون في زيارة الاماكن الهامة في العاصمة التاريخية يحملون في ايديهم كتب الدلالة او الكتب التي ابتاعوها عن التاريخ السياسي والثقافي في فرنسة، ولاحاجة للقول بان الجانب المرح من الحياة كان سائدا بين الضباط الشباب، اذ اثبتت المطاعم الفرنسية بانها لا تقل عن الملاهي، كما اعطي الغرام مايستحقه من اعتبار!!!

لذلك صدمنا نفسيا، عندما صرح القائد العام بان مقرنا ليس في محله المناسب، وان محله الصحيح في منطقة الغابات قرب (اميانس) ليكون قريبا من الساحل، ولقد افسح رونشتد المجال لهذا القلق ان يعمل عمله مدة اربع وعشرين ساعة، ثم لم يذكر بعد ذلك مايشير الى فكرة الذهاب الى الغابات.

ومهما يكن الامر، فقد انشأ معسكر على شكل كوخ في غابة صغيرة بالقرب من (اميانس)، وزود بوسائط المخابرة اللازمة، ليكون مقرا لهيئة الركن عند مغادرتها باريس، وبذلك كان من المحتمل ان نتحرك الى (اميانس) في اية لحظة، وقد تأكد في تموز بانه لم يعد هناك امل في تطبيق خطة(اسد البحر)، فبقي المقر في سانت جرمان.

لم يزر رونشتد المسارح او اي نوع من محلات الانس، كما لم يزر باريس خلال الايام التي اعقبت الهدنة الا نادرا، وقد قضى ايامه هناك في صحبة رئيس هيئة ركنه وضباط خفر مقره في (الفيلا) القريبة من فندق هنري الرابع، وفيها يلتقي يوميا القائد العام ورئيس هيئة ركنه ورئيس قسم الحركات في مقره، وضباط الركن الثاني والمساعد، الساعة الرابعة والنصف مساء لتناول شاي بسيط.

لم يكن صاحب (الفيلا) موجودا، غير ان وكيله امن الاحتياجات الضرورية، وكان هناك بالاضافة الى ذلك حصانان وحمار وبضعة كلاب تأنس بحفلة الشاي.

في هذه الايام الطيبة التي شملت الجميع بطبيعتها، اجمع الضباط الشباب على الفكرة التالية: كانت خريطتان لباريس معلقتين في غرفة ضباط الخفر، وكان على كل من يزور باريس ان يؤشر تجاربه في المدينة على هاتين الخريطتين: اولى الخريطتين كانت ذات ارقام، فالنقاط الزرقاء تشير الى المحلات التي يتسنى فيها تناول طعام فاخر بصورة خاصة، اما

النقاط الحمراء فتدل على ملاعب الهوى.

ويوم زار رونشتد الحصيف هذه الغرفة، تطلع الى هاتين الخريطتين ممعنا، بينما كان الضباط الشباب واقفين الى جانبه، ولكنه لم يتفوه الا بهذا التعليق المقتضب الذي له معان كثيرة:

«ويحكم! اليست خريطتكم الحمراء مليئة تقريبا».

كان هؤلاء الشباب قد اقاموا منظارا مكبرا للمدفعية على الشرفة، يمكن بوساطته رؤية باريس كلها مكبرة ثماني عشرة مرة. وبطبيعة الحال ان في الامكان تنظيم هذا المنظار على مديات قريبة جدا كنهر السين مثلا الذي يجري بالقرب من (سانت جرمان)، وكان على النهر مسبح مكشوف وفيه نرى ابهى ملابس السباحة، اما من تحتوي هذه الملابس فلم يكن يعلم الراصد ذلك، الا ان تكبير الحجم ثماني عشر مرة كان يؤدي الى رؤية اجلى، وغالبا ما استفاد ضباط الصف والجنود المنسبون الى المقر من هذا المنظار لغرض (الاستطلاع)، وقد يكون تقرير هذا الاستطلاع: ان كسوة الاستحمام الزرقاء غير موجودة اليوم!

ارى ان حادثة صغيرة كانت ممتعة حدثت في كـ (ريمس)، فقد كان الدكتور المؤرخ نجل رونشتد الوحيد الذي توفي مأسوفا عليه من ا‍ ‍يع عام ١٩٤٨، والذي كان ضابط صف في الجيش الالماني كان كثيرا مايزور والده خلا ، هذه الايام السلمية. ونظرا لاعجابه الشديد بمختلف انواع الفنون، فقد اراد زيارة كنيسه (كارترس) و (ريمس)، وكان رونشتد يعتقد جازما بان السيارات العسكرية هي للاستعمال العسكري فقط لا لزيارة النصب الفنية، ولكن ابنه الدكتر في الفلسفة ورئيس العرفاء فون رونشتد يعلم كيف يسوس والده! وهكذا اقلتنا سيارة في يوم من الايام من (سانت جرمان) الى (ريمس)، وعند وصولنا فحص رونشتد اكياس الرمل المكدسة حول مدخل الكنيسة اولا، فقد اقامت السلطات الالمانية وسائل الدفاع حول النصب الفنية كافة لحمايتها من الغارات الجوية، وبعد ذلك دخلنا الكنيسة وفيها تمثال (لجان دارك) كما هو معروف؛ وقد وصف نجل رونشتد جمال هذا التمثال هامسا، وكان يوجد ايضا خارج الكنيسة تمثال حديث لها يمثلها وهي ممتطية صهوة جواد، فعبر المشير ونشتد عن رأيه في التمثال الاخير قبل ان يتفوه احدنا بكلمة عنه قائلا: «ان التمثال الوحيد القيم؛ هو الذي في داخل الكنيسة»... لقد ادرك البون الشاسع بين التمثالين بلمحة خاطفة واحدة.

ظل الامل في الصلح يراود افكار الناس في الايام بين ٢٥ حزيران الى اب، وكان هناك كثير من الاشياء الغامضة على العسكريين، ولكنها كانت تثير فيهم آمالا واسعة في الصلح.

تراخت التدابير الصارمة التي طبقت في باريس بادىء ذي بدء، فمن الواضح ان القطعات كانت تذوب شوقا لرؤية باريس بعد اعلان الهدنة، وكان هناك قلق مستوحذ على القيادة حول الضبط المتين للقطعات، لذلك جرى تعيين اللواء فون (بريسن) المشهور بخشونته وصرامته قائدا عسكريا لباريس، وكان هذا اللواء قد جرح في الحرب البولندية، ومنذ ذلك

الوقت كان معروفا بانه قائد فرقة على جانب عظيم من الصرامة. كانت التدابير المتخذة تجاه هيئات الركن الالمانية والقطعات شديدة للغاية لصيانة الضبط والنظام، وحتى ضباط الركن الاقدمون المزودون بوثائق من القائد العسكري هذا، لم يكن يسمح لهم الذهاب الى باريس الا بعد استحصال موافقة خاصة على ذهابهم، على ان يمكثوا في باريس مدة قليلة، ثم يغادرونها قبل حلول الظلام. ولكن سرعان ماتراخت هذه التدابير، اذ عدلت في تموز اكثر هذه الامور الصارمة، ومن ثم تطورت العلاقات الوثيقة بين الالمان وسكان باريس بسرعة هائلة جدا، ولم يدر بخلد احد بان يحد من هذه العلاقات الودية القائمة بين السكان والقطعات الالمانية، وما اسرع ماعثر على عشاق الرياضة على رفقاء فرنسيين، وابتدأت الدعوات المتقابلة؛ كما تعارف هواة الفنون على الطبقة المثقفة من الفرنسيين في (اللوفر) او في (سيفرس) كما اصبح للضباط وضباط الصف والجنود خدينات من البنات.

وبعد الهدنة ببضعة اسابيع، ابتدأت الزيارات لحديقة الحيوانات في (فينسنس) التي كان قد انشأها حديثا (هاكن بيك). ان اسم مدير هذه الحديقة يغيب عن الذاكرة، ولكن هناك ضابط احتياطي مدفعي في مقر رونشتد ذا علاقة وثيقة بعائلة (هاكن بيك)، وفور وصول هذا الضابط الى (سنت جرمان)، اجرى مفاوضات كثيرة مع المدير الفرنسي حول تبادل نوعين اثنين من حيوانات فصيلة (الكركدن) النادرة، وقد وجد روشنتد في هذه الصفقة متعة عظيمة.

وكان الانسجام يسود هيئة ركن رونشتد كافة من الضباط وضباط الصف والجنود، ذلك الانسجام الذي يدل على فهم رونشتد العميق للنفس البشرية، الفهم الذي يتميز به ويعد من اعظم خصاله.

وازداد الشعور من شهر الى، بان السلم آتية وبعد زمن طويل، وقد انتشرت الاشاعات التي اشارت الى توسط السويد واسبانيا لاحلال السلام اعتبارا من اب، كما اشتدت وطأة الحرب الجوية ضد الاهداف العسكرية الهامة في بريطانيا، وازدادت خسائر المانيا في الطائرات، وقد صرح الطيارون العائدون من الغارات الجوية على بلاد العدو، بان نيران مقاومة الطائرات في ازدياد مطرد، كما ذكروا في تقاريرهم عن حدوث معارك جوية عنيفة ضد المقاتلات البريطانية، اما ما كان يهيء هتلر من خطط، فلم يكن يعلمه رونشتد ولا هيئة ركنه، وقد اشيع بحدوث مشادات حادة بين هتلر وكورنك حول طراز الحرب في الجو: كورنك يريد قصف المدن البريطانية، لان البريطانيين سبق لهم قصف المدن الالمانية، وهتلر لايريد ذلك، مما يدل على ان النزوة الطائشة للتعاون مع انلكترا كانت لاتزال تراود هتلر!!!

وحتى ذلك الوقت لم تتخذ اي تدابير للدفاع الجوي في (سنت جرمان)، وقد صمم روشنتد على ترك (الفلا) فأثثت له غرفتان في ملحق الفندق، وكان في امكانه من محله الجديد السير على الاقدام في غابات (سانت جرمان) وحيدا وبغير حراسة ما، وبرفقة ضابط الخفر النقيب فون (سالفياتي) الشهير بالمبارزة على الخيل، ولكن فعالية استطلاع

العدو الجوية ازدادت من شهر الى اخر، ودأب الطيارون البريطانيون على ترصد (سانت جرمان) باستمرار، لذلك فكرت هيئة ركن رونشتد ان تؤمن بعض الحماية الضرورية، وفعلا تأمنت تدابير الحماية في حديقة مجاورة للفندق، فانشئت ملاجىء عميقة بالقرب من سفح مرتفع من الارض.

كانت تدابير رونشتد لحماية نفسه اعتيادية للغاية، وكان يثيره صوت الحفارات التي تعمل لانشاء الملاجىء، كما لم يكن يحب دخول الملاجيء عند سماع صفارات الانذار بالغارات الجوية... لقد كان بامكان البريطانيين تدمير المقر بكامله حينذاك لو ارادوا تدميره.

ومهما يكن الامر، فقد ظهرت اخيرا فائدة انشاء الملاجىء، فسرعان ما اغارت الطائرات البريطانية على المقر من فندق هنري الرابع، وكانت الغارة شديدة للغاية، فأصبح كثير من الابنية غير قابل للسكنى، ولكن الحظ واكب هيئة الركن في هذه الغارة، اذ كانت الخسائر طفيفة، على الرغم من عنف هذه الغارة.

ولم يكن لرونشتد غير حماية قليلة ضد اعمال التخريب والغارات الارضية وغيرها، شأنه في ذلك شأن حمايته ضد الغارات الجوية، فلم تكن هيئة الركن موزعة الى اقسام معزولة عن بعضها، ولم تكن في المقر عوائق ولا موانع ولا نطاقات من الاسلاك الشائكة، وحتى لم يكن هناك حارس عدا جنديين طاعنين في السن يقومان بواجب الدورية عند حلول المساء.

لقد عاش الالمان والفرنسيون بسلام في كثير من الاحيان، ولم يخل المحلات اصحابها الا نادرا، وقد كان في وسع اي انسان فرنسيا او المانيا ان يغدو ويروح في اي وقت الى فدق هنري الرابع، ولم يحدث ابدا ان تضايق احد لاي سبب يمت الى التحديد من التمتع بحريته الكاملة، ولم يتبدل اي شيء في هذه الناحية بين سنتي (١٩٤٢ ـ ١٩٤٤) بالرغم من تزايد الخطر وتزايد التوتر في البلاد تدريجيا بسبب تبدل الموقف، اذ اصبح خطيرا بالنسبة للالمان؛ وكلما اقترب الصيف من نهايته، ازداد اعتقاد رونشتد بان هتلر لايستطيع الحصول على السلم.

كان الجيش الالماني في الغرب يجهل الموقف السياسي، بل كان يجهل حتى تطورات القضايا العسكرية في الشرق.

كنا قد تركنا الحديث عن بولندا بعد انتهاء الحرب هناك في نهاية تشرين الثاني سنة (١٩٣٩)، ومن بعد ذلك لم يعرف احد الشكل الذي اصبحت عليه العلاقات الروسية الالمانية، بعد تقسيم بولندا بين الطرفين. لقد علمتنا التجارب في الصفحة الثانية من الحرب البولندية، بان من الصعب تدبير التعامل مع الروس، فقد كان هناك دائما احتكاك واختلاف ناجم عن قضايا تافهة للغاية، كامتلاك ثكنة على جسر نهر (البك) او استعمال جسر ما على نهر (اسان) بالقرب من (بريز نيسل).

والان ما الذي حدث على الحدود الشرقية من تشرين الثاني (١٩٣٩) حتى نهاية صيف

سنة (١٩٤٠)؟ لم يكن يعلم ذلك احد في الغرب الا القليل. . . لقد سبق بيان الجهل بالحوادث السياسية. .

وفي ربيع سنة (١٩٤٠)، وفي بداية حرب الصاعقة في النرويج يوم ٩ نيسان، وقبل هذا التاريخ، كان رونشتد يلاحظ رحيل الفرقتين الجبليتين النمساويتين الثانية والثالثة من منطقته دون ان يعلم لما والى اين تذهبان! ولم تعلم هيئة الركن والقطعات ان قوات الحلفاء كان يجري اركابها بعد احتلال النرويج مباشرة لمساعدة فنلندا التي توصلت روسيا الى عقد صلح معها ثانية يوم ١٢ مارت عام (١٩٤٠) الا من الصحافة والدعاية والاشاعات.

لقد اشتبكت القوات الالمانية مع القطعات البريطانية في النرويج اكثر من مرة، كما حدث في (اندالسنس)، و (هارستان)، ولم يعلم القادة العسكريون في الجبهات الاخرى شيئا حول هذه الحملة الا معلومات قليلة تعادل معلوماتهم عن الحرب في فنلندا وروسيا، تلك الحرب التي انحاز فيها الجنود الالمان بعاطفتهم الى جانب فنلندا.

تظهر هذه الظروف الشاذة التي شرحناها باختصار هنا، والتي لايكاد يتصورها احد في البلدان الديمقراطية، كيف كان يدبر امر حرمان حتى اكبر القادة في البلاد الدكتاتورية من الاطلاع على المواقف السياسية!!. . .

لقد حمل هذا الجهل القائد العام ورئيس اركان الجيش على تقديم مقترحات سوقية، كان مصير اكثرها الرفض من هتلر، لانهما كانا يعملان وهما على جهل تام بالنيات السياسية التي تستند عليها الخطوط السوقية الى حد بعيد!!

لم يجر التطرق الى المسألة الروسية في الغرب الا نادارا خلال اشهر الصيف من سنة (١٩٤٠)، كما كنا نجهل الموقف في الشرق تماما، فقد افترضنا فيما بيننا ان كل شيء يجري هناك بنظام وفقا للاتفاقية المعقودة بين الطرفين، وفي ذلك، الوقت لم يكن بين هيئة الركن والقطعات من يحلم بحرب ضد روسيا.

وربما اسر هتلر ذلك في نفسه منذ زمن طويل، وربما سبق له التنويه عن نياته هذه لهيئة ركنه الخاصة او لرئيس اركان الجيش، ولكن رونشتد شخصيا لم يجد علما بأي شيء عن ذلك، ومع هذا فقد بدا بان شيئا ما قد يكون معلوما عن الحرب ضد روسيا لدى ضباط القوة الجوية والبحرية، كما اصبح واضحا ان كورنك القائد العام للقوة الجوية اوثق صلة بهتلر من رؤساء الجيش، وان ضابطا ما في القوة الجوية او البحرية خلال شهري اب وايلول عام (١٩٤٠)، كان يستطيع التلميح بان شيئا ما قد يحدث في الشرق عام (١٩٤١).

نقل مقر الجيش الرابع فون (كلوكا) من الغرب باتجاه الشرق، ومن ثم نقل الى (وارشو)، وقد زار المشير فون (كلوكا) مقر جحفل الجيش (آ) في (سانت جرمان) قبل رحيله، وتحادث لمدة طويلة مع رئيس هيئة الاركان. . . ان الامارات كافة كانت تدل على ان شيئا ما سيحدث في الشرق.

ولقد نشرت بعض التقارير في الصحف في هذه الايام، بان الروس اخذوا يظهرون

اتجاهات معادية ضد الالمان، ويضاعفون المشاكل، ويزيدون بالتدريج في عدد قطعاتهم شرق خط تقسيم بولندا، كما اشيع بان العلاقات قد تردت بين روسيا وبريطانيا من اجل فنلندا، كما تنبأ بعض الناس بنشوب حرب بين روسيا وبريطانيا..

انه لايمكن تفهم الموقف حينذاك الا بوصف حالة الشك والجهل التي عاش فيها القادة العسكريون باستثناء ضباط مقر هتلر... وحتى رونشتد نفسه لم يكن يعلم شيئا ذا اهمية عن الموقف السياسي، فهو جندي لاتثير في نفسه الحوادث السياسية الا قليلا من المتعة.

ولم يتصل رونشتد ابدا بهتلر هاتفيا كما كان يفعل (روميل) و (كلوكا) وكثيرا من القادة العسكريين، ومن اجل ذلك لم يحدث ابدا ان استدعاه هتلر الى الهاتف.

لقد كانت هناك طبعا مناقشات شخصية، ولكنها كانت تحدث حينما يريدها هتلر فقط.

ولم يجر اتصال هاتفي بين هتلر ورونشتد في اي موقف... لقد كانت المحادثات بينهما تجري بوساطة (كايتل) و (جودل).

الفصل السابع

الحرب في روسيا

ذكرنا سابقا ان قادة جحافل الجيوش وقادة الجيوش لم يزودوا بأية معلومات واضحة من هتلر عن واجباتهم المقبلة في الجبهة الشرقية. ان هذا الصمت مبدأ اساسي لكل دكتاتور، ولكن من المعروف ان رجال الدولة والسياسيين في الدولة الديمقراطية لايخبرون دائما قادتهم العسكريين بخططهم الا في المرحلة الاخيرة، وحتى في ذلك الوقت لايفصحون عن الدوافع الخفية، وبعبارة اخرى ان الجندي آلة بيد السياسيين، فهم وحدهم يقودون ويسيطرون، وليس على قادة الجيش العقلاء الا ان يعتبروا انفسهم جنودا يقتصر واجبهم على الناحية العسكرية فحسب!!

ان رئيس الوزراء والبرلمان في البلاد الديمقراطية يزودون العسكريين بمعلومات اكثر مما هو الحال في البلاد الدكتاتورية، كما تكون لاراء العسكريين هناك اهمية خاصة، اذ تدرس آراؤهم وتمحص بعناية، لذلك فان العلاقات بين السياسيين والقادة العسكريين تكون اوثق في البلاد الديمقراطية.

وهكذا كانت الامور تحت حكم هتلر، تختلف تماما عما هي عليه في البلاد الديمقراطية.

ازدادت في نهاية سنة (١٩٤٠) التقارير التي تشير الى حرب اجماعية ضد روسيا، وقد اشير في مقدمة الاوامر الصادرة عن هيئة ركن مقر الجيش، بان الاستعدادات ضد روسيا دفاعية محضة، نظرا لاحتمال قيام الروس بالهجوم على الالمان.

وفي بداية سنة (١٩٤١) نقلت فرق اخرى الى الشرق، لاسيما الى بروسيا الشرقية وبولندا ومقاطعة (بوزنان).

ولم تكن هذه القطعات منظمة لاغراض الهجوم بأي وجه من الوجوه، كما عبئت على مسافة بعيدة في الخلف منتشرة في مناطق شاسعة، تشغل نفسها بالتدريب.

وكانت هناك اجازات... وكانت ظروف الخدمة سليمة تقريبا، ولم يكن في اقصى الجبهة على خط التقسيم الروسي - الالماني سوى ثلاث او اربع فرق بالاضافة الى فرقة الخيالة الاولى بين الكربات والبلطيق!...

وكانت الجبهة بقيادة فون (كلوكا) الذي جعل مقره (الجيش الرابع) في وارشو.

لقد ساد هدوء مطلق خلال شتاء سنة (١٩٤٠ - ١٩٤١) على الحدود، وحتى بداية الحرب في ٢٢ حزيران سنة (١٩٤١) كانت روسيا لاتزال صديقة لالمانيا.

وكانت القطارات تسير بانتظام مارة بمحطات السكك الحديد في الحدود حاملة البضائع

بصورة اعتيادية، ولم يحدث لمنتسبي السكك الحديد غير صعوبات قليلة، وكان القطار الذي يسير من برلين الى موسكو مستمرا في مسيره، ولم يتوقف الا قبل اربع ساعات من بدء الحركات العدائية.

ووصلت فرق اخرى في شهر كانون الثاني عام (١٩٤١) قادمة من الغرب، ولكنها عبئت على مسافة بعيدة في الخلف، حيث استقرت هناك على نمط الحاميات.

ولم يكن هناك قيادة عليا في هذه المنطقة غير مقر الجيش الرابع فون (كلوكا) وبعد ذلك استلم رونشتد امرا يقضي بذهابه الى (برسلاو) في سيلزيا مستصحبا هيئة ركنه الشخصية الصغيرة، وقد اصدر هتلر امر هذه الحركة بصورة سرية.

وانتشرت في سنة (١٩٤١) الاخبار التي تفيد بان الروس عازمون على الهجوم لا على المانيا فحسب بل على اوروبة بكاملها... وقد اشار هتلر الى ضخامة التسليح الروسي والى عدد الفرق الروسية الهائلة، كما اشار الى الحرب الفنلندية، فاستدل من ذلك على ان الروس لايمكن ان يقوموا باستعدادات كبرى كهذه الا لغرض القيام بهجوم مباغت ضد المانيا.. وقد اعاد هتلر الى الذاكرة خطة (لنين) الذي كان قد صرح بان هدف الفكرة الشيوعية هو الانقلاب العالمي، ذلك الهدف الذي لايمكن ان يتحقق الا بالقوة، ولهذا انشأ الجيش الاحمر بسرعة جنونية.

وقال هتلر: «انه لايستطيع الانتظار طويلا، لئلا يكمل الروس استحضاراتهم»، وقد توقع خطرا داهما من الشرق ضد سلامة المانيا واوربة.

كما توقع قيام الروس بالهجوم في سنة (١٩٤١).

وقد تلقى الجيش الرابع في الربيع معلومات سرية من ضابط (لتواني) سابق في (كفنو)، تفيد بان الروس يقومون باجراء تمارين تستهدف احتلال بروسيا الشرقية من اتجاهين، كما ان الحرب ضد المانيا تناقش بصراحة تامة في مطاعم الضباط الروس، وقد ظهر التحامل ضد المانيا بوضوح في الافلام الروسية، كما وقعت بيد الالمان تقارير من مصادر تؤيد هذا التحامل، وايدت خرائط الموقف العسكري المؤشر عليها المعلومات الواردة من روسيا شهرا بعد اخر ازدياد عدد القطعات الروسية في (غاليسيا).

عارض رونشتدالحرب ضد روسيا منذ البداية، فقد حصل على معلومات لايستهان بها عن الشرق لاسيما البلاد الروسية: طبيعة البلاد، والجندي الروسي، ومشاكل الجو، والمسافات اللانهائية، والطرق الرديئة. لذلك فقد سأل هتلر عما اذا كان مدركا للمجازفات التي سيقدم عليها بالهجوم على روسيا؟... وقد ابدى القائد العام (براوشتش) ورئيس اركان الجيشر (هلدر) شكوكهما المؤلمة بهذا الصدد كما فعل رونشتد.

لم يحارب هتلر اثناء الحرب العالمية الاولى في الجبهة الشرقية مطلقا.

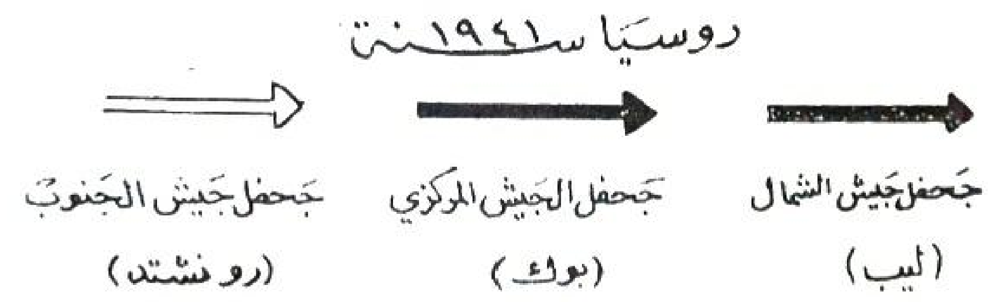
لقد كان رونشتد يعتقد بأن الروس لو كان في نيتهم حقا التعرض على المانيا، لفعلوا ذلك اثناء اشتباك الجيش الالماني كله في الحرب ضد الغرب، لذلك اعتقد رونشتد بان خير ضمان لسلامة المانيا هو في تقوية دفاعات الحدود وافساح المجال للروس للقيام بالهجوم ان

ارادوا . .

لقد كان كثير من الضباط قد سبق لهم معرفة الروس خلال الحرب العالمية الاولى، اذ اكتشفوا قوة شكيمتهم واستعدادهم الفطري للتضحية الشخصية ضمن حشودهم وعدم اكتراثهم بالخسائر، وكانوا يعرفون ان هذه البلاد الغامضة تستطيع اعداد الملايين من الجنود، وكانوا قد خبروا في سني (١٩١٤ ـ ١٩١٨) المساحات الشاسعة والمسافات غير المحدودة والمناخ القاسي والسبل الرملية والطرق الموحلة والغابات الضخمة والمستنقعات.

صحيح ان جنديا المانيا كان يقابله خمسة الى عشرة من الروس في الحرب العالمية الاولى، ومع ذلك انتزع النصر. بيد ان الاخطار الهائلة التي سيتعرض لها الالمان، كانت معروفة حق المعرفة كذلك، في حين ان السلم لم يكن قد اصبحت في متناول اليد في الغرب حينذاك.

روسيا سنة ١٩٤١



ويلي هذا السؤال العظيم الاهمية : هل ان الجيش الروسي الحالي احسن ام اردأ مما كان عليه ايام القيصر في سني (١٩١٤ - ١٩١٨)؟
لقد كان معروفا بان نظام موسكو السياسي قد وطد بشدة متناهية تفوق في ضراوتها الشدة ايام القيصر، وكان معلوما ان الجيش الاحمر جرى تنظيمه بشكل يختلف تماما عن جيش روسيا الامبراطورية، ولم يكن هناك شك في ان المعدات الحربية في الجيش الروسي الحديث احدث بكثير من تلك التي كانت على عهد القيصر.

وكانت تقارير الملحق العسكري الالماني في موسكو الذي عرف الروس سنين طوالا تدور حول قضايا على جانب عظيم من الاهمية، ولكن هتلر وكثيرا من بطانته لم يعيروا تلك التقارير ماتستحقه من اهتمام، بل لم يصدقوها! وفهموا روسيا كما فهمها نابليون من قبل. . . لقد كان هناك نواحي تشابه واضحة بين نابليون الاول وبين هتلر، اذ كلاهما ينزع الى الهجوم.
خشي هتلر من تعرض بريطاني من اليونان باتجاه الشمال نحو الدانوب كما فعل الحلفاء في البلقان عام (١٩١٨)، لان تطور هجوم كهذا يؤدي الى تهديد مؤخرة الجبهة الشرقية الالمانية في الجنوب، لذلك عزم على احتلال البلقان واليونان كافة لاحباط نيات البريطانيين، فأرسل المشير (كليست) الى هناك لهذا الغرض.

ورفع كثير من اليوغسلافيين راية العصيان ضد قوات المحور في نهاية مارت عام (١٩٤١)، وكان هذا العصيان مفاجأة كاملة لهتلر. ثم اعقب ذلك حرب قصيرة سريعة في البلقان بقيادة (ليست) وفون (كليست)، وقد استخدمت في تلك الحرب الفرق المدرعة بالاضافة الى المشاة والتشكيلات الجبلية، وبذلك انتهت هذه الحرب بالنصر بعد بضعة اسابيع.
ولكن هذه الوحدات الالمانية ولاسيما تشكيلات فون (كليست) المدرعة خصصت جميعها للحرب في روسيا، فنقلت بالقطارات وبالسيارات من اوروبة الجنوبية الشرقية الى الشمال ثانية خلف خط الحدود الروسية، حيث استغرق نقلهم وقتا طويلا، وكان من الضروري فضلا عن ذلك، ادخال الدروع والعجلات الى المعامل لغرض الفحص العام والتصليح لكي تكون قادرة على الخدمة ثانية.
وقرر هتلر ان تبدأ الحرب ضد روسيا في منتصف مايس سنة (١٩٤١)، ثم تأجل هذا الموعد شهرا كاملا، ولم تكن الحرب البلقانية نفسها السبب الرئيس لهذا التأجيل، بل كان السبب هو مباغتة هتلر بالانقلاب الحكومي الذى جرى في بلغراد، لان الدانوب والمواصلات مع رومانيا الحليفة التي تخترق يوغسلافيا كانت حيوية لاغراض التموين ولمرور القطعات الالمانية وقطعات المحور الاخرى منها الى جنوب الجبهة الشرقية. . . ومهما يكن فهناك عامل لايقل اثرا عما ذكرنا، وهو رداءة الاحوال الجوية عام (١٩٤١)، فقد ادى هذا العامل الى تأجيل الحرب الروسية ايضا.

ومن المعلوم ان الحركات السوقية الكبيرة السريعة كانت تلاقي عراقيل كثيرة شرق خط (سان ـ بك) حتى اواخر مايس، فقد غمرت الارض بالفياضانات الواسعة، واستطاعت طائرة استطلاع مشاهدة البحيرات الكثيرة وسعة المياه وتشعباتها في البلاد الشرقية، اذ كانت الارض رخوة مليئة بالمستنقعات كما كانت الطرق مغمورة بالاوحال.
وشهر مايس يتميز عادة بتبدلات في الاحوال الجوية، اذ ينحسر الماء وتلاقي الحركة صعوبات اقل، غير ان سنة (١٩٤١) كانت سنة استثنائية، ففي نهاية حزيران كان نهر (البك) وهو نهر بولندي على مقربة من (برست لوتفسك) في حالة فيضان تعلو ضفافه الامواه.

وبعد ان قرر هتلر ان يسبق الهجوم الروسي الذي تخيله بهجوم يقوم به هو ضد روسيا على الرغم من تحذيرات رونشتد والقادة العسكريين الاقدمين الاخرين، فكرت حينذاك القيادة الالمانية على ضوء الحقائق التالية:

كان القلق ناشئا بصورة رئيسة من تيسر قوات كبيرة عند الطرفين: روسيا والمانيا، فلدى الالمان حوالي (١٢٠) فرقة من مختلف الصنوف، ولدى روسيا حوالي (١٥٠) فرقة، بيد ان المعلومات المتعلقة بالروس كانت محدودة للغاية، فلم يجر استطلاع جوي، وليس بامكان هذا الاستطلاع لو جرى ان يحدد مقدار قوة القطعات الروسية.

وبمقارنة الموقف الالماني في الجبهة الروسية بالموقف الالماني في الغرب سنة (١٩٤٠)، يتضح ان الالمان وقوات المحور لم يكونوا متفوقين في الشرق تفوقهم في الغرب، اذ في الغرب بين البحر الشمالي والحدود السويسرية تحشد عدد هائل من الفرق تعقبها قوات احتياطية قوية للغاية موزعة عمقا على جبهة غير واسعة؛ اما في الشرق فقد امتدت الجبهة سنة (١٩٤١) من البحر الاسود الى بحر البلطيق، ونظرة الى خارطة اوروبة، تظهر ان الجبهة الالمانية ستزداد عرضا كلما ازداد التقدم نحو الشرق.
كان من الواضح ان الحركات ينبغي الا ترسم خططها على غرار خطط نابليون الاول في سنة (١٨١٢)، فقد استمر الروس حينذاك على التراجع، وعبثا حاول نابليون ان يلتقي بهم في معركة حاسمة. كان نابليون ناجحا في البداية في (سمولنك) و (بورودينو)، ولكنه لم ينل نصرا حاسما، اذ ابيد جيشه عندما حل الشتاء وهو متوغل في مجاهل روسيا.
تذكر جميع قادة المانيا عام (١٩٤١) هذه المغامرة الفرنسية المخفقة، لذلك استهدفت الحسابات والتدابير كافة عند وضع الخطط كسر شوكة الروس نهائيا في غرب (الدنيبر) و (دفينا) لوضع نهاية سريعة للحرب، وكان قد ادرك جيدا بان الحرب قد تصبح حرجة لانهاية لها اذ تعذر ابقاء الروس في غرب هذا الخط، لانهم سيبدأون عند ذاك على الانسحاب نحو الشرق.
وفضلا عن ذلك، فان اقصى خط يمكن ان تصله (خطوط التموين، هو خط (الدنيبر) و (دفينا)، اذ يمكن تموين القطعات لغاية هذا الخط بدون انقطاع؛ ولكن بعد الوصول الى

هذا الخط يتحتم اجراء توقف سوقي لغرض تحسين خطوط المواصلات، لذلك كانت الخطة بالنسبة للفرق المدرعة هي الاختراق سريعا باتجاه الشرق، على ان تعقبها في التقدم جيوش المشاة، ويكون بين الدروع والمشاة اتصال وثيق، على ان يجري تطويق الروس اينما صودفوا لقطع خط تراجعهم نحو الشرق. ليس في الامكان تطبيق هذه الخطة بنجاح، الا اذا بقي الروس في مواضعهم غرب (الدنيبر)، لا بل ينبغي وجود القسم الاعظم من الجيش الروسي غرب (الدنيبر) و (الدفينا) كذلك.

ولكن كيف يتسنى النجاح لهذه الخطة، والجيش الروسي الذي يبلغ تعداده الملايين لما يتم نفيره حتى الان، ولما يتحشد على حدود روسيا الغربية غير جزء قليل منه.

قد يمكن التغلب على هذا الجزء القليل من الجيش الاحمر المحتشد غرب (الدنيبر)، ولكن ليس من السهل القضاء على القسم الاعظم من الجيش الاحمر بعد انجاز تحشده.

لقد اصطرعت وجهات النظر لوضع خطة سوقية للحرب في روسيا على جبهة واسعة تمتد بين البحر الاسود وبين البلطيق.

فما هي وجهة نظر الاقتصاد السياسي؟ لقد كان هتلر يرى في موسكو اكبر عدو للعالم، وقد اعتبر هذه المدينة مركزا سياسيا وفلسفيا وتجاريا وفنيا للقوى الشيوعية. وكما كانت موسكو المركز السياسي، فان المصالح الاقتصادية تركزت لاسباب واضحة في القسم الروسي الخصيب الواقع جنوبي روسيا، فهناك مقاطعة (الاوكرين) الغنية المغطاة بحقول الحبوب الممتازة... وهناك ايضا منطقة الارض السوداء، كما يقع في الجنوب حوض (الدونيتز) فيه الصناعات الروسية الثقيلة، وابعد من ذلك في الجنوب تلوح مرتفعات القفقاس وابار النفط.

ولاشك في ان الخبراء الاقتصاديين الالمان اثاروا انتباه هتلر الى الثروة الضخمة في جنوب روسيا، فاعتبر هذه المنطقة هدفا سوقيا... وقد قيل له: لايمكن الاستمرار في الحرب مالم يتم احتلال (الاوكرين) وحوض (الدونيتز) ونفط القفقاس!!!

اننا نعلم بان السياسة والاقتصاد اثرا في خطة الحركات، وهذا مايحدث دائما في العصر الحديث...

فما هي وجهة النظر العسكرية؟ لقد برزت نظريات شتى لكل منها محاسن ومساوىء، وفي هذا الكتاب سنهتم بوجهة نظر رونشتد.

انه لم يتصور ان مركز الثقل كان في جحفل جيشه في (الجنوب) كما تصور الكثيرون، فهو يعتقد مستوحيا اعتقاده هذا من الوجهة العسكرية البحتة، ان مركز الثقل يجب ان يكون في الشمال اي في جحفل جيش الشمال (فون ليب)، وقد اعتبر منطقة (لنين غراد) الهدف الاول للحركات، فالاندفاع في هذا الاتجاه يؤدي الى الاتصال بالفنلنديين الشجعان سياسيا واقتصاديا وعسكريا، كما يؤدي هذا الاندفاع الى حرمان الروس من البلطيق نهائيا.

وقد تصور رونشتد ان الصفحة الثانية للحركات هي القيام بهجوم رئيس في اتجاه الجنوب الشرقي نحو موسكو.

وقد نتساءل ماجدوى هذه البحوث العسكرية البحتة؟ انها تظهر الاراء العسكرية مجردة عن التأثيرات الاقتصادية والسياسية، تلك العوامل التي سببت في كثير من الاحيان عدم انجاز رجال الجيش ما كان في استطاعتهم انجازه، اذ اضطرتهم مرغمين ان يكونوا الات في ايدي السياسيين والاقتصاديين.

عرف رونشتد بانه من اشد خصوم المغامرة الروسية، فقد ايد فكرة البقاء في حالة الدفاع في مواضع مستحضرة، ولكنه اذعن باخلاص واستقامة عندما اصدرت السياسة العليا قرارها، وكان من الواضح عنده ان الحرب ضد روسيا حرب طويلة، وان صراعا مثل هذا لاينتهي بحرب صاعقة خلال بضعة اشهر، بل بمرور وقت قد يطول الى سنين عديدة.

لقد كان رونشتد يمتلك معلومات متميزة عن الشرق، لذلك كان متأكدا من ان مثل هذا الواجب لايمكن انجازه الا من الشمال الى الجنوب، اي من (لنين غراد) الى موسكو ومن ثم الى الجنوب، ولكن لا فائدة ترجى من هذه الخطة مالم تنجز المراحل الاولى منها بنجاح، فاذا تبين خلال السنة الاولى بان المغامرين توغلوا اكثر من اللزوم، فان رأي رونشتد في هذه الحالة يقضي بالكف والانسحاب الى مواضع مستحضرة بعيدة في الغرب.

كان ترتيب القطعات النهائي كما رسمته القيادة العليا كما يلي:

تشكلت ثلاثة جحافل جيوش:

١ - جحفل جيش الجنوب: بقيادة فون رونشتد ورئيس هيئة ركنه اللواء المشاة فون (سود نستيرن)، وهو مؤلف من حوالي خمس فرق مدرعة وثلاث فرق آلية وخمس وثلاثين فرقة مشاة، وقد بلغ المجموع العام للعجلات المدرعة في هذه القوة حوالي (٦٠٠) عجلة.

كان العدو متفوقا بقواته المدرعة فواقا لايستهان به، اذ تبلغ عجلاته المدرعة حوالي (٢٠٠٠) عجلة حسب تقدير الالمان، غير انها كانت من طراز قديم.

وكان هدف رونشتد السوقي هو خط (اوديسا) - (كييف)، ومن ثم منطقة ؛(الدونيتز) واخيرا القفقاس، كان جناحه الايمن مستندا الى الحافة الشمالية لجبال الكربات الغربية غرب (برزميسل)، وكان جناحه الايسر مستندا الى (البك) في مقاطعة (كلودوا) في الحافة الجنوبية الغربية لمنطقة (بربيت)، وكان الجيش السابع بقيادة فون (ستول بناكل) يؤلف الجناح الايمن لجحفل الجيش، وكان الجيش السادس بقيادة فون (روشناو) يؤلف الجناح الايسر لجحفل الجيش، وكان الجحفل المدرع الاول بقيادة فون (كليست).

٢ - جحفل جيش المركز بقيادة المشير فون (بوك) ورئيس هيئة ركنه اللواء فون (كريفن برك)، وكان هذا الجحفل مركز الثقل، لهذا كان يضم حوالي خمسين فرقة من ضمنها تسع فرق مدرعة وسبع فرق آلية؛ وكانت الفرق المدرعة والآلية مقسومة الى جحفلين مدرعين: الجحفل الثاني بقيادة (كودريان)، والجحفل الثالث بقيادة (هوث)، وكانت موسكو الهدف السوقي لهذا الجحفل.

كان جحفل جيش المركز مؤلفا من جيشين بالاضافة الى الدروع: الجيش الرابع بقيادة فون (كلوكا) في اليمين، والجيش التاسع بقيادة (ستروس) في اليسار.

٣ ـ جحفل جيش الشمال بقيادة المشير فون (ليب) ورئيس هيئة ركنه اللواء (برنيك)، وكان يضم الجحفل المدرع الرابع بقيادة (هوبنر) وثلاث فرق مدرعة وثلاث فرق آلية، فيكون مجموع فرق هذا الجحفل ثلاثين فرقة، وقد كانت قوة العدو في منطقة هذا الجحفل متكافئة تقريبا مع القوات الالمانية وكان الجيش السادس عشر بقيادة (بوج) في اليمين، والجيش الثامن عشر بقيادة (كوهلر) في اليسار، وكانت (لنين غراد) والى جنوبها الهدف السوقي لهذا الجحفل.

يتضح من ذلك ان الجيش الالماني في الجبهة الشرقية جرت تعبيته جنبا الى جنب على شكل كردوس ضخم يمتد من الكربات حتى البلطيق.

يبدو عدد الفرق التي ذكرناها كبيرا جدا في هذه الايام، ولكن ينبغي ان نتذكر ان مائة فرقة في سنة (١٩٤١).

لم تكن شيئا كثيرا جدا ضد عدو كالروس تعودوا ان تكون الملايين تعدادا لجنودهم!!..

تختلف الفكرة العددية في الشرق كل الاختلاف عما هي عليه في الغرب الذي الف الاعداد الصغيرة نسبيا.

كانت قطعات حليفة من رومانيا بقيادة رئيس دولة رومانيا المشير (انطونيسكو) في جنوب جحفل رونشتد، وكان مع هذه القطعات الجيش الالماني الحادي عشر بقيادة فون (اسكوبرت)، غير ان هذه القطعات الرومانية والالمانية لم توضع تحت قيادة فون رونشتد المباشرة تقديرا (لانطونيسكو).

لقد علمتنا جميع الحروب ماينتشر بين الاحلاف من نفرة قومية وماتحتاجه ادارة العلاقات بين الاحلاف من حكمة وسداد.

كانت رومانيا في الشرق حليفة مهمة، وكان المشير انطونيسكو الرئيس الاعلى للدولة الرومانية، وقد جرى الاتفاق بين برلين وبخارست على ان يتولى انطونيسكو في اقصى الجنوب من الجبهة الشرقية قيادة مستقلة، ولكنه يكون خاضعا لوصايا رونشتد السوقية.

كانت القطعات التالية تحت تصرف رونشتد في بداية الحرب ضد روسيا: الجيشان السابع والسادس والجحفل المدرع الاول؛ كما كانت القطعات الايطالية التالية تحت قيادته: الفيلق الايطالي الثالث بقيادة اللواء (ميس) مع فرقتين مشاة والفرقة الخفيفة، كما كان تحت قيادته من الهنكاريين فيلق هنكاري، ومن السلوفاكيين الفرقة السلوفاكية الآلية، ومن الكرواتيين كتيبة واحدة.

كما توحدت في اقصى الجنوب قيادة الجيش الالماني الحادي عشر والجيوش الرومانية تحت لواء المشيرفون رونشتد

لم يكن بوسع اي قائد الماني اخر حل هذه المعضلة النفسية لكل هذه الامم احسن مما فعل رونشتد، الرجل العالمي الذي يمتلك سجايا عالية من الحكمة وفهما عظيما لادارة

الامم، ونذكر على سبيل المثال: انه كان من الضروري عدم اختلاط القطعات الرومانية بالقطعات الهنكارية، لان هذين الشعبين كان حينذاك متناحرين.

كان جناحا جحفل جيش الجنوب مكشوفين، وقد سبق لرونشتد قبل بداية الحرب ان اشار الى خطورة ذلك.

وكان على الجيش السابع في الجنوب ان يتقدم مخترقا (غاليسيا) متجها من الغرب الى الشرق، غير انه كان ما لايقل عن خمسة وعشرين فرقة روسية في اقصى الجنوب على حدود الكربات في الغرب من هنكاريا، فما الذي ستعمله هذه الفرق الروسية؟؟

لقد كان على رونشتد ان يفترض بان هذه الفرق ستقوم بالهجوم على جناحه الايمن عندما يتقدم من الجبال متجها نحو الشمال، لذلك طلب توحيد القيادة في رومانيا، كما طلب قوات اكثر في جنوب قاطعه لكي يعمل على تطويق هذه القطعات الروسية. وقد علمنا ان الجيش الالماني الحادي عشر كان في رومانيا للتعاون مع الرومانيين، ولكن ارتباط هذه القوات برونشتد كان واهنا الى درجة لاسباب سياسية.

اقترح رونشتد على القيادة العليا استخدام قطعات قوية لاسيما من الفرق الجبلية في الكربات ضد تلك الخمس والعشرين فرقة الروسية، ولكن رفض اقتراحه، لذلك اصدر المشير رسالة برقية كاذبة لتضليل الروس، وربما كان لهذا العمل التضليلي اثر فعال في انسحاب القطعات الروسية نحو الشرق بصورة غير متوقعة.

تقع منطقة المستنقعات (روكنتو) في شمال جحفل جيش الجنوب وتدعى هذه المنطقة ايضا باسم منطقة (بربيت)، وتمتد هذه المنطقة شرق نهر (البك(بين منبعه و (بريست ليتوفسك) والى (الدنيبر) على كلا جانبي (كييف) والى الخلف منها. ان مساحة هذه المنطقة بقدر مساحة (بافاريا) على وجه التقريب، وكان عرضها من الغرب الى الشرق ثلاثمائة ميل تقريبا.

وكان الاعتقاد السائد قبل سنة (١٩١٤) بانه من المستبعد قيام قطعات غربية بحركات واسعة في هذه المنطقة، لانها مغطاة بالغابات والمستنقعات التي لاتستطيع القطعات عبورها، مما ادى الى ابعاد هذه المنطقة من خطط الحركات، لانها تعتبر بحق عارضا طبيعيا لحماية الجناح.

ولكن هذه المعلومات الناقصة بالجغرافيا العسكرية، ظهر بطلانها في الحرب العالمية الاولى، اذ تحرك وقاتل كل من القطعات الالمانية والروسية في هذه المنطقة سنة (١٩١٥) ومابعدها، وهكذا فان الجبهة كانت تمتد من الشمال الى الجنوب مارة من وسط المستنقعات، ولم يكن في هذه المنطقة اراض منخفضة تعرقل المرور فحسب، بل كانت فيها غابات عظيمة وانهار تجري الى (البربيت) من كلا الجانبين يسكنها عدد قليل من السكان، ولايوجد فيها غير بضعة امكنة صغيرة انشأت بمواد بسيطة رديئة حتى بالقياس الى المستوى الروسي.

وكان يتحرك قطار رديء من (بريست ليتوفسك) الى (كومل) ومن (كومل) الى

(كييف)، كما كان يتحرك قطار اخر من الشمال الى الجنوب من (برانوويس) مخترقا (لوميز) حتى (راونوا)، وكانت هذه الوسائط تافهة للغايةبالنسبة الى منطقة مساحتها ثلاثون الف ميل مربع.
اما شبكة الطرق، فلم تكن اقل رداءة من ذلك، كما كانت اغلب جسور الانهار من الخشب، لذلك فانها غير قابلة لمرور الدروع والعجلات الثقيلة عليها.
وكان هناك كثير من السهول المليئة بالمستنقعات، لاسيما بالقرب من المياه، وكانت الى جانب ذلك مساحات شاسعة من الاراضي الخالية من المستنقعات والغابات.

كل ذلك يؤدي الى عرقلة الحركات السريعة، ومع هذا، لم تكن هذه بالنسبة للقطعات الروسية موانع خطيرة، لان من السهل عليهم عبورها من اي مكان بفيلق كامل، ويمكن اعتبارها منطقة دفاعية متميزة للروس يستطيعون ان يشنوا منها هجوما على جناح القطعات المتقدمة نحو الشرق من اي اتجاه يريدونه، وفي الحرب الروسية البولندية عام (١٩٢٠)، اجتاز الروس والبولنديون هذه المنطقة من جميع الجهات حينا بعد حين.
كان رونشتد يعرف مايجاور هذه المنطقة منذ الحرب العالمية الاولى؛ لذلك لفت انتباه القيادة الالمانية العليا الى امكان مرور قطعات لايستهان بها من هذه المنطقة دون ان تقدر القيادة الالمانية العليا هذه اللفتة ماتستحقه، فنتج عن ذلك مهاجمة الجيش السادس الالماني الذي كان جناح جيش رونشتد الايسر بقوات روسية قوية بعد خروجه من هذه المنطقة وتعويقه هناك مدة طويلة.
ليس في الامكان وصف الحركات السيارة المتقلبة باسهاب هنا، بل سنكتفي بسرد الحوادث الرئيسة باختصار.
نشبت في الايام القليلة الاولى التي اعقبت اجتياز الحدود الفاصلة معارك شديدة في نقاط منعزلة فقط، وبصورة عامة كانت الحركات سريعة، ولم تكن المقاومات الروسية شديدة كما توقعنا، وقد ايد ذلك ماقدره رونشتد من ان الروس لم يكونوا متهيئين للقيام بهجوم سنة (١٩٤١).
هناك دلائل كثيرة من ضمنها البرقيات المسترقة اثبتت لكلا الجحفلين الشماليين بان الروس في الايام الاولى اخذوا على غرة، ولكن سرعان ما تبدل الموقف، فازدادت ضراوة القتال على طول الجبهة من اسبوع لاخر.
لقد تبين ان قلق رونشتد على جنوبه كان في غير محله، فقد تراجعت الفرق الروسية الخمس والعشرون من الكربات باتجاه الشرق بدلا من ان تنقض على الجناح الجنوبي لجحفل الجيش، مما اثار دهشة رونشتد واعتبر الانسحاب شيئا شبيها بالمعجزات.
واشتد القتال عنفا في جبهة الجيش الالماني السادس الذي كان في اليسار والذي كان عليه ان يندفع الى الامام جنوب مستنقعات (بربيت) متجها نحو (كييف)، فهاجمته القطعات الروسية بشدة متزايدة يوما بعد يوم من الشمال اثناء حركته هذه، لذلك اضطر دائما الى ان يزج بقطعات قوية، وبذلك اصبح جناحه الايسر يطول ويضعف باستمرار،

ومما ادى الى تضعضع قوة اندفاعه نحو الشرق، واخيرا بقي جيش رونشتد متوقفا زمنا طويلا في الحافة الجنوبية من (البريبت).

ولكي نجعل الحوادث اكثر وضوحا، ينبغي ان نذكر بان الجناح الايمن للجيش الرابع الذي كان بقيادة فون (كلوكا) اي الجيش الايمن من جيوش جحفل الجيش المركزي، قد نجح من غير شك في تقدم القطعات من خلال مستنقعات (كنتو)، ولكن هذه القطعات كانت ضعيفة.

لقد كانت فرقة الخيالة الالمانية اول من جاس بحرية في خلال هذه المنطقة، ولكن قوتها كانت غير كافية، فسحبت ثانية بعد بضعة ايام باتجاه الشمال على طريق (برست ليتوفيسك) - (برانويس) العام، ودفع الجيش الرابع بدلا عن هذه الكتيبة فيلق مشاة مؤلف من فرقتين في البداية ثم اضيفت اليه فرقة اخرى، فأصبح مؤلفا من ثلاث فرق، فقد دفع هذا الفيلق للتخلل من بين هذه المنطقة الواسعة مجتازا (منسك) الى (كومل) و (موستير). الا ان الخريطة تظهر ان ثلاث فرق لاتعد شيئا مذكورا بالنسبة لهذه الامتدادات الشاسعة من البلاد، غير ان هذا الاندفاع الالماني لم يزعج الروس في الحافة الجنوبية لمنطقة الغابة، لان المسافة بين الفيلق الالماني المذكور وبين قوات الروس كانت بعيدة جدا، كما ان نهر (بريبت) كان يفصل بين الجناحين.

وصلت الوحدات الامامية لجحفل جيش الجنوب منطقة غرب (كييف) في منتصف تموز عام (١٩٤١)، وفي بداية اب اندحر الروس اندحارا حاسما في معركة (اومان)، وقد بلغت خسائرهم من الاسرى فقط مائة الف جندي.

وقد تمكن الجيش الحادي عشر الالماني والجيوش الرومانية في جنوب جحفل جيش رونشتد من الاستيلاء على (بسرابيا) واحاطت بـ (اوديسا) التي سقطت بيد القطعات الحليفة في منتصف تشرين الاول.

كان العدو لاينفك يناضل للاحتفاظ ببضعة رؤوس جسور على الضفاف الغربية، بيد ان (دنيبر وتبروفسك) وهو اهمها امكن احتلاله في نهاية آب.

تلت هذه الاحداث معركة (كييف) الكبرى التي تعاونت فيها اقسام من جحفلي جيشي الجنوب والمركز، اذ نجحا في تطويق اربعة جيوش روسية، وقد استمرت هذه المعركة الكبرى حتى نهاية ايلول (سبتمبر) وفيها استطاع جحفل جيش الجنوب اسر اكثر من ستمائة الف اسير روسي، وبعد قتال عنيف تم احتلال مدينة (كييف) يوم ١٩ تشرين الثاني.

كان الروس قد زرعوا الغاما كثيرة في المدينة، فاستمرت القنابل الموقوتة في الانفجار زمنا طويلا بعد سقوط (كييف) بيد الالمان، وقد تكبدت القوات الالمانية خسائر بالغة من جراء ذلك.

وماكادت هذه المعركة تبلغ نهايتها. حتى واصل رونشتد هجومه على (دنيبر) الاسفل الذي عبرته القطعات من نقاط كثيرة.

وفي معركة اخرى شمال بحر (آزوف) التي نشبت خلال النصف الاول من شهر تشرين الاول، تم تطويق قوات روسية كبيرة واسر مائة الف منها، وفي ٢٥ تشرين اول حوالي هذا التاريخ استولت قطعات رونشتد على مدينة (خاركوف) المهمة واحتلت منطقة (الدونيتز) التي كانت حيوية جدا للمجهود الحربي الروسي، والى جنوب من هذه المنطقة احتل اللواء فون (مانشتاين) الذي اصبح قائد الجيش الحادي عشر بعد وفاة اللواء (سجوبيرت) بالاشتراك مع القطعات الرومانية مداخل شبه جزيرة (القرم) بالقرب من (برى كوب) واستولى على (سمربول) في بداية تشرين الثاني، وكان يقترب من قلعة (سواستبول) المهمة التي كان قد اكمل استحضاراته لتطويقها.

ومع ذلك اضطرت القوات الالمانية الى اخلاء شبه جزيرة (الكرج) ومدينة (روستوف) بعد قتال عنيف ضد قوات روسية متفوقة فواقا ساحقا قامت بشن هجمات مقابلة.

ولكن ينبغي الا نفكر في ان الحركات جرت دون حدوث اي مشاكل في منطقة رونشتد، فقد كان هناك تضارب شديد في الرأي بين هتلر والقادة الكبار لجحافل الجيوش الالمانية الثلاثة على الجبهة الشرقية كلها بين بحر (آزوف) وبحر البلطيق؛ غير ان هذا الاختلاف ليس غريبا، لان الاختلافات لايمكن اجتنابها في مجال يحتمل وجهات نظر عديدة كالقضايا السوقية، ومثل هذه الاراء المتضاربة لامفر منها في جميع الحروب، لان القيادة ليست نظاما حسابيا يخضع لقواعد ثابتة، ولكنها تخضع ـ مع الاسف ـ الى حد كبير لما تمليه الفطرة السليمة.

كان هناك تعاون وثيق بين جحافل الجيوش الثلاثة خلال الحركات الواسعة، لذلك فان معالجة كل قاطع على حدة يؤدي الى اعطاء صورة خاطئة: مثلا، بقي جحفل جيش المركز عاطلا خلال اهم الاشهر من تموز الى ايلول، ولم يكن ذلك لصعوبات التموين فحسب، ولكن لاختلاف الاراء حول تقدمه الى مدى ابعد، فقد ظهر رأي يحبذ التقدم نحو موسكو بينما ظهر رأي اخر يحبذ نقل مركز الثقل الى رونشتد في الجنوب.

ضاع وقت طويل قبل ابتداء الشتاء، وخلال تلك الاشهر، كان على رونشتد ان يحرك بضع فرق في اتجاه الشمال الى الجيش الثاني من جحفل جيشه بعد ان استقر الرأي اخيرا على الهجوم بمركز الثقل على موسكو التي كان الهجوم عليها من واجبات جحفل جيش المركز.

ولم يكن رونشتد يتفق واوامر القيادة العليا التي كانت تطلب اليه الهجوم على (كريسك) في الشمال و (بولتافا) في الشمال الشرقي، (روستوف) في الجنوب، لان ذلك يؤدي الى تشتيت قطعاته، اذ تنشطر من المركز الى اتجاهات ثلاثة.

لقد اراد هتلر الكثير في التو والساعة، اذ اراد احراز انتصارات عسكرية، واراد السيطرة على المناطق الصناعية الهامة، ولايمكن دائما الجمع بين هذين المطلبين.

حدث النزاع الاول بين رونشتد وبين هتلر في نهاية تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٤١)، فقد تعرضت فرق فون (كليست) المدرعة لهجمات روسية مقابلة في منطقة

(روستوف) كما ذكرنا آنفا، وكان الشتاء الروسي على الابواب. فلفت رونشتد الانظار بصراحته المعهودة الى خطورة الموقف في (الدونيتز) طالبا اجراء انسحاب اختياري وتقصير الجبهة بالتراجع الى وراء نهر (ميوس)، ثم قدم تقريرا لهتلر اخبره في: بانه ان كان يرى غير رأيه، فعليه ان يفتش عن قائد عام اخر!

ان اختلاف الرأي ادى الى استقالة رونشتد.

اصيب رونشتد بنوبة قلبية حين كان يسير في شارع (بولتافا) في بداية تشرين الثاني (نوفمبر)، ومنذ ذلك اليوم ابتدأ مرضه، وفي يوم ١٢ كانون الاول (ديسمبر) عام (١٩٤١) غادر الجبهة الشرقية عائدا الى حياته المدنية في (كاسل)، فاختير المشير فون (ريشناو) خلفا وقتيا له، وقد وصف اللواء فون (سودنستيرن) الحصيف الماهر المهيب الذي كان رئيسا لهيئة ركن جحفل الجنوب وقتذاك كثيرا الحوادث التي افضت الى استقالة رونشتد بما يلي:

«عارض جحفل جيش الجنوب بكل قواه خلال شهري تشرين الاول (اكتوبر) وتشرين الثاني (نوفمبر) تقدم دروع (كليست) نحو (روستوف) على (الدون) كما امر هتلر، وكالعادة كثر الاخذ والرد في البرقيات ومخابرات هاتفية لاتحصى، وقد كلمت شخصيا (كايتل) هاتفيا مرات عديدة انصياعا لامر القائد العام، فوجدته غير مرتاب في قسوة شتاء روسيا، لكنه كان جاهلا بالظروف السائدة في الجبهة، مقتنعا بقابلية القطعات على انجاز واجباتها، وفوق هذا ابان بثقة افكار تعبوية وسوقية غريبة!!!

«وكما هو معروف، فقد جرى التقدم نحو (روستوف)، ولكن النتيجة كانت وفقا لما تنبأ به جحفل الجيش بالضبط، فبعد نجاح اولي عظيم ادى الى احتلال (روستوف)، نقل الروس قوات قوية وزجوا بها في هجوم مقابل ضد الجناح الشمالي المكشوف لهذا التقدم الذي لا غاية له، وبذلك عرضوا الالمان الذين اقتحموا (روستوف) لخطر قطع خط الرجعة والانعزال.

«في هذا الوقت بدأ النزاع بين رونشتد وهيئة ركنه من جهة وبين مقر هتلر من جهة ثانية حول الوقت المناسب لانسحاب هذه الوحدات التي زج بها الى الامام على غير هدى وبصيرة... ثم تتالت التقارير والاتصالات البرقية والهاتفية دون جدوى.

«وفي احدى اماسي تشرين الثاني (نوفمبر) الاخيرة، سطر رونشتد بخط يده جملة في التقرير اليومي المحتوي على مقترحات اخرى ملحة بسحب قطعات (روستوف)، تفيد بما يلي: ارجو ملتمسا ان استبدل بقائد اخر يتمتع بالثقة الضرورية من القيادة العليا! والواقع ان المشير فون (كليست) قائد الدروع افصح عن موافقته حينذاك على انسحاب هذه القوات الى ماوراء جبهة (ميوس).

«وعندما قلت لرونشتد وانا قلق: ان هتلر قد يوافق على هذا الالتماس لوجود هذا الجو المتوتر، اصر المشير على التمسك بقراره، بوجوب بقاء الفقرة التي ادرجها في التقرير.

«وفي الساعة الواحدة صباحا جاءت الموافقة باعفائه من قيادته واناطة قيادة جحفل جيشه موقتا بالمشير فون (رشناو)، ولكن (رشناو) افاد هاتفيا ظهر اليوم التالي بانه

لامقترحات لديه يقدمها حول الاستمرار في الحركات غير ما قدم سلفه، ثم استلم الموافقة على انسحاب قطعات (روستوف) الى جبهة (ميوس).

«وبعد بضعة ايام، واعتقد ان ذلك كان يوم ٣ كانون الاول (ديسمبر) طار هتلر الى مقر (كليست) في (تاكان روك)، وفي طريق عودته اضطره الجو الرديء الى الهبوط، فأمضى ليلته في (بولتافا) حيث كان مقر جحفل الجيش... وفي الساعة الخامسة. او الخامسة والنصف مساء شرحت الموقف لهتلر، فانتهزت الفرصة لوصف الحوادث التي تتابعت خلال الاسابيع المنصرمة بصراحة تامة، وخلال افاضتي في الحديث تطرقت الى مخابراتي الهاتفية المختلفة مع (كايتل) تلك التي اجريتها تنفيذا لاوامر القائد العام، كما تطرقت ايضا الى التماس ملحف ارسلته برقيا الى (جودل).

«بهت المستمعون جميعا بما فيهم (رشناو) ورئيس شعبة الحركات لجحفل الجيش و (شمندل) و (انكل) واخرون من بطانة هتلر، فرد هتلر بالكلمات التالية: «ثق ايها القائد اني غضبان واسف اذ لم احط علما بالحوادث التي ذكرتها من اي احد كان». فكان جوابي على ذلك: اني واثق تماما يازعيمي بانك لم تسمع اي شيء عن ذلك... ثم استطرد هتلر: اين المشير فون رونشتد؟ وكان هذا ينتظر في غرفة اخرى وفقا للوصايا. وفي تلك الغرفة عاد الوئام من بعد الخصام، وقد وصف لي رونشتد هذا المشهد بعد انتهائه مباشرة: اذ برأ هتلر نفسه متعللا بعدم الالمام بالحقائق، ورجا المشير بأن يعتني بصحته لكي يستردها بعد اجازة مرضية ولكي يضع خدماته المتميزة تحت تصرفه (تصرف هتلر)مرة اخرى»...

وفي يوم ٥ كانون الاول (ديسمبر) اقل رونشتد بين الحسرات قطار خاص يصحبه حرس شرف، بينما كانت الاجواق الموسيقية تعزف، كما حضر لتوديعه جميع الضباط الذين كانوا في (بولتافا).

لقد كان رونشتد مصيبا في تقديره للموقف بالقرب من (روستوف)، وفي سنتي (١٩٤١ - ١٩٤٢) كانت جبهة (ميوس) التي اقترحها احدى القواطع القليلة التي ثبتت للهجمات الروسية.

وكثيرا ماتحدث رونشتد عن حوادث هذه المدة، وفيما يلي احداهن بكلماته الخاصة:

«لقد فعلنا بعد احتلال الاوكرين كل ما في وسعنا لاعادة الكنائس الى الاهلين، وكانت هذه الكنائس قبل ذلك في اكثر الانحاء قد ازال عنها الشيوعيون قدسيتها، فاصبحت متاحف للفنون لامعابد الله، وسرعان ما اخرج الاهلون ايقوناتهم وزخارف الكنائس التي كانوا قد اخفوها عن اعين الروس واعادوا العبادة اليها. ولقد اعتدت وقتئذ ان احضر كنيسة (بولتافا) الصغيرة التي اقام سنة (١٧٠٩) بطرس الاكبر صلاة شكر فيها لانتصاره على (جارلس) السابع عاهل السويد.

«ولقد اعتدت دائما في الشرق على التجول (اعزل كما هو شأني في الجبهة الغربية) ولم يكن ليرافقني غير ضابط الخفر النقيب فون (سلفياتي)، فلم يزعجني احد... كما هفت قلوب سكان الاوكرين نحونا معاشر العسكريين.

«كادت منطقتي تكون خلوا من الحزبيين الذين ينسبون الى حزب النازي حينذاك، وقد نظر السكان الينا نظرتهم الى محرريهم... وفي ذات مرة عندما كنت اسير في شوارع (اومان) انحنت امامي فجأة امرأة ترتدي اسمالا وقبلت معطفي، وقد اجابتني عن تساؤلي الذاهل: عما تريده؟: ان لها فتاة بلغت الخامسة عشرة من العمر احبت ضابطا المانيا حبا جعلها تترك والدتها وتذهب معه، وان وحدة هذا الضابط في مكان قصي شرقا! لقد التمستني تلك الوالدة ان اعيد اليها ابنتها، ولم يكن مطلبها يسيرا في منطقة واسعة تضم عددا كبيرا من الجيوش، كما ان هذه المرأة لم تكن تعرف الوحدة المقصودة، ولكنني طلبت اجراء تحقيقات فورية في جميع الجيوش؛ والواقع ان الانضباط العسكري[1] التابعين للقيادة تمكنوا من العثور عليها. فأعادوها سالمة الى والدتها.

«كانت هذه الام امرأة متعلمة تعليما جامعيا حاملة لقب دكتور، وعندما استقلت في كانون الاول (ديسمبر) وغادرت (اومان) احضرت لي تلك الفتاة باقات من الورد الى المحطة، كما ان والدتها اهدت الي غطاء مائدة اوكراني طرزته بنفسها».

كان في اوكرانيا صعوبات عظيمة تعرقل التنقل، فقد كانت الطرق الروسية باستثناء عدد قليل منها رديئة جدا، وفي اوكرانيا كانت الارض السوداء الخصبة ذات تربة رخوة عميقة، تغدو في موسم الامطار مواحل بعيدة الغور، وكانت العجلات ترتطم عميقا في الوحل، وحتى العجلات المسرفة[1] لم يكن في استطاعتها شق طريقها الا بعد جهد واستهلاك زائد للوقود.

وفي صيف سنة (١٩٤١) دعا هتلر موسليني لزيارة الجبهة الشرقية معا، وقد فتش رئيس الدولة الايطالية القاطع المركزي (لبريست لتوفيسك)، ومن ثم اتجه جنوبا نحو رونشتد؛ وهنا اراد هتلر وموسليني بطبيعة الحال زيارة الفيلق الايطالي الذي كان يقاتل ضمن جحفل جيش الجنوب، لذلك سافر الدكتاتوران مع بطانتيهما وبصحبتهما رونشتد الى الجبهة. ولقد هطل حينذاك مطر غزير لم يدم هطوله طويلا احال الطرق التي كان عليهم اجتيازها الى مستنقعات، لم تتمكن السيارات ان تقطع غير عشرين ميلا خلال ثماني ساعات، اذ كانت السيارات تغطس في الاوحال التي كانت تبلغ الركب بصورة تزداد سوءا كلما استمروا في التقدم.

لقد توقفت الفرق الايطاليا حسب الاصول عن الفرق الالمانية، اذ كانت تقدمها بطيئا جدا وفي مدد طويلة.

اجتاز موسليني وهتلر ورونشتد هذه القطعات، وحصل الرئيسان على فكرة جلية عن حقيقة الجبهة الشرقية، وادركا ان اصدار الاوامر الخلابة من الخرائط على بعد شاسع في

---

(١) الانضباط: هم الشرطة العسكرية، وكلمة: الانضباط العسكرية اصطلاح يطلق على صنف الشرطة العسكرية (M. P) في العراق.

(١) العجلات المسرفة: هي الدبابات التي حول عجلاتها سلسلة حديدية. وهذه السلسلة الحديدية يطلق عليها في العراق: سرفة.

الخلف لاجراء تقدم سريع اسهل بكثير من تنفيذها في الجبهة في خضم من الاوحال والامواه.

تأثر هتلر تأثرا عميقا كما تأثر موسليني بذلك، فقال هتلر لموسليني: «ههنا نشاهد مستنقعات بلادك في منطقة (بونتين)»..

لهذا السبب ولان هتلر، كان دائما يعارض في اي شكل من اشكال الانسحاب، فقد اقتنع بانه لايجوز ابدا التفكير في مثل مقترحات روشنتد الانقلابية، ولكن كان من المستحيل الاستيلاء نهائيا على بلاد مترامية الاطراف كروسيا خلال شهور قليلة دون الاكتراث بالمسافات وبمصاعب المواصلات وبالشتاء الخ.

وعندما تعذر قهر هذه البلاد الشاسعة في سنة (١٩٤١)، لم يبق هناك مسلك غير الانسحاب الى مواضع جيدة قوية لاستئناف الحركات من جديد في سنة (١٩٤٢) والبحث بالوسائل السياسية عن مخرج من هذه المحنة.

كانت المساحات الشاسعة والمسافات المترامية والمواصلات الرديئة والشتاء القارص افضل حلفاء روسيا.

ومن المهم الا يغيب عن البال بأن الجيش الالماني عام (١٩٤١) كان لايزال مؤلفا من فرق مشاة محضة بصورة رئيسية، اي فرق من الطراز القديم، تلك الفرق التي كان على رجالها التنقل مشيا على الاقدام، وكانت الفرق الالية تؤلف جزءا صغيرا من المجموع العام، غير ان قطع هذه المسافة مشيا على الاقدام من (بريست لتوفيسك) الى موسكو مصحوبا بالقتال يوما بعد يوم يجعل الوصول امرا متعذرا.

لقد ادرك حلفاء المحور لاسيما الايطاليون والهنكاريون هذا الموقف بصورة جلية، واوضحوه لحكوماتهم في روما وبودابست، وكان التفاهم مع رومانيا ايسر من التفاهم مع الحلفاء الاخرين، لانهم يعرفون مشاكل الطرق في الشرق لقرب الشبه بينها وبين طرقهم، خاصة وان انطونيسكو نفسه كان رئيسا للدولة الرومانية.

ويمكن اثبات مدى تفاهة ادراك هتلر وبعض الدوائر الصناعية للموقف العسكري، من الحاق هتلر بالوحدات المقاتلة الالمانية سنة (١٩٤١) مادعي: بـ (الوية الزيت) وهي مفارز فنية خاصة غرضها استثمار اول منطقة للنفط، وهكذا كان حسابهم بان الجيش قد ينجح في المدة بين ٢٢ حزيران وبداية الشتاء في الوصول الى (باكو) في قفقاسيا الشرقية!!!

لقد كان ذلك مطلبا صعبا...

وبقي رونشتد في (كاسل) حتى رجاه هتلر ان يعود الى استلام القيادة في الجبهة الغربية.

الفصل الثامن
العوده الى الغرب

اعاد هتلر تعيين رونشتد قائدا عاما في الغرب، فبقي في منصبه هذا من اذار (مارت) عام (١٩٤٢) حتى احالته على التقاعد ثانية في مستهل شهر تموز عام (١٩٤٤).

لقد كانت هذه المدة عصيبة على رونشتد، لان الحرب وصلت الى مرحلتها الصعبة المعقدة.

ولكي نتفهم دور رونشتد قائدا عاما في الغرب بعد اقالته من قيادته في روسيا تفهما تاما، ينبغي ان اشير الى المذكرة الضافية التي وضعها الفريق (زمرمان) الذي كان رئيس هيئة ركن الحركات للقائد العام في الغرب عند استدعاء رونشتد الى منصبه الجديد.

لقد صنف الفريق (زمرمان) لرجال الجيش المتهنين تاريخا للقيادة الغربية في سفر ضخم يحتوي (٢٣٠٠) صفحة خلال سني (١٩٤٥ - ١٩٤٨) بطلب من الشعبة الامريكية للتاريخ وبمساعدة عدد من المعاونين.

كان الفريق (زمرمان) ضابط ركن بارزا يتميز بالحرص والعمل المثمر، وكان قد احيل على التقاعد في سنة (١٩١٨) بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى، ومنذ ذلك الوقت استطاع بكفاحه الشخصي وتحت ظروف شاقة ان ينشيء دار النشر العسكرية الشهرية المسماة (اوفين ورت) وجعلها ذات سمعة متميزة حتى سنة (١٩٣٩).

وفي سنة (١٩٣٩) استدعي الى الخدمات ثانية عند اعلان النفير، فاصبح رئيس ركن الحركات، وبقي في منصبه هذا من سنة (١٩٤٠) الى مايس (١٩٤٥)، شغل خلالها منصب رئيس ركن الحركات للجيش الاول بقيادة فون (ويتزلبن)، ثم رئيسا لركن الحركات للقائد العام في الغرب.

لقد كان معروفا منذ امد طويل في مقر القيادة الغربية العامة، ان القائد العام سيجري تبديله قريبا؛ اذ لم يكن المشير فون (ويتزلبن) قوي الجسم لاعتلال صحته.

وسادت فكرة في الدوائر العليا، هي ان تدابير السلم في الغرب ينبغي ان تتطور الى تدابير حربية، فالمدة الطويلة التي تلت الهدنة يوم ٢٥ حزيران (١٩٤٠) حتى بداية (١٩٤٢)، افضت بطبيعة الحال الى طراز من الحياة يختلف عما هو عليه في الجبهة الشرقية.

ولاشك في وجود حالة الحرب لازدياد فعالية القوة الجوية البريطانية والمغاوير (الكوماندو) البريطانيين، ولكن على العموم كانت الحالة سلما حقيقيا. وبدأت المقاومة الفرنسية بالانتشار هنا وهناك، غير انها كانت بدائية!

اما في روسيا فقد تعذر الحصول على نصر سريع كما املنا، وبالعكس ابتدأ القادة العسكريون والسياسيون يشعرون بخطورة الحالة في الشرق وبأن الروس لم يهنوا وهناً خطيرا في الرجال او المواد.

ولقد كانت الامال في الحصول على نصر سريع وسلم مبكر في الشرق خطأ فظيعا، اذ ازدادت قوة روسيا العسكرية وتضاعفت ارادتها على القتال، ومع هذا فقد طلبوا انجاز عملية اخضاع الروس في سنة (١٩٤٢).

وكان المفروض ان ينجز هذا الطلب بتعرضات جديدة تقوم بها القوات الالمانية في الجبهة الشرقية جنوبا باتجاه (الدون) والقفقاس، ولكن هل ستبقى انكلترا متفرجة تنتظر سحق الروس، ام ستقوم بالانزال في الغرب والهجوم باعتبارها حليفة للروس؟ وهل كانت الجبهة الغربية مهيأة للدفاع ضد الانزال والهجوم.

لابد ان هذه الافكار دفعت هتلر ومستشاريه الى تعيين رونشتد الكفؤ المعروف بقابلياته الفائقة قائدا عاما للغرب، كما عين هتلر اللواء (زيتزلر) رئيسا لهيئة اركان القائد العام في الغرب وهو ضابط معروف بأبداعه واندفاعه.

وفي اذار (١٩٤٢) وصل رونشتد الى باريس، فأطلعه رئيس هيئة ركنه على الموقف العام، فلاحظ ارتباكا في شبكة القيادة، مما يؤدي الى ضياع المسؤولية! لذلك تحتم على هيئة الركن ان ترتب نفسها لتنسجم مع شخصية القائد العام الجديد.

قلما كان رونشتد يتلقى تقارير رؤساء الشعب الكبيرة مباشرة، اذ كانت له طريقته الخاصة في العمل؛ فهو يفضل العمل منفردا يشاركه رئيس هيئة ركنه، وكان هادئا للغاية، وكان يسطر جميع القرارات بايجاز شديد، ولم يكن يميل الى المناقشات الطويلة، وكان يحب ان يترك حرية تامة لرئيس هيئة ركنه ولضباط الركن الاخرين في تبليغ الاوامر التي يصدرها؛ وكان يريد التمسك المطلق بافكاره العامة دون ان يزعج نفسه بالتفاصيل.

لقد كان رونشتد ينتمي الى مدرسة (مولتكه ـ شليفن) القديمة لهيئة الركن، هذه المدرسة التي تمنح هيئات الركن استقلالا وحرية تامين في العمل.

ولما وجد رونشتد في الغرب هيئة ركن جديدة غير معروفة، كان من البديهي ان يجري تبدلات كبيرة فيها. وصل رئيس هيئة الركن الجديد من الشرق، اذ كان حتى ذلك الوقت رئيسا لهيئة ركن جيش فون (كليست) المدرع وهو في غاية الحيوية والاندفاع. وحالما وصل المشير رونشتد الى الغرب في اذار عام (١٩٤٢)، كشف النقاب بنفسه عن انطباعاته الاولى التي يمكن اعتبارها اساس لدراسته للموقف كما وجده حينذاك، وسألخص النقاط الهامة للموقف:

١ ـ كان القتال مريرا في الشرق وسط الثلوج والجليد، وغالبا ماتكون درجة الحرارة تحت الصفر بما يتراوح بين (٣٥ ـ ٤١) درجة مئوية، ضد عدو ضار غير هياب، يضاف الى ذلك الشقاء من اللحن المكرر الناجم عن سعة روسيا اللانهائية ومايتركه من اثر نفسي في الجندي الاعتيادي.

اما الغرب فيسوده الهدوء ويغمره السلم والمرح في كل ناحية من نواحي الحياة، وفيه اماكن سكنى متميزة للقطعات ولهيئات الركن الذين يتمتعون بمسرات شتى واجازات كثيرة.

والان شاركت امريكا في الحرب حليفة لروسيا وبريطانيا، ومن المنتظر ان تؤثر قوتها قريبا.

٢ ـ كان على الفرق الالمانية في الغرب ان تكون على اهبة الاستعداد للحركة الى الجبهة الشرقية، اذ كانت الحاجة ماسة هناك دوما الى قطعات جديدة، ولكن كيف يتسنى لهذه القطعات ان تعود نفسها وهي في الغرب على قسوة الحياة في الشرق.

اصدر رونشتد عددا من الاوامر الثابتة الجديدة، اراد بها تبديل الحالة الراهنة للقطعات، وقد اكد بصراحة بانه لايلوم القطعات وهيئات الركن على نعومة الحياة في الغرب، اذ ليس في الامكان جعلها قاسية بطرق غير طبيعية، وهل في المقدور نقل شتاء روسيا الى ربوع باريس و (نيس) عنوة؟

كانت المشاهد الخلابة تحيط بالقطعات من كل جانب في الغرب، ولم يكن في الاستطاعة تبديلها.

٣ ـ من المهم ان نذكر بعض اراء رونشتد عن سياسة المدينة تجاه فرنسة بكلماته الخاصة:

«لو ان المشير الرشيد (بيتان) لم يعمل على ايقاف الحرب عام (١٩٤٠)، لحرم هتلر فرنسة من استقلالها وجعلها محمية، فقد بقيت حكومة فرنسية على الاقل.

«لقد كان رأيي منذ البدء وابدا، ان ماسمي: (اوروبة الجديدة) لن يكون عمليا بدون حكومة فرنسية مستقلة، لذلك حاولت دائما بكل امكانياتي ان اساعد المشير (بيتان) الذي اكن له خالص التقدير، كما حاولت حمل هتلر والاخرين على ان يصرحوا في النهاية تصريحا مفاده: ان فرنسة ستحتل بعد ان تضع الحرب اوزارها المركز الذي يليق بها؛ ولكن محاولتي هذه ذهبت ادراج الرياح.

«وفضلا عن ذلك حاولت دائما معاونة هذا المشير العجوز في مجالات اخرى، فقد حاولت مثلا في اثناء الحرب، ان يشرع في بناء قوة فرنسية جديدة، وكان بعض مادفعني الى ذلك عاطفتي نحو فرنسة، ولكنني اردت ايضاان تقوم هذه القوة بمنع العصابات من الانبثاق في فرنسة، تلك العصابات التي قد تكون عائقا خطيرا لقطعاتي في حالة نشوب الحرب في النهاية؛ ثم ان قيام هذه العصابات بالقتال يؤدي الى الحاق الضرر بالسكان الفرنسيين انفسهم ايضا.

«اني اعترف بان محاولاتي هذه منيت لسوء الحظ بالاخفاق لاسباب مختلفة خارجة عن طاقتي».

وينبغي الاشارة هنا الى ان عددا ضخما من التقارير والبرقيات والمقترحات والعروض لصالح فرنسة قدمت الى هتلر، وكل هذه الوثائق في حوزة الحلفاء اليوم صودرت بعد انهيار المانيا.

لقد كان ميل رونشتد الخاص نحو فرنسة منبثقا عن شعوره اللا ارادي الصادر عن دمه الهكونوتي، وسنرى مافكر رونشتد بعمله وما استطاع انجازه فعلا على الرغم من انه جندي لاعلاقة له بالسياسة.

٤ ـ كان موقف البحرية الالمانية في الغرب سنة (١٩٤٢) كما يلي:

اذا تكلمنا بصراحة، فان عمل الجيش حينذاك كان مجرد مراقبة السواحل وحراسة مواضع البحرية المحصنة. ان كل شيء يحدث في البحر يعتبر حربا بحرية، فلا عمل للجيش الا اذا انزل العدو قطعاته في الساحل، لذلك كانت اغلب البطاريات المدفعية الساحلية بما فيها تلك التي تعود للجيش ولكنها تحت سيطرة الاسطول في مواضع مغلوطة؛ اذ كانت مكشوفة تماما ومعبأة بشكل يشابه وضع المدافع في ابراج البواخر دون ان يكون لها تأثير مباشر في الساحل، كما لم تكن قادرة على الرمي الا باتجاه البحر فحسب؛ وليس في امكان هذه البطاريات ان تؤمن ستر الساحل نفسه او الجبهة الامامية القريبة بالنار، وقد سبق لرونشتد ان اقترح مرات تعديل هذه المواضع، غير ان هتلر ابى ان يفعل شيئا.

اصبح هتلر قائدا عاما للقوات الالمانية الموحدة بعد تسريح القائد العام (براوشتش) في اواخر عام (١٩٤١)، وبذلك اصبح قائدا للجيش وللبحرية وللقوة الجوية، لذلك فكثيرا ما اصدر قرارات ضد نفسه عند تقديم بعض الخدمات التماسا ما، بيد ان البحرية والقوة الجوية كانتا لاتزالان لهما قائداهما العامان، ولان هذين كانا قريبين من هتلر دائما تقريبا، فان تأثيرهما في هتلر بطبيعة الحال كان اكثر من تأثير الجيش المحروم من قائد عام.

لقد كان رأي رونشتد ان اقتراب سفن العدو من الساحل لغرض الانزال، يجعل الحرب برية لابحرية، وكان يقارن بالحرب في الجبهة الشرقية قائلا: انها لاتختلف في شيء عن الدبابات الروسية عندما تتدحرج على السهول متجهة الى مواضعنا مباشرة، ولكن رغم ان هتلر لم يصدر قرارا جازما كما ذكرنا حول البت في هذه المشكلة، فان التعاون ـ فيما عدا ذلك ـ كان وثيقا بين الجيش والقوتين البحرية والجوية.

وتردد في الاذهان السؤال الحيوي عن الغزو في الوقت الحاضر بجد واهتمام بالغين، وكان لرونشتد جوابه الخاص عن هذا السؤال.

يمكن ان يجري الغزو في اي مكان، ولكن اكبر الظن انه سيجري في ساحة القنال. صحيح ان الانزال هنا يؤدي الى لقاء العدو في امنع مواضعنا، ولكن بعد نجاح الانزال سيكون الطريق اقصر للعدو واسرع، ويؤدي بدون اعاقة الى الراين الاسفل ومنطقة الرور التي هي الهدف الواضح للحلفاء.

ولم يكن للالمان في سنة (١٩٤٢) قوات كبيرة في البلجيك او على طوار الجدار الغربي او في الراين، وطبعا كان هناك السين والنورماندي، على الرغم من ان البحرية تعتقد ان الانزال في هاتين المنطقتين غير ملائم، لضرورة اجرائه خلال المد العالي. ان هدف هذا الانزال هو باريس، والذي يسيطر على باريس يسيطر على فرنسة كلها، كما يمكنه منها الاستمرار في التقدم في الجناح الايمن من (ترير) عبر (آخن) من كلا الجانبين باتجاه منطقة (الرور) الى المانيا الشمالية، وفي هذه الحالة يمكن ازالة اية حامية المانية ساحلية لاتزال ثابتة في القنال بسهولة من الخلف، كما يمكن بهذه الطريقة القضاء على قواعد (اسلحة النصر) التي كانت في طريق الانشاء.

لقد آمن هتلر بالقيمة الحاسمة للتحصينات الدائمة المشيدة من الحديد والترابة (السمنت)، وقد اوحى اليه هذا الاعتقاد بكل الاساليب التي طبقها في الغرب، فارتاح كثيرا بانشاء الجدار الغربي على الحدود الالمانية.

وبدأ القلق يساور هتلر عن الغرب في سنة (١٩٤٢) بعد ان تعذر التغلب على الروس، ولذلك اكب بفعالية متزايدة على انشاء: (جدار الاطلسي) الذي صمم على اساس تأليفه من الدفاعات الساحلية القوية نسبيا في هولندا من جزيرة (تسل) الى (انتويرب) ومن تحصينات تمتد من (اوستند) مارة خلال (كالية) و (بولون) و (دييب) و (الهافر)، وقد تقرر اعطاء اهمية خاصة الى قاطع (اوستندو كالية - ابيفيل)، فهنا كان القتال اضيق مايكون وانكلترا في اقرب محل؛ فكان هذا القاطع في رأي هتلر اكثر خطرا من ناحية الانزال من القواطع الاخرى.

صدرت الاوامر بالبدء بانشاء التحصينات في سنة (١٩٤٢)، غير ان انجازاتها كانت بطيئة الى ان حل الخريف، فعقد مؤتمر في برلين اشترك فيه ضباط ركن وضباط هندسة ومهندسون من منظمة (تود)، وكانت هذه المنظمة مؤلفة من مدنيين فنيين نظمهم المهندس (تود) مؤسسة لانجاز التعهدات الكبرى، وكان لافرادها بزاتهم الخاصة شأنها في ذلك شأن سائر المؤسسات المدنية.

ولم يكن هتلر يثق بصنف هندسة الجيش، فكان يعتقد ان مهندسي الجيش يشتغلون ببطء عظيم وبدقة اكثر من اللازم، لهذا السبب كلف منظمة (تود) ببناء جدار الاطلسي.

لقد سمح بلاشك للقائد العام وللجيوش المرابطة على الساحل، ان تعين مواضع خطوط التحصينات من الناحية التعبوية، ولكن ليس لها ان تقول شيئا عن عملية الانشاءات من الناحية الفنية.

وبالطبع كان للبحرية في الدرجة الاولى وللقوة الجوية في الدرجة الثانية اراء مختلفة اخرى، وكثيرا ماحاق بوحدات الجيش المرابطة على الساحل عاقبة هذا الاختلاف، وسأتحدث فيما بعد بشيء من الاسهاب عن جدار الاطلسي عندما سأتطرق بالبحث الى عامي (١٩٤٣ و ١٩٤٤).

يتعذر فهم اعمال رونشتد في الغرب عام (١٩٤٢)، ما لم نحط علما بالاسس التي بنى عليها اعماله. كان في الغرب عدد من القيادات يعمل كل منها منفردا، لعدم وجود وصايا خاصة من هتلر لديها، وكان منها مايلي:

أ - القائد العام في الغرب (فون رونشتد).
ب - القائد العام للاسطول الجوي الثالث (سبيرل).
ج - القائد العام لجحفل البحرية الغربي (كرانكل).
د - القائد العسكري في فرنسة (فون ستول بناكل).
هـ - القائد العسكري في بلجيكا وشمال فرنسة (فون فولكنهاوسن).

وبالاضافة الى ذلك، كان هناك سلطة منظمة (تود) المدنية، والسفارة الالمانية في

باريس، والحكومة في فيشي)؛ وكان مجموع ذلك يؤلف خليطا كبيرا من كل مايمكن من انواع السلطات؛ ولتنسيق اعمال جميع المقرات لغرض الدفاع، اصدر هتلر في ربيع (١٩٤٣) عندما وصل الى رونشتد وصايا الفوهرر الرقم (٤٠)، لبيان الصلاحيات الرسمية، ولكن لم يتحقق الغرض المنشود من هذه الوصايا الشاملة؛ فما هو السبب؟

أ ـ ليس من عادة الدكتاتوريات، ان تمنح صلاحيات واسعة جدا لرجل واحد؛ فالمبدأ الاساسي لديها هو: (فرق تسد)، لذلك صيغت تلك الوصايا بطريقة ابعدت اي فرد في الغرب عن السلطة الكاملة، وكانت العلاقات بين القادة قد حددت بفقرات وجمل صيغت معقدة متداخلة، فأصبحت مهمة القيادة العليا صعبة جدا ان لم تكن مستحيلة.

ب ـ اصبح هتلر عام (١٩٤٢) قائدا عاما للجيش، وكان (كورنك) قائدا عاما للقوة الجوية و (ريدر) قائدا عاما للبحرية ثم خلفه (دونتس)، وكان هؤلاء القادة دائما في تماس شديد مع هتلر، لهذا كان في استطاعتهم التعبير عن سياساتهم ومطاليبهم بدرجة اشد تأثيرا من الجيش، لان هتلر نفسه كان قائدا عاما للجيش!

نصت الوصايا الدفاعية الرقم (٤٠) للفوهرر على مايلي:

١ ـ ان رونشتد القائد العام في الغرب هو صاحب السلطة التعبوية والسوقية العليا فقط؛ واجبه: الدفاع ضد غز السواحل، وليس من صلاحيته اصدار الاوامر للبحرية والقوة الجوية الا ضمن هذا النطاق الضيق. لهذا لم يكن في مركز يشبه مركز ايزنهاور، ولكنه كان الاول بين زملائه القادة في الغرب المساوين في سلطاتهم.

٢ ـ كان القائد العام للاسطول الجوي الثالث (سبيرل) مستقلا استقلالا مطلقا وبمنزلة تعادل منزلة رونشتد، فليس عليه ان ينفذ سوى الاوامر السوقية للدفاع عن الساحل، اما الحرب الجوية ضد بريطانيا والاستطلاع البعيد فوق الاطلسي والبحر الابيض المتوسط، فقد كانت مسائل خاصة بالقوة الجوية، ولم يكن رونشتد ليستطيع ان يصدر اوامر بشأنها للقوة الجوية.

٣ ـ كانت العلاقات مع جحفل البحرية الغربي مشابهة للعلاقات مع القوة الجوية تماما، واكثر من ذلك كان قائدها العام معتبرا في منزلة مساوية لمنزلة قائد الجيش وقائد القوة الجوية، ولم يكن من صلاحية القائد العام في الغرب اصدار اوامر اليه باستثناء الاوامر التي تتعلق بالدفاع عن السواحل، وقد كانت البحرية لا الجيش هي التي تصدر الاوامر في الموانىء، وكان القادة البحريون لمختلف شعب الموانىء بامرة الجيش عندما تدعو الحاجة الى الدفاع عن السواحل فحسب. كذلك كان للبحرية بطارياتها الساحلية الخاصة، وكانت قضايا رميها الفني وترتيبات احتلال مواضعها على غرار اساليب المدفعية البحرية التي تختلف عن اساليب مدفعية الجيش. كانت البحرية ترى ان المدافع الساحلية معرضة لقصف مدافع بوارج العدو، وان المدافع الساحلية يجب ان تقصف هي ايضا البوارج المعادية قصفا مباشرا ولكن البطاريات الساحلية كانت بدون حماية على الساحل فيسهل اسكاتها سريعا من الجو ومن البحر، فطلبت حمايتها بتحصينات قوية من

الترية (السمنت) والحديد، فكان نتيجة لذلك انشاء مواضع ضخمة في ريس (كريس - ينز) صممت لمجابهة اشد انواع القصف.

ولكن الجيش كانت له طريقة اخرى تلائم الحرب في البر، وذلك بغش البطاريات وعدم وضع المدافع على خط واحد قريبة من بعضها، بل ترتيبها بقدمات وبفاصلات عميقة تناسب الارض، وكانوا يستخدمون تعبية النار المركبة، وكانت بطاريات الجيش موضوعة بشكل تستطيع معه عند نزول العدو من ستر السواحل وجبهة البحر الامامية التي هي امامها على مدى قصيرة، ولم يكن ذلك ممكنا وانه ممكن الى درجة محدودة بالنسبة الى بطاريات البحرية الثقيلة، اذ ليس بامكان هذه البطاريات الا الرمي على مديات متوسطة وطويلة، كل ذلك ادى كما هو واضح الى اختلافات في الاراء بين الجيش والبحرية.

طلبت البحرية ان تسيطر على بطاريات الساحل المنسوبة الى الجيش، ولكن الجيش اراد ان يحتفظ بها؛ وقد طلب من هتلر ان صدر قرارا للبت في ذلك، فلم يفعل شيئا، فكانت النتيجة وجود ثلاثة انواع من المدفعية على الساحل: بطاريات البحرية الساحلية في مواضع من الحديد والترابة (السمنت)، وبطاريات الجيش التي هي بامرة البحرية وكان قسم منها في مواضع من الترابة (السمنت) اما اكثرها فكان في مواضع ميدان، واخيرا بطريات الجيش التي بقيت بامرة الجيش وهي التي لم يتسير لها بطبيعة الحال سوى القليل من الحديد والترابة (السمنت).

كانت نقاط اسناد (الغواصات) بحاجة الى تحصينات قوية من الترابة (السمنت) بسمك يتجاوز العشرة والخمس عشرة وحتى الثلاثين قدما، وكان ينبغي احاطة جميع مواضع البحرية والقوة الجوية المعرضة للعطب بكتل من التحصينات، لذلك كاد الا يبقى اي نوع من المواد لتقوية مواضع المشاة.

٤ - كان لكل من القائدين العسكريين في باريس وبروكسل مركز فريد، فقد كانا حاكمين عسكريين، اي انهما سلطتان محليتان، وقد احتوت واجباتها الشؤون الادارية للمنطقة المحتلة والعلاقات مع الحكومة الفرنسية او مع السلطات الفرنسية والبلجيكية حسب اختصاص كل منهما، ولقد كانا وحدهما المسؤولين عن الامن الداخلي وتدابير الشرطة والشؤون السياسية كافة؛ كما انهما لم يكونا مرؤوسين للقائد العام في الغرب بل انهما يخضعان مباشرة الى مقر الجيش الالماني اي لهتلر، وفي نفس الوقت كانا يستلمان الاوامر من مدير الميرة للجيش ومن وكلاء هتلر، وكثيرا ما كانا يستلمان اوامر مباشرة من هتلر من اجل خدمات الشرطة التي تعمل بامرتهم، تلك الاوامر التي لايعلم عنها القائد العام اي شيء في كثير من الاحيان.

لذلك فان رونشتد لم يكن ليستطيع اصدار الاوامر الي هذين القائدين عدا ما له علاقة بالدفاع السوقي عن السواحل ضد الغزاة.

لقد كان للقائدين العسكريين تشكيلاتهما الخاصة ايضا وهي التي تتألف من آمري

المناطق ووكلاء آمري المناطق ومن شرطتهم الخاصة ومن قطعات الامن الخاصة بها، هذه التشكيلات التي كانت خارجة عن سلطة القائد العام في الغرب.
٥ ـ كان الساحل الهولندي يخضع لقيادة رونشتد ايضا، اذ كان مسؤولا عنه سوقيا، وفي هذه الحالة طبق نظام يختلف عما سبق؛ فلم يكن في هولندا قائد عسكري كما في فرنسة وبلجيكا، ولكن هناك وكيل للرايخ الذي يتلقى الاوامر رأسا من هتلر، وكان فيها ايضا قائد للجيش الالماني في الاراضي المنخفضة (اللواء الطيار كرتيان سن) وهو الذي كانت بامرته جميع القطعات المرابطة في هولندا من الجيش والبحرية والقوة الجوية؛ ولقد كان هذا القائد مرؤوسا للمقر العام للجيش الالماني، اما للقيادة الغربية فكان مرؤوسا لها فيما يتعلق بالدفاعات الساحلية فقط.

٦ ـ كما كانت السفارة الالمانية ومنظمة (تود) المسؤولة عن انشاء تحصينات الساحل، وكثير من السلطات الاخرى مرتبطة بسلطات الرايخ العليا دون ان ترتبط برونشتد.
٧ ـ وكان فيلق الصاعقة المدرع يتلقى الاوامر من القائد العام في الغرب فيما يتعلق بالاستخدام التعبوي فقط، اما في المجالات الاخرى فكان مستقلا استقلالا مشابها لاستقلال القطعات الانفة الذكر.
٨ ـ وكان من اسوأ مظاهر هذا التوزيع الغريب للسلطات، ان القيادةالعامة الغربية وهي السلطة المسؤولة الوحيدة عن دفاعات الساحل، لم تكن تملك السلطة القانونية، وكان المسؤول القانوني ملحقا بهيئة الركن، ولكنه كان بدون محكمة؛ اما سلطة القضاء في الجيش، فكانت تنحصر في الفرق والفيالق، وكانت الجيوش ذات صلاحية محكمة عليا بالنسبة لفرقها وفيالقها؛ فكان جحفل الجيش والقيادة الغربية العامة بغير صلاحية حكم. وكان القادة العامون في جحفل الجيش والقيادة العامة الغربية مجردين من صفة القضاء؛ وهكذا عندما تحدث ضرورة لاتخاذ اجراءات انضباطية في وحدة مرؤوسة من الجيش، فان القيادة الغربية لايكون لها دخل في الموضوع، لان المسألة حينذاك تكون من اختصاص القادة العامين للجيش فحسب.
كذلك لم يكن لرونشتد اي نفوذ على البحرية والقوة الجوية وقطعات الصاعقة وقوات الامن التابعة للقادة العسكريين او للقائد العام للجيش الالماني في هولندا؛ لان جميع هذه الوحدات والتشكيلات المنسوبة للجيش الالماني لها صلاحياتها القضائية الخاصة بها.
وفيما يلي مثال غريب لذلك: لو ان الضرورة تطلبت اتخاذ اجراءات انضباطية في هيئة ركن رونشتد نفسه، لكان ذلك من اختصاص محكمة خارجة عن صلاحيته، ولربما تطلب الامر احالتها الى احد القادة العسكريين؛ لهذا لم يكن بوسع رونشتد ان يمارس السلطة الانضباطية حتى على هيئة ركنه الخاصة، فلم يكن رونشتد وهيئة ركنه باعتبارهم قيادة غربية عامة غير قيادة عليا سوقية محضة، وحتى هذا لم يكن ليتعدى نطاق الدفاع عن الساحل!
لابد وان يذهل الشخص الاعتيادي عندما يطلع على تنظيم محير مربك كهذا!!

لم تحظ وصايا هتلر الرقم (٤٠) بالرضا من اي احد، كما ادرك الجميع قصورها، الا ان جهود جميع القادة كانت منصرفة الى منع خطر الغزو، فعملوا يدا واحدةلهذا الغرض على الرغم من حدوث بعض التنافر بينهم في بعض الاحيان؛ وكانوا جميعا يشعرون بفضل رونشتد الذي عمل على اجتناب التنافر والتصادم بين القادة المرؤوسين، ولعل اي قائد اخر لم يكن في وسعه النجاح في ظروف شاذة كهذه، وسيتضح مدى الصعوبة والازعاج الكبيرين في القيادة العامة السوقية الغربية حينذاك.

كانت الاعصاب مكدودة باستمرار متوترة، يضاف الى ذلك وجود سلطات كثيرة من نوع واحد، ووجود سلطات اخرى تتلقى اوامرها من الرايخ مباشرة، وكثيرا ماتجاهلت سلطة معينة حتى الصلاحيات المحدودة لرونشتد واتصلت مباشرة بمرجعها الاعلى في الرايخ، ولربما كان هذا المرجع حينذاك يندفع لعرض ظلامته على هتلر الذي كان غالبا لايصدر قرارا ولكنه يحكم بينهما كما تحكم (بينيا) راهبة ابولو.

يشمل قاطع رونشتد الدفاعي خط الساحل التالي: جزيرة تيسل (شمال هلدر) فلوشنك - اوستند - كاليه - بولون - دييب - الهافر - شاربورغ - سنت لو - بريست - لورنيت - لاروشيل - الحدود الاسبانية؛ وعندما وصل رونشتد الى الغرب سنة (١٩٤٢) لم يكن البحر الابيض المتوسط قد ادخل في خط الدفاع الالماني، ولكنه كان ضمن منطقة الحكومة الفرنسية في (فيشي).

وكان خط الدفاع عن بحر الشمال وحوض (دوفر) والاطلسي مقسما عام (١٩٤٢) كما يلي:

أ - يدافع القائد العام للجيش الالماني في هولندا بقطعات الجيش البحرية والقوة الجوية عن ساحل هولندا من جزيرة تيسل (داخل) حتى قرب (فلوشنك). وفي شمال المانيا وكانت الدفاعات الالمانية للاسطول في (ولهلمسهافن) على مقربة من ساحل بحر الشمال.

ب - الى الغرب من ذلك، كان الجيش الخامس عشر اول مانصادفه من حوالي (زيبروك) ممتدا نحو الجنوب الى (الهافر)، لذلك فان هذا الجيش كان يدافع عن مصب (السين). كان الجيش الخامس عشر اقوى الجيوش نسبيا، لان الغزو كان متوقعا على الاغلب بين (اوستند) و (الهافر).

ج - كان الجيش السابع يتصل بالجيش الخامس عشر من حوالي منطقة (كان) الى مصب اللوار (داخل)، ولذلك كانت تقع في منطقته شبها الجزيرتين الهامتين: (كونتنن) و (بريتاني).

- كان الجيش الاول الضعيف يتصل بالجيش السابع في الجنوب من حوالي (لاروش) الى الحدود الاسبانية.

كانت قواطع هذه الجيوش الاربعة بامرة رونشتد، ولكن قائد الجيش الالماني في هولندا لم يكن يخضع لاوامر رونشتد عدا مايختص بالدفاع عن الساحل.

وكان مقر الاسطول الجوي الثالث في قصر (لوكسمبرغ) في باريس، وكانت تشكيلاته موزعة على فرنسة المحتلة وبلجيكا وهولندا.

وكان مقر جحفل البحرية في باريس ايضا، وكانت قواته الضعيفة من المدمرات وكاسحات الالغام والزوارق البخارية مبعثرة في مختلف الموانىء، وقد انيط به بصورة خاصة امر العناية بـ (الغواصات) المرابطة والعائدة من واجباتها والتي كانت تستقر في ملاجىء هائلة من الترابة (السمنت) في (لوريانت) و (سنت نازير) وفي الموانىء الاخرى.

لقد بقي الغرب هادئا حتى ذلك الوقت، اما الشرق فكان يجري فيه قتال مرير، وكانت فرق الجيش تتألف بصورة عامة من تشكيلات مزقتها الحرب في الشرق فنقلت الى الغرب لتعيد تماسكها وتنظيمها، ومن وحدات ضعيفة اخرى؛ وكانت الفرق تغدو الى الغرب وتروح الى الشرق في تبديل مستمر ـ لاسيما الفرق المدرعة. كل هذه التبديلات جعلت امر بناء الدفاعات الساحلية وانشاء التحصينات اكثر صعوبة، اذ يجري التبديل كل اسبوعين تقريبا، وكان يقتضي بناء قواطع فرعية جديدة دون ان يتيسر نظام لخطة دائمية للدفاعات، كما لم يكن بالامكان تغيير هذا الوضع خلال سنة (١٩٤٢)، اذ كان الغرب معتبرا حينذاك ساحة ثانوية من ساحات الحرب، وكان الشرق محتاجا الى القوات كافة بل الى زهرتها.

قد يمل القارىء اليوم من سرد الحوادث يوما فيوما كما حدثت خلال هذه المدة لذلك سأكتفي باختيار بضع تجارب بارزة من حوادث هذا العام.

احداها على سبيل المثال الغارة على (دييب) التي كثيرا مانوقشت وبحثت. لقد كانت هذه الغارة مباغتة تامة، ففي ليلة ١٨/١٩ اب، غادرت قافلة المانية بحرية (الهافر) وابحرت على طوال الساحل ثم عرجت على الشمال الشرقي؛ وحوالي الساعة الخامسة صباحا وصلت هذه القافلة الى محاذاة (دييب). ارتفعت اصوات قصف شديد من البحر في الغرب من (دييب)، فانذرت هذه الاصوات المدافعين عن الساحل، فتهيأوا للعمل، وكانت السفن الحربية البريطانية القادمة من الغرب قد اشتبكت بالقافلة الالمانية، اذ هاجم البريطانيون سفن هذه القافلة بصورة مباغتة تماما، فتفرقت سفنها؛ ولكن اغلبها وصل الى الميناء في ساحل فرنسة الغربي سالما. لقد كان من حسن حظ الالمان ان كانت سفنهم غرب (دييب) في الوقت المناسب تماما، وهذا مما اضر بجهود العدو ونبه الدفاعات الالمانية.

وصل التقرير الاول عن الغارة من الجيش الخامس عشر الى مقر رونشتد بعد حوالي الساعة، وكان مضمونه مايأتي: يحاول العدو الانزال بالقرب من (ديب)، وقد نجح العدو بالانزال استنادا الى التقارير التي وصلتنا حتى الان.

اصدر الفريق (زمرمان) الانذار حالا عن ذلك للقطعات كافة، كما اخبر رئيس هيئة الركن اللواء (زيتزلر) رونشتد بذلك، فوزعت الاوامر بسرعة، ورفعت التقارير الى مقر

الجيش الالماني، كما ارسلت المعلومات الى الاسطول الجوي الثالث والى جحفل البحرية الغربي بالاضافة الى اخبار القائدين العسكريين في باريس وبروكسل؛ وانذرت الجيوش المجاورة ايضا، لان رونشتد لم يكن يعلم فيما اذا كان سيتلو هذا الانزال انزال في اماكن اخرى.

نزل البريطانيون على جبهة تتراوح بين العشرة والاثني عشر ميلا، فوجدوا هناك فرقة المشاة (٣٠٢) الالمانيه التي قاتلت ببسالة، ولكن هذه الفرقة لم تكن مجهزة بالاسلحة الحديثة، لانها كانت فرقة ساحلية ليست ذات كفاية متميزة.

وشرع الاسطول الجوي الثالث وجحفل البحرية الغربي بالاستطلاع فورا، لمعرفة مقدار قوة العدو وفيما اذا كانت هناك تحركات معادية اخرى قادمة من انكلترا الجنوبية.

كان رونشتد يعارض دائما الدفاع المستكن غير السيار، فأصدار اوامره فورا لانذار الاحتياطات المتيسرة كافة لغرض القيام بهجوم مقابل لقذف العدو ثانية الى البحر فورا، وكانت الفرقة المدرعة العاشرة على قدم الاستعداد بالقرب من (اميان) وفرقة الصاعقة المدرعة الاولى في منطقة (روان) وبالاضافة الى هذه القوات الكبيرة قذف الجيش احتياطاته المحلية.

كانت الفرقة المدرعة في موضع مناسب جدا فزجت في القتال، وبقيت فرقة الصاعقة المدرعة الاولى بالقرب من (وان) متهيئة للاندفاع.

قصفت القوة الجوية الالمانية بواخر العدو، كما جمع الاسطول كل وسائطه المتيسرة وزج بها في المعركة.

وفي الساعة التاسعة صباحا اصبح واضحا بان الهجوم الرئيسي يستهدف (دييب) نفسها، بينما لوحظ هجوم ثانوي نحو الجنوب الغربي.

قدر رونشتد الموقف صباح يوم ١٩ اب بان العدو قام بهجوم واسع النطاق، ولكنه ليس انزالا كبيرا، وكان من الامور المتميزة بالنسبة لنا هو عدم قيام القوة الجوية البريطانية بهجوم مركز.

وفي خلال النهار اصبح الموقف اكثر وضوحا، فقد توقف الهجوم البريطاني في البر ودمر عدد من دباباته وهي لاتزال في البحر، كما وصلت احتياطاتنا امام (دييب).

كانت خسائر العدو فادحة، وقد امكن تمييز القطعات الكندية بصورة رئيسة. لقد تعذر الزج بـ (الغواصات) في المعركة، لان عمق الماء لم يكن كافيا لها؛ وقد امكن اسر عدد كبير من البريطانيين، وقبيل العصر قام الالمان بهجوم مقابل من ثلاث اتجاهات على العدو الذي كان لايزال ثابتا، بينما استمر الاسطول الجوي الثالث بمشاغلة اسطول الانزال.

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر، اقتربت طلائع وحدات الفرقة المدرعة العاشرة التي كانت في (امهانس) من (دييب)، ولكن لم يبق لمداخلة وحدات هذه الفرقة لزوم، لان الكنديين - ويظهر انهم كانوا حوالي فرقة قد سبق ازاحتهم من البر واصبح الساحل

بكامله بيد الالمان ثانية. وقد استمرت فرقة المشاة الالمانية (٣٠٢) الباسلة الرديئة التجهيز على القتال، وكان الاسطول الجوي الثالث - يسندها بصورة متميزة.

كانت خسائر الالمان معتدلة، ولكن قضي على بطرية ساحلية المانية، وقد ابيد متنسبوها بكاملهم تقريبا، وكانوا يتألفون من ثمانين جنديا.

وقاتل الكنديون بضراوة، غير ان الانزال سرعان ما انكشف، فضاعت المباغتة، واتخذت لمجابهته التدابير كافة.

بلغت الخسائر الالمانية حوالي ثلاثمائة جندي، اما العدو فبلغت خسائره سبعمائة قتيل في البحر وحوالي ثلاثة الاف اسير وثلاثين دبابة.

اهتم رونشتد بالدرجة الاولى بالقطعات التي تميزت على غيرها لصد هذا الانزال، فكوفئت بالاوسمة وبالمعاملة الخاصة.

واهتم بالدرجة الثانية بالسكان الفرنسيين في منطقة القتال؛ اذ لم يقتصروا على المعاملة الحسنة والاخلاص للقطعات الالمانية فحسب، بل ساهموا في العناية بالجرحى.

لقد قدم رونشتد شكره الخاص لهؤلاء السكان اعترافا باعمالهم؛ بل لعله فعل ما لم يكن ليفعله القادة الاخرون في الحرب، اذ اقترح على هتلر والح عليه ان يطلق سراح الاسرى الذين اسرهم الالمان في الحرب والذين يمتون بصلة قربى الى اولئك السكان. ان اي جندي في الميدان لايتصرف تصرفا يتسم بالفروسية اكثر مما فعله فون رونشتد.

وسرعان ماتحولت التجارب في (دييب) الى دروس ونتائج مفيدة طبقت في الجبهة الغربية بكاملها، وكان رونشتد متأكدا كل التأكيد بأن عمليات (دييب) ليست الا ممارسة، وان الحظ السعيد قد لعب دورا هاما في نجاح الالمان فيها.

وفي نهاية ايلول (سبتمبر) عام (١٩٤٢) سرح هتلر رئيس اركان الجيش الفريق المجرب (هلدر)، واختار اللواء (زيتزلر) رئيس هيئة ركن رونشتد خلفا له، فعينت خلفا له (زيتزلر) في القيادة الغربية ووصل مقر رونشتد في سنت جرمان قادما من الجبهة الشرقية في الايام الاخيرة من ايلول عام (١٩٤٢)، وسلمت من اللواء (زيتزلر) مهام منصبه، فغادرنا الى الجبهة الشرقية بعد ذلك بايام قليلة.

لقد سبق لي ان شغلت منصب رئيس هيئة ركن حركات مقر رونشتد في الحرب البولندية عام (١٩٣٩) وفي الحملة الغربية سنة (١٩٤٠)، وكنا نتفق في كثير من ميولنا جنودا وبشرا.

لقد تعذر تحقيق الاهداف الالمانية في الشرق بالوصول الى القفقاس وستالين غراد، وكان الجيش الالماني السادس قد اشتبك في قتال عنيف بالقرب من ستالين غراد يزداد ضراوة يوما بعد يوم، كما صرف النظر عن الهجوم الاصلي الذي كان يستهدف (لينين غراد)، لان الحاجة الملحة استنفذت الفرق المخصصة لهذا الغرض لاستخدامها في مناطق اخرى من الجبهة.

حقا لقد حصلنا على انتصارات رائعة في الشرق سنة (١٩٤٢)، لكن هذه

الانتصارات لم تكن حاسمة، وعلى العكس من ذلك ازدادت فعالية الروس وازداد الشعور في نفوس الجنود الالمان بانهم قد بلغوا غاية جهودهم ان لم يكونوا قد اجتازوا هذه المرحلة.

وفي شمال افريقية اندفع رومل منتصرا حتى الحدود المصرية، ولكنه غلب على امره من بعد، لنقص في التموين والقوة الجوية والدروع والعتاد والوقود، بينما كان وراء البريطانيين مصادر هائلة لاتنضب من تلك المواد.

وقد حدث تبدل ملحوظ في الموقف نتيجة للتعرض المقابل الكبير الذي قام به اللواء متكومري، فكان روميل على الرغم من قيادته المتميزة ومقاومة قطعاته الباسلة ينسحب غربا امام مطاردة الحلفاء من قاطع الى قاطع.

اسس في تونس خلال الخريف سنة (١٩٤٢) بعد هجوم انكلو امريكي على شمالي افريقية رأس جسر بالقرب من الدار البيضاء لحماية الطريق البحري من صقلية، وفي بداية تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٤٢) احتل اللواء البحري (دارلان) الذي كان قد فر من المشير بيتان شمال افريقية بمؤازرة القطعات البريطانية والاميركية والفرنسية، وهكذا ضاع شمال افريقية فعلا بالنسبة لحكومة فيشي.

ان بين الناس اليوم من يرى ان موقف المانيا بعد الهدنة الفرنسية في يوم ٢٥ حزيران (١٩٤٠) كان غير مفهوم، وهؤلاء يتساءلون: لماذا لم تحتل المانيا فرنسة بكاملها مدة الحرب لغرض حماية سلامة المانيا نفسها؟ ان هؤلاء الناس انفسهم قد دهشوا لموافقة هتلر بقاء جيش صغير لحكومة فيشي بالاضافة الى وجود قوات فرنسية من الجيش والطيران في شمال افريقية، يضاف الى ذلك ان جزءا لايستهان به من الاسطول الفرنسي كان في (طولون).

ينبغي ان ندرك بان هتلر كان واثقا حينذاك من بقاء (فيشي) موالية له طيلة الحرب، ولكن بعد ان قام (دارلان) بعمله ضد المانيا، استبان للقيادة الالمانية العليا الخطر الذي احدق بها في البحر الابيض المتوسط؛ فروميل يتراجع من تونس، بينما كانت القطعات الامريكية والبريطانية وقطعات (دارلان) الفرنسية في شمال افريقية والاسطول الفرنسي في (طولون) بالاضافة الى وجود جيش فرنسي في منطقة حكومة فرنسة في (فيشي).

كانت حكومة (فيشي) حينذاك مسيطرة على (البرانيس) والقسم الفرنسي من البحر الابيض المتوسط، فماذا سينجم فيما لو نزل الفرنسيون الفارون الموجودون في شمال افريقية مع قطعات الانزال الامريكية والبريطانية على ساحل البحر الابيض المتوسط؟ هل سيبقى جيش حكومة بيتان مواليا ام سينضم الى قوات دارلان؟

من كل هذا يستشف وجهة النظر الالمانية استشفافا كاملا، ويفسر لماذا امر هتلر بالتعجيل في احتلال فرنسة حالا ولاسيما منطقة البحر الابيض المتوسط! وهكذا تم الان ما سبق للمراقبين الاجانب اعتباره ضروريا في سنة (١٩٤٠).

لم تلحق تدابير هتلر هذه اي ضرر بمركز الحكومة الفرنسية في جنوب فرنسة، فقد امر

باحتلال هذه المنطقة سريعا حتى البرانيس والبحر الابيض المتوسط والتي اصبحت نظرا للموقف الراهن وبصورة مفاجئة مهمة للغاية.

لقدامر هتلر بالاستعداد لتقدم سريع نحو فرنسة الجنوبية، على ان يكمل هذا الاستعداد عند حلول شهر اب، وذلك لمجابهة الموقف العسكري المتوتر، ولم تكن هناك قطعات كثيرة متيسرة لهذا الواجب، اذ ان الفرق المتميزة كانت تعمل في سواحل فرنسة وبلجيكا وهولندا، ولم يبق لانجاز هذه الحركة غير فرق المستجدين من قوات الدفاع عن المانيا والتي كانت موجودة في فرنسة وبعض تشكيلات قطعات الامن التابعة لقائد باريس العسكري التي تتألف من جنود طاعنين في السن مسلحين بأسلحة خفيفة رديئة بدون مدفعية.

والقي على عاتق جحفل البحرية الغربية واجب تدريب مفارز خاصة لاستخدامها بعد احتلال ساحل البحر الابيض المتوسط في الاستيلاء على الاسطول الفرنسي المرابط في (طولون) باقل اصطدام ممكن، وكان على الاسطول الجوي الثالث ان يتهيأ لاحتلال المطارات الكائنة في جنوب فرنسة بعد ابتداء التقدم.

كان قلق رونشتد الرئيس منحصرا في التفكير بالقطعات التي يمكن استخدامها للدفاع عن الساحل الطويل من الحدود بالقرب من (فندرس) الى الحدود الايطالية بالقرب من (منتون)، وذلك بعد الاستيلاء على جنوبي فرنسة، وقد امكن في منتصف تشرين الثاني (نوفمبر) اخماد الثورة التي اشتعلت في الجزائر ضد حكومة فيشي بسهولة، كما امر هتلر في الشهر نفسه باحتلال فرنسة احتلالا عسكريا.

تحركت القطعات الالمانية الضعيفة غير الكفوءة، وكان هدف رونشتد السوقي الواضح هو الاحتلال السريع للنقاط الهامة، وهي الموانىء الكائنة على البحر الابيض المتوسط.

يقع طريق التقدم الى فرنسة الجنوبية من الشمال على طوار وادي الرون ومن الغرب على طوار نهر الكارون، لذلك فان خطي التقدم الرئيسين كانا ظاهرين للعيان لايخفيان على احد.

لقد جرى التقدم كما يلي:

أ ـ تحركت قطعات من الجيش الاول من (بوردو) مخترقة (طولوز) الى (ناربون).

ب ـ تحرك جحفل (فيلبو) مخترقا (ليون) الى مارسيليا وطولون، تعاونه مفارز اخرى اتجهت نحو فيشي، ولاجل الوصول الى الساحل على اسلوب حرب الصاعقة، استفادت القطعات من القطارات الموقوتة، فتحركت وحدات امامية صغيرة بهذه القطارات الى الساحل، وقد علق المشير رونشتد اهمية قصوى على الدخول الى فرنسة دون حادث ووزعت اوامر خاصة تحث القطعات على التمسك بالسلوك الحسن تجاه الاهلين والسلطات الفرنسية، وامر روشنتد بما يلي: «اجتنب مايخل بالنظام ويؤدي الى الازعاج مهما كلفك الامر» كما امر القطعات الالمانية بأداء تحية الصداقة لافراد الجيش الفرنسي الصغير كافة الذي كان لايزال موجودا.

وبالاضافة الى ذلك القيت نشرات بوساطة القوة الجوية، كما علقت لافتات لتوضيح سبب التقدم للاهلين.

اخبرت حكومة فيشي رسميا بامر التقدم؛ وقبل بضع ساعات من الشروع في التقدم، طلب رونشتد سيارته وتقدم امام قطعاته باعتباره قائدهم العام، وقام بزيارة بيتان في فيشي زيارة رسمية، وكانت هذه الزيارة بابداعه الذاتي لا بامر من المراجع العليا، وقد فعل ذلك لا تلطفا منه نحو مشير فرنسة، بل ليكون وجوده في فيشي قبل دخول القطعات الالمانية عاملا مؤثرا يزيل اي احتمال للتصادم بالقطعات الفرنسية قبل ان يفرط الامر.

وتم التقدم فعلا دون اصطدام، ولكن كانت هناك لحظات مرة عابرة لبعض الضباط الفرنسيين امكن التغلب عليها بالحسنى من كلا الجانبين.

لقد قدر الالمان ذوو السلطة كافة هذا الاتجاه الصحيح للجندي البارز اللواء (دي لتردي تاسكن) وقد وصلت القطعات الالمانية مرسيليا بعد اربع وعشرين ساعة من اجتيازها الحدود شمال ليون، اذ لحقت بالقطارات السريعة حسب جدول التوقيت لخطة التقدم.

نتج عن احتلال جنوب فرنسة توسع عظيم لمنطقة القائدالعام للغرب، كما نتج عنه مسؤوليات اضافية اخرى، فكان ينبغي تنظيم ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي بكامله سريعا واعداده للدفاع، ولكن لم يكن هناك سوى قلاع كبيرة قديمة ومرافىء بحرية، وكان الساحل نفسه غير محمي. ان المهمة الشاقة كانت في تزويد هذه الجبهة البحرية الجديدة الواسعة بالقطعات اللازمة، ولم يكن ليتيسر حينذاك غير قوات قليلة؛ فهل سيسمح الحلفاء لرونشتد بالتهيؤ؟

كان ينبغي اخذ حقوق سيادة فرنسة في الجنوب بعين الاعتبار، وفي نفس الوقت الاهتمام بأمر حماية الساحل وجبهة البرانيس، ولايمكن التوفيق بين هذين المطلبين الا بالتعاون الوثيق مع حكومة فيشي وحكام الاقاليم فيها. ولما كان التعاون السياسي من واجب الحاكم العسكري في باريس وليس من واجب رونشتد، فقد اوجد حاكم باريس العسكري منظمة لانجاز المطاليب العسكرية الالمانية من جهة والاحتفاظ بهيبة مقام حكومة فيشي من جهة ثانية.

ان هذه التدابير كانت مضطربة اشد الاضطراب!...

ويمكن ان نتصور مدى ازدياد مشاكل رونشتد الناجمة عن توسع واجباته في جنوبي فرنسة، ومع ذلك لم تكن هذه المشاكل كل شيء، اذ لم تظهر تعقيدات اخرى هناك.

وكانت فرنسة الجنوبية شرقي الرون من الوجهة السياسية ضمن نفوذ الايطاليين، لذلك لم يكن للقطعات الالمانية علاقة مابهذه المنطقة، ولكن برز السؤال التالي الان: من يحتل منطقة مارسيليا ـ طولون ـ منتون؟ وبعد مداولات طويلة بين برلين وبين روما، اتفق السياسيون على وضع الجيش الايطالي الرابع في هذا القاطع من الساحل، وكان

هذا الجيش الان قد عبىء بين (منتون) و اسبيزيا)، فكان عليه الان ان يمتد غربا الى طولون، وقد تقرر وضع هذا الجزء من الجيش الرابع الايطالي الذي سيحتل الساحل الفرنسي من (طولون) الى (منتون) بيمرة رونشتد من الناحية التعبوية فقط.
كان النصف الشرقي من المنطقة المحصور بين (منتون) و (اسبيزيا) بأمرة القيادة الايطالية العليا، لذلك يمكن تصور مدى المشاكل التي لابد وان حدثت في هذه المنطقة وحدها، وكان الفريق (فرسلينو) قائدا عاما للجيش الايطالي الرابع، وكان رجلا فعالا وقائدا كفوًا، اما رئيس هيئة ركنه فكان اللواء الالمعي (ترابو تشي).

لقد عبئت حوالي اربع او خمس فرق ايطالية مع عدد من البطاريات الساحلية على طوار ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي.
وبعد تغيير كثير للحدود الفاصلة، جرى احتلال الساحل الجنوبي على وجه التقريب كما يلي:
أ ـ جحفل جيش اللواء (فيلبر) مع خليط مختلف من القطعات في القاطع الممتد من الحدود الاسبانية بالقرب من (فندرس) الى (مارسيليا) (داخل) تتراوح قوة هذا الجحفل من اربع الى خمس فرق ضعيفة.

ب ـ القسم الغربي من الجيش الايطالي في القاطع الممتد من (طولون) الى (منتون)، وقد وصلت الى مقر رونشتد هيئة ارتباط ايطالية قوية برئاسة اللواء (مرازاني) وهو ضابط ايطالي كفؤ من صنف الخيالة، وكان قد سبق له قيادة الفرقة الايطالية المتميزة (ساليري) في الجبهة الشرقية عام (١٩٤١ ـ ١٩٤٢) وكان معروفا لدى رونشتد؛ وكان من ضمن اعضاء هيئة الارتباط العقيد (رافيولي) وهو ضابط جيد شغول، والمقدم (سكنوريني) الذي يتميز بالمرح الدائم، وكانت هيئة الارتباط هذه مؤلفة من حوالي ثمانية ضباط برفقتهم عدد لايستهان به من الاشخاص المرؤوسين؛ وقد انضمت هذه الهيئة الى مقر القيادة الغربية بصفتها جزءا منها، وكانت العلاقات الشخصية معها علاقات صداقة وثيقة.
تلقى الجيش الرابع الايطالي اوامره من رونشتد في القضايا التعبوية الخاصة بالدفاع عن الساحل، وكان هذا الجيش يستلم ايضا اوامر اخرى من مرجعه في روما، وكانت معالجة المشاكل التي لابد من نشوئها تجري بصورة مرضية من رونشتد، ذلك الرجل الذي تميز بموهبة فذة مؤثرة في ادارة افراد الامم الاخرى.
كتب اللواء (ترابوتشي) رئيس هيئة ركن الجيش الايطالي الرابع في رسالة مؤرخة في ١٠ كانون الاول (ديسمبر) عام (١٩٤٢) ومعنونة الى رئيس هيئة ركن القيادة الغربية مايلي: «عزيزي اللواء! وصف قائدي المغرم بالسجع عند عودته من باريس القيادة الغربية بقوله: «انها ضمت عنصري القيادة المثالية: عنصر الخلق القويم وعنصر الذكاء العظيم»، وقد قصد بذلك بطبيعة الحال رونشتد وهيئة ركنه».

وعند احتلال ساحل البحر الابيض المتوسط في تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٤٢) تشكل نطاق خارجي حول القاعدة البحرية في (طولون)؛ وقد تم هذا دون اخذ شعور البحرية الفرنسية بنظر الاعتبار، اذ لايليق باللواء البحري الفرنسي ان يتلقى الاوامر من الالمان في مرفأ بحريته الخاص! لذلك ضمت الوحدات الفرنسية التي كانت في طولون الى الدفاعات الساحلية الالمانية الايطالية.

وقد قدم المشير بيتان بعد هذا هدية لرونشتد معمولة بصورة فنية من غطاء برنزي لفوهة مدفع من اضخم مدافع البارجة البحرية المسماة (الالزاس).

اوشكت سنة (١٩٤٢) ان تنتهي، وكانت منطقة قيادة المشير رونشتد قد اتسعت، اذ امتدت الجبهة الساحلية الالمانية الهولندية على طوار بحر الشمال والقنال والاطلسي حتى الحدود في البرانيس، واخيرا الروابي الكائنة على البحر الابيض المتوسط، وبالاضافة الى ذلك دفاعات الالب من (منتون) نحو الشمال وعبر (مونت سنيس) حتى الحدود السويسرية؛ وكان احتمال قيام الحلفاء بالغزو يزداد دوما، وبدا بوضوح الخطر الذي يتعرض له المدافع في خطوط ثابتة مستكنة.

وعلى الرغم من بعض التجارب المرة التي نتجت عن تصرف بعض اقسام الجيش الفرنسي، فان الفكرة السائدة كانت السماح لحكومة فيشي بجيش جديد حتى في وقت الحرب.

كان رونشتد جنديا حقا لاتغيب عنه الدوافع الانسانية لفرار القطعات الفرنسية من حكومة بيتان، وكان يدرك تماما وجود الشعور الوطني العالي في الشعب الفرنسي، فلم يفاجأ بانحياز القطعات الفرنسية الى الحلفاء، كما سبق له ان تنبأ بان المقاومة الفرنسية ستنبعث يوما ما من شمالي افريقية.

لقد امل رونشتد معاونة قيمة من القطعات الفرنسية التي تشغل دفاعات السواحل، غير انه كان يرغب فوق ذلك في ارضاء المشير بيتان ومساندة حكومة فيشي، وبعد مناقشات تمهيدية طويلة مع مقر الجيش الالماني التي ابدت ارتيابها العظيم بجدوى معاونة الفرنسيين، وافقت تلك القيادة على بدء الاستحضارات للتعاون الالماني ـ الفرنسي؛ فالتحق العقيد (بون) وبصحبته عضوان من هيئة الهدنة في باريس بالقيادة العامة الغربية، كما استشيرت حكومة فيشي والقائد الخيال (بريدو) نيابة عن المشير بيتان من الجانب الفرنسي لهذا الغرض.

كانت المسألة تدور حول تشكيل بضع فرق تتألف من حوالي مائة الف جندي فرنسي، ولاجل ان يتم ذلك اخلت القوة الجوية الالمانية مراكز التدريب الصغيرة في جنوبي فرنسة، غير ان تسليح هذه القوة كان صعبا نوعا ما، لان الجيش الفرنسي على العموم كان مجهزا باسلحة قديمة يرجع تاريخ بعضها الى الحرب العالمية الاولى. . . لقد بذل رونشتد كل ما في وسعه لتجهيز هذا الجيش الجديد بأسلحة المانية افضل من تلك التي بحوزته!

استمرت هذه المداولات بضعة اسابيع خلال شتاء (١٩٤٢ ـ ١٩٤٣) في باريس،

ولكن كل شيء انهار من بعد ذلك، وقد نجم عن خيبة امل هتلر الجديدة في شمالي افريقية ازدياد ريبته في تشكيل جيش فرنسي جديد زمن الحرب؛ فأصدر امرا عاجلا لالغاء كل الاعمال التمهيدية التي جرت لهذا الغرض، فأسف كثيرا رونشتد الذي كان قد اخبر بيتان بوجهة نظره في هذا القرار. . . وعزم هتلر على تسريح ماتبقى من قوات الدفاع الفرنسية وتجريدها من السلاح، لانه ارتاب في اخلاص هذه القطعات، لهذا لم يجر في اي وقت من الاوقات ارغام حكومة فيشي على الدفاع عن الساحل جنبا الى جنب مع الالمان.

الفصل التاسع

المخاوف من الغزو

كانت ملحمة (ستالين غراد) تعكس ظلالها في النفوس، وكان الجيش الالماني السادس قد وقد في الفخ بفضل اوامر هتلر السقيمة، وكانت هذه المأساة هي الحادثة الاولى التي احدثت تأثيرا مؤلما في دائرة واسعة من الالمان، فقد اصبح واضحا بان الحرب في الشرق بدأت الان فقط، وكان الموقف في افريقية لايزال عصيبا.

دعنا نلقي نظرة على خارطة اوروبة: كانت الجبهة الالمانية بصورة عامة كما يلي: الساحل الغربي للنرويج - الدانمارك - ساحل البحر الشمالي الالماني - هولندا - بلجيكا - سواحل فرنسة حتى الحدود الاسبانية بالقرب من (ابرون) والى اقصى من ذلك شرقا، وكانت حدود جبال البرانيس تحرس ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي - دفاعات الساحل الايطالي - ساحة الحرب في شمالي افريقية - سواحل الادرياتيك - اليونان - البحر الاسود، ومن ثم الجبهة الشرقية تجاه الاتحاد السوفياتي وتمتد من غرب القفقاس الى (لنين غراد)، اضف الى ذلك الفنلنديين في جبهتهم من (لنين غراد) حتى بحر الشمال! وليس من الضروري ان تكون جنديا ممتهنا لتدرك استحالة الاحتفاظ بهده الجبهة التي تحتضن ثلثي اوروبة.

وكانت هناك مناطق شاسعة من الجبهة الغربية واوروبة الجنوبية بدون قطعات كافية للدفاع عنها، بل كان مفارز لحراستها ليس غير. لقد حدث في الحرب العالمية الثانية كما حدث في الحرب العالمية الاولى، ان توسعت جبهات المانيا تدريجيا وازدادت من جبهتين الى اربع جبهات، حتى ليمكن مقارنة المانيا بقلعة احيطت من جميع جوانبها؛ يضاف الى ذلك ان نواقص التجهيزات والموارد الخام اصبحت ظاهرة للعيان، بينما كانت موارد العالم الهائلة تحت تصرف الحلفاء.

وفي هذه الوقت ازدادت غارات الحلفاء الجوية باستمرار، بينما نقصت قبالية القوة الجوية الالمانية.

كانت المانيا قد استنفذت غاية جهودها سياسيا وسوقيا عام (١٩٤٣)، ثم اخذت امورها بالتدني بطيئا في بادىء الامر وسريعا من بعد ذلك، ولم تكن منطقة القيادة الغربية الواسعة في اوروبة غير جزء من المجموع العام. ومن سنة (١٩٤٣) فصاعدا بدأ الحلفاء الغربيون يقومون باعمال الخداع والتضليل بفعاليات متزايدة، فأين سيجري الغزو؟ يحتمل ان يتم في هولندا او بين (كاليه) و (هافر)، ولا فرق بين هذين المحلين من وحهة

صلاحيتها للانزال، وكانت شبه جزيرة (نورماندى) وشبه جزيرة (بريتاني) الممتدتان بعيدا داخل البحر صالحتين، فالبحر يحيطهما من الجانبين بصورة متميزة.

ولم يكن رونشتد وقتذاك قد فكر في الموانىءالاصطناعية، وقد افترض هو ورئيس هيئة ركنه بان الغزو قد يحدث على قطاع مفتوح من الساحل، ولكن في النهاية يجب ان يكون هناك ميناء جيد، وكانت شاربورغ وبريست اول مايلفت النظر. . . وربما يجري الانزال ايضا بين مصب اللوار والحدود الاسبانية، اي في (ليسلاندس LESLANDS)، وكانت في هذا القاط الذي يبلغ طوله حوالي ثلاثمائة ميل ثلاث فرق مشاة قليلة الكفاية، اي لكل فرقة من هذه الفرق الضعيفة حوالي مائة ميل، ولم يكن هذا دفاعا بل ادامة مراقبة الساحل حسب.

ولكن هناك احتمال لخطر يأتي من الاسبانيين باتجاه البرانيس، غير انه انتشرت اشاعات بان الحلفاء قد يقومون بانزال في شبه جزيرة الاندلس ايضا، وكانت هناك بعد ذلك جبهة البحر الابيض المتوسط التي اشرنا اليها والتي كانت بدون تحصينات تقريبا ولا يوجد فيها سوى قوات ضعيفة لاقيمة لها من الوجهة العسكرية!

كان رئيس شعبة الحركات في هيئة ركن رونشتد المقدم المتميز (مير دترنك) يقدم كل يوم تقريبا نوعا جديدا من انواع الرسائل التحذيرية حول مناطق الغزو المحتلة يجمعها من مصادر خارجية وداخلية.

ازدادت فعالية العدو الجوية في فرنسة ولاسيما في الليل، وكثيرا ما نقلت هذه الطائرات الى مراكز حركة مقاومة الفرنسية ضابطا ووكلاء بريطانيين لاجل تنظيم هذه المقاومة، كما القت كميات ضخمة من الاسلحة وخاصة الغدارات.

لم تكن حركات المقاومة الفرنسية ذات خطورة قبل سنة (١٩٤٢)، فقد كان هناك اعضاء قلائل فتكوا بافراد من الجيش الالماني قبل سنة (١٩٤٢) ولكن لم يكن لهؤلاء تهديد سوقي، اما في سنة (١٩٤٣) فكانت الامور تختلف عن ذلك، اذ نمت حركة المقاومة، وظهرت بتنظيم متين، وتطورت يوما بعد يوم، حتى اصبحت ثلاث مجموعات تتصارع فيما بينها حول قضايا السياسة الداخلية، وكثيرا ما طلب من حكومة فيشي اخماد هذا الخطر المتزايد بوساطة الشرطة، كما ازدادت اعمال المغاوير المعادية، وكانت هذه الاعمال عبارة عن غارات منظمة على الساحل، تقوم بها قطعات المغاوير البريطانية، فتدمر وتخرب وعلى الاكثر تقوم بالاستطلاعات.

بدت هذه الحوادث كافة في الغرب عام (١٩٤٣)، فزادت في التوتر شدة وخطرا.

وينبغي لي ان اشير الى ناحية اخرى، وهي ان الشيوعية انتعشت في الغرب وازدادت فعاليات الشيوعيين اكثر من السابق بعد الاندحار في (ستالين غراد)، وبدأت شعبة استخبارات العدو تعمل نشيطة، وقد علمنا بالتدريج بتكوين جمعية المانيا الحرة في روسيا واشتراك ضباط المان اقدمون ممن اسرهم الروس، وكان من بينهم اصحاب اسماء قديمة مثل (فون سيبرلتس)، فكان هذا في نظر رونشتد ليس مجرد افشاء للاسرار، بل هو خيانة

قد تؤدي الى ضياع ارواح عدد كبير من الجنود الالمان في الجبهة الشرقية.

ويبدأ الان نوع جديد من دعاية الحلفاء في الغرب، فكانت الرسائل اللاسلكية الاميركية ـ البريطانية تسمع في مقر رونشتد معلنة ضرورة تبجيل الضباط الالمان المشتركين في جمعية المانيا الحرة وتقديرهم تقديرا عظيما، وكانوا يعرضون علينا نحن الذين كنا في الغرب هؤلاء الخونة باعتبارهم امثلة سامية لضباط ذوي سلوك يستحق التقدير.

كانت هذه الدعاية موجهة بصورة خاصة الى رونشتد وهيئة ركنه للفت في اعضادهم، وكان تعليق رونشتد على ذلك: «تستثمر السياسة كل نوع من انواع الخيانة، ولكنها لاتشرف الخونة».

كانت دفاعات منطقة رونشتد الحقيقية واقعة على الساحل بطوار خط الشاطىء، لذلك اقيمت التحصينات على حافات السواحل بكل الوسائل المتيسرة، وستظهر فيما بعد جدوى هذه المواضع التي كانت موضع شك رونشتد.

ان اي قائد عسكري متزن التفكير، لابد وان يمعن النظر في احتمال اندحاره حتى وان كان في موقف ملائم، وقد بدأ الموقف في الغرب سنة (١٩٤٣) خطيرا للغاية، وكان القتال الشديد في افريقية واكثر منه في الجبهة الشرقية مصدر انهاك عظيم لطاقات الرجال والموارد كافة ـ تلك الطاقات التي لم يتحرك منها للغرب الا شيء قليل، فقد كانت بعض الفرق في الغرب مؤلفة من رجال طاعنين في السن مسلحين بأسلحة قديمة نسبيا، وكانت قابلية الحركة تنقص هذه الفرق التي لايمكن نجاح التدابير الدفاعية بدونها، وكانت اغلب الفرق على الساحل مزودة بنقلية من الحيوانات، وكانت مدفعيتها نتيجة لذلك بطيئة الحركة.

وقد اقتضى الامر التخلي شيئا فشيئا عن الفرق الجيدة لارسالها الى الشرق، وحلت محلها وحدات غير منظمة وذات تدريب قصير لايمكنها مجاراة القطعات الكفوءة، واكثر من ذلك كانت الفرق المدرعة والمشاة تنقل من الشرق الى الغرب مناوبة لتبقى هناك مدة قصيرة في الغرب ثم تعود ثانية الى الشرق.

كان من الضروري في مثل هذا الموقف التفكير في احضار مواضع خلفية يجري انتخابها وتهيئتها بعناية فائقة، وعلى سبيل المثال، هيئت مواضع خلفية كثيرة بدقة خلال الحرب العالمية الاولى في الشرق وبصورة خاصة في الغرب، وقد كانت هذه المواضع بمثابة ضمان للقيادة الالمانية العليا في حالة تبدل الموقف، ولكن هتلر كان لايوافق حتى على مجرد التفكير بمثل هذه الاحتياطات التي كان احضارها ضروريا للغاية من الناحية العسكرية...

اعتقد هتلر بان انشاء مثل هذه المواضع يؤدي الى الانسحاب قبل اوانه دون ابداء مقاومة شديدة، ومنذ سنة (١٩٤٢) اتخذ لنفسه شعارا هو: «اثبتت في محلك، ولاتتنازل عن شبر واحد من الارض»، وكان في هذا موت لكل وجه من اوجه القيادة الحقة، التي ينبغي ان تعتمد على الحركة لا على الجمود، وطالما تدرب رونشتد والقادة الالمان الاخرون على هذاالمبدأ العسكري الموروث، لان الانجازات العسكرية الالمانية السابقة اعتبارا من القرن الثامن عشر فصاعدا قد تحققت استنادا الى قابلية الحركة السوقية.

سبق للقيادة الالمانية العليا ان نظرت بعين الريبة الى المقترحات الرامية الى اعداد مواضع خلفية كتدابير امن؛ غير انه كان هناك ايضا عامل اخر هو خوف هتلر من ضياع (الهيبة) فيما اذا وجد في الغرب موضع اخر مهيأ في الخلف، وكان يعتقد ان مجرد انشاء دفاع كهذا، قد يفقده سمعته: «بانه لا يقهر».

وعندما اخفق هتلر في الحصول على سلم في سنة (١٩٤٠)، اصبح ضروريا في عام (١٩٤١) فصاعدا تهيئة الغرب للدفاع، ولكن الدفاعات كما رينا لم تهيأ عام (١٩٤١)، وحتى في مستهل عام (١٩٤٢)؛ولو شرع الالمان باعداد هذه الدفاعات منذ عام (١٩٤١)، لكان بمقدورهم الدفاع عن الغرب عام (١٩٤٤)، ولسهلت عليهم الحرب السيارة.

ولم يكن هتلر يكترث كثيرا بدفاعات الميدان، ولكنه كان يثق بالمواضع المستحضرة من التربة (السمنت) والحديد، وكان يعتقد ان هذه المواضع وحدها تستطيع الثبات تجاه القصف الجوي وتجاه قنابل المدفعية الثقيلة وهجمات الدروع، ولكن كان عليه ان يفهم بانه ليس هناك قطر في العالم بامكانه انشاء مثل هذه التحصينات على جبهة تمتد الى الاف الاميال. ان التحصينات المغشوشة المنتخبة بعناية لاسيما اذا كانت منظمة بالعمق، تكون دائما ذات اهمية حتى عندما تنشأ على عجل في الميدان بوسائط مرتجلة، ويمكن تقوية التحصينات ذات الاهمية القصوى فقط بالتربة (السمنت) والحديد.

لقد ظل امر استطلاع المواضع الدفاعية متأخرا جدا، وبعد مضي الوقت المناسب...

كانت مواضع مدفعية الساحل بصورة خاصة رديئة، والواقع انها ينبغي ان تؤلف العمود الفقري للدفاع، لذلك جرى تنسيقها من قبل سلطة واحدة، وقد سبق ان تحدثت عن الاختلافات في استخدام المدفعية بين الجيش والبحرية.

لقد كان في مقر رونشتد قائد للمدفعية يكافح مشاكل لا نهاية لها، فقد كانت البحرية مقتنعة منذ امد بعيد بان لديها الخبرة الكبيرة في استخدام المدفعية، الا ان خبرتهم هذه كانت مقتصرة على استخدام المدفعية في الحرب البحرية، بل انها مقتصرة على مشاغلة الاهداف البحرية السريعة الحركة في مديات طويلة ومتوسطة، اما الجيش الذي لايعرف هذه الاساليب من الحرب البحرية، فانه كان يفضل مشاغلة العدو على ساحل الماء مباشرة، لاسيما العدو الذي تم نزوله.

كان من السهل تقسيم هذه الواجبات الى:

أ ـ البطريات الساحلية العائدة للبحرية: واجبها الرئيس مشاغلة الاهداف البعيدة في البحر.

ب ـ البطريات الساحلية التي تعمل ضمن مديات قصيرة ضد العدو الذي اتم انزاله.

لكن الامل في الوصول الى اتفاق يحدد الواجبات كان ضعيفا جدا، لتمسك الطرفين الشديد بارائهما حول استخدام المدفعية، ولم يكن رونشتد بعد نشر وصايا الفوهرر الرقم (٤٠) بدرجة من القوة تمكنه من اعطاء القرار الجازم، لان البحرية التي كان قائدها بتماس شديد مع هتلر كانت ذات تأثير اقوى من تأثير الجيش.

اصدر هتلر اوامره سنة (١٩٤٢) متأثرا بمقترحات رجال المدفعية البحرية، ومندفعا تحت تأثير اعتقاده بجدوى التحصينات الضخمة، بتركيب عدد كبير من البطاريات الساحلية في مواضع محصنة، فكانت نتيجة ذلك ان اصبحت البطاريات الحديثة ذات الاهمية العظيمة محدودة الفائدة في الحركات. كانت هناك مثلا بطريات من عيار (١٧) سنتمترا مداها (١٨) ميلا تعذر الحصول على تأثيرها الناري الكامل، لانها حبست في سجون من الحديد والترابة (السمنت).

وعلى ضوء الغزو الذي حدث عام (١٩٤٢)، في (دييب)، ينبغي ان نوضح بأن رونشتد وامثاله من القادة، عارضوا في قبر الاسلحة داخل كتل من الترابة (السمنت) والحديد، لان هذه الاسلحة يتعذر عليها العمل من داخل مواضعها هذه في الاتجاه المطلوب، اي ضد العدو الذي اصبح على بعد بضعة الاف من الياردات في الجبهة، واكثر من هذا بعد نزوله على الساحل.

يمكن استنتاج الصعوبات الاخرى التي برزت في مجال المدفعية مما يلي: ـ كان في منطقة رونشتد عام (١٩٤٣) حوالي مائة واربعين بطرية ساحلية من قطعات الجيش في مواضع مستحضرة دائمية، وكان اغلب هذه البطريات من عيار (٥) و (١٠) سنتمترات، ولم تكن من صنع الماني، ولكنها من المدافع المستولى عليها من الفرنسيين والبولنديين والجيكوسلوفاكيين، وكان هناك مدافع روسية عيار (١٢) و (١٥) سنتمترا، وفرنسية عيار (١٥) و (٢٢) سنتمترا، اما المدفعية ذات المدى القريب فقد تيسر منها خليط مختلف يتألف من (٣٤٠) مدفعا عيارها من سنتمترين الى خمسة عشر سنتمترا تعود الى مختلف الامم، وكان قسم من اجهزة التسديد قديما، فكان من الصعوبة على المدفعية مشاغلة الاهداف المتحركة في الماء، ولكن البحرية من الجهة الثانية كانت تمتلك احدث المدافع مزودة بأحدث ادوات التسديد.

وكان رونشتد منشغل الفكر دائما بهذا الاضطراب، ولكنه كان عاجزا عن السيطرة على الموقف، لان جميع القرارات كانت لاولئك البعيدين ذوي التأثير الكبير من بطانة هتلر، كما كان القلق يساور النفوس حول تموين هذه المجموعة الدولية من الاسلحة بالعتاد.

وباستثناء القوة الجوية، كانت فرق الدروع الاحتياطية اهم قوة متيسرة للدفاع عن الغرب، فقد كانت هذه الفرق قوة القتال الكبرى، وكانت ذات قابلية للحركة، وبذلك كان بأمكانها ان تقوم بخدمة كبيرة في العمل مشتركة مع قوة جوية قوية.

عين في مقر رونشتد اللواء الشهير (كيرفون جوبن بيرك) قائدا للقطعات المدرعة، وكان يشغل منصب الملحق العسكري في لندن قبل الحرب؛ فكان مستشارا لرونشتد في كل القضايا المتعلقة بالاستخدام السوقي والتعبوي للدروع. كان فون (جوبن بيرك) واسع الاطلاع وكفؤا، ولم تكن افكار رونشتد ورئيس هيئة ركنه تتفق دائما مع افكاره.

وينبغي ان نقرر بانه لم يتصور احد بشكل واضح مدى تأثير القوة الجوية على الحركات السوقية الكبرى بعد سنة (١٩٤٣)، لان الحرب الجوية كانت قد بدأت حينذاك فقط!!

وربما كان اللواء (فون جوين بيرك) مصيبا، ومع ذلك فليس للفرق المدرعة اهمية كبرى في نظر رونشتد ورئيس هيئة ركنه اذ تعذر تحريكها. لقد كانت هناك جبهة بحرية هائلة تمتد من جزيرة (تسل) الى (ابرون) وجبهة اخرى تمتد من (فندرس) الى (منتون)، وكان باستطاعة العدو الانزال في اي مكان شاء.

ولاشك في امكان تعبية الفرق المدرعة في مناطق الانزال المحتملة، ولكن وجود احتمالات كثيرة تجعل الانسان عاجزا عن التأكد من نزول العدو في الامكنة المفروضة، اذ كلما كبرت منطقة الحركات ازدادت احتمالات الانزال في اماكن كثيرة منها!

وحينما يتعذر تحريك التشكيلات المدرعة سريعا الى منطقة مهددة، نتيجة للتفوق الجوي المعادي، فان قيمة الدروع حينذاك تقتصر على المجال التعبوي فقط؛ وينبغي ان نشير هنا الى ان القائد العام للاسطول الجوي الثالث المشير (سبيرل)، كان قد ادخل في حسابه وصول نجدات مهمة عندما يقع الغزو، وكثيرا ما كان يخبر رونشتد وبيده قائمة بمقدار الاسراب التي يتسنى نقلها الى الغرب من ساحات الحرب الاخرى فيما اذا دعت الحاجة الى ذلك.

وفي سنة (١٩٤٣) لم يعد ممكنا تامين التفوق الجوي، ولكن كان هناك على الاقل قوة جوية كافية تضمن تنقلات سوقية محدودة للتشكيلات المدرعة. لم يكن رونشتد و (سبيرل) في سنة (١٩٤٣) يعلمان بان الامدادات الموعودة لن تأتي في سنة (١٩٤٤) نظرا للموقف الذي نشأ حينذاك.

سأعود الى وصف اختلافات الرأي مرة اخرى عندما اعالج استخدام جحفل الجيش (ب) بقيادةرومل في سنة (١٩٤٤)، واكتفي هنا بمجرد التأكيد بان وجهات نظر رونشتد ورئيس هيئة ركنه كانت تعتبر ان فرق الدروع الاحتياطية ضرورية لموقف خطير، ولكن القائد المسؤول عن منطقة واسعة كهذه في الغرب ينبغي ان يكون تحت تصرفه احتياط سوقي يستطيع استخدامه متى شاء وفاقا للموقف العام، وبدون هذا الاحتياط فلا رجاء في دفاع ناجح!!..

وعلى الرغم من التأثير الحاسم للقوة الجوية في الحرب، فانها لاتستطيع وحدها كسب الحرب؛ اذ تدعو الحاجة دوما الى قوات برية اهمها الدروع، على الا نتناسى اهمية صنف المشاة المدرب تدريبا متميزا والمجهزة بأحدث الاسلحة.

ولايزال صنف المشاة ضروريا لايمكن الاستغناء عنه في الحرب، على ان يكون آليا مزودا بأحدث الاسلحة ومدربا ادق تدريب، وقد اكد رونشتد على ذلك دوما، ولم ينفك عن ترديده ابدا.

صاحبت سنة (١٩٤٣) نقطة التحول العسكري الكبرى، فقد ولى عهد حرب الصاعقة لسني (١٩٣٩ - ١٩٤١)، كما ادبر عهد الهجمات السوقية في الجبهة الشرقية وفي شمالي افريقية. وقد اكرهت قوات المحور بما فيها اليابان على الدفاع بعد ان تم تطويقها سوقيا، وفي سنة (١٩٤٣) بدأ التعرض الكبير للحلفاء ضد المحور، فاستهل بحرب جوية اشتدت

بسرعة على اوروبة الوسطى، فضلا عن قيام قوة الحلفاء الجوية بالتعرض في الغرب، وقد دأبت تشكيلات هائلة من الطائرات الامريكية والبريطانية على فعالياتها، وكان تحليق مئات من هذه الطيور الفضية باستمرار على ارتفاع عال في الجو وبتشكيلات متقاربة ذا اثر بعيد على النفوس. وفضلا على اكتساح البر بالقصف الجوي الذي استهدف المطارات والسكك الحديد، كان هناك قصف الازعاج الذي ازدادت خطورته تدريجيا، وكانت اهدافه بصورة رئيسة محركات القاطرات المتحركة او الواقفة، وكانت كل انواع هذه الغارات تزداد يوما بعد يوم.

اطري رونشتد رجال السكك الحديد الفرنسية الذين عكفوا على انجاز واجباتهم بحذق على الرغم من فداحة الخسائر، ولذا خول رونشتد منحهم جوائز خاصة، واكثر من ذلك اصدر وصاياه باطلاق سراح اقرباء هؤلاء الرجال الموالين من الاسر الالماني الذين اسروا سنة (١٩٤٠) اكراما لذويهم.

وعندما ازدادت الحرب الجوية عنفا، اعتبرها رونشتد الاستحضارات الاولية لغزو الحلفاء، وكان القصف على المدن الصناعية وخطوط المواصلات لايستهدف زعزعة ارادة المانيا على المقاومة فحسب، بل يرمي الى تحديد الانتاج واشاعة الفوضى في تشكيلات السكك الحديدية.

لايتيسر البدء بالهجوم الحقيقي على قلعة اوروبة الوسطى، ما لم يبد ضعفها ملموسا نتيجة للحرب الجوية. لقد كان من واجب التشكيلات كافة في الغرب الاحتفاظ بسجل للهجمات الجوية يبين فيه متى وكيف واين جرى القصف الجوي، ويثبت ذلك على خرائط خاصة للحصول على صورة واضحة لمركز ثقل القصف الذي يستهدفه الحلفاء.

وكان الاسطول الجوي الالماني الثالث في سنة (١٩٤٣) قد تناقصت قواه نقصا جليا، غير ان العدو لم يحصل بعد على السيادة الجوية المهيمنة، كما كانت مطارات الطائرات المقاتلة القريبة من الساحل تتناقص تدريجيا، لهذا اقتضى نقل المقاتلات الى اماكن اكثر بعدا في الخلف، ومعنى ذلك، ان الطائرات المقاتلة اكرهت على الذهاب الى داخل فرنسة، فنقصت الفعاليات الجوية في الساحل، وقد اصبح مدفع الجو عيار (٨) سنتمترات (المدفع المضاد الذي يطلق عليه البريطانيون مدفع عيار ٨٨ ملمترا) عاجزا عن ايصال قذائفه الى تشكيلات العدو الجوية التي كانت تطير على ارتفاع اعلى من السابق، كما لم يكن المدفع المضاد عيار (٨) و (١٢) سنتمترا متيسرا الا بكميات قليلة.

وكان اسطولنا البحري الصغير كفوءا يقظا، ولكن نجاح غواصاتنا تلاشى بمر السنين كما حدث في الحرب العالمية الاولى، وكانت المانيا قد ارغمت على الدفاع في البحر ايضا، وفي هذا الوقت لم يبق لنا اسطول بالمعنى الصحيح.

وكانت فعالية الاسطول في منطقة البحرية الغربية تقتصر على حماية البحرية الغربية تقتصر على حماية القوافل والدفاع الساحلي في البحار المنخفضة ڗالاستطلاع المحدود، وكانت القوافل تستجلب من اسبانيا المواد الخام التي كانت شحيحة في المانيا، وكان على

هذه القوافل ان تسير بمحاذاة السواحل متنقلة بمراحل من ميناء الى ميناء حتى تصل هولندا، وكانت معرضة دوما لهجمات الحلفاء الجوية والبحرية، فاضطرت سفن جحفل البحرية الغربي الصغيرة القليلة العدد الى ترك واجباتها لتتفرغ لحماية هذه القوافل!

وقد قامت الغواصات التي كانت متميزة بغارات مختلفة على سفن العدو، غير ان هذه الغارات كانت على العموم كوخزات الابر في تأثيرها! ولم يكن ليتسنى اجراء الاستطلاع البحري الا في منطقة محدودة، لان العدد المناسب لمثل هذه [illegible] كان قليلا، وقد حظيت الغواصات العائدة برعاية خاصة، فكانت عند عودتها الى قواعدها في (بوردو) وفي (لاروشل) او (نازير) او اي قاعدة اخرى تودع في مانعات هائلة وتجري ادامتها واراحة نوتيتها ايضا، وكانت الغواصات اليابانية والايطالية تزور هذه القواعد لماما!!

لقد كانت البحرية تمتلك سفنا واشخاصا كثيرين [illegible] لذلك كان استخدا[illegible] منتسبيها في الدفاعات الارضية امرا لامفر منه، فنتج عن ذلك [illegible]دخل البحرية في واجبات الجيش على الساحل؛ ولو كانت البحرية كبيرة كما كانت في الحر[illegible] العالمية الاولى، لاعتبرت الدفاعات الساحلية مسألة ثانوية بالنسبة لواجباتها[illegible] اما الان [illegible] طبقت واجباتها بصورة مغلوطة.

بدت القلاع الساحلية مناظر مدهشة، وكان [illegible] يميل الى التحصينات، فرقي عددا كبيرا من الموانىء الساحلية في منطقة القيادة الغربية الى رتبة قلعة. لقد كان لكلمة (قلعة) تأثير يوحي اليه بالاطمئنان والثقة، ولكن لم يكن لهذه الكلمة نفس التأثير على رونشتد الذي لم يعلق عليها غير اهمية قليلة. ان الترقية الى رتبة قلعة كما كنا ندعوه في مقر رونشتد متفكهين، لم يكن في الحقيقة ليفيدنا كثيرا.

لقد استنفذ هتلر كثيرا من الوقت والجهود والمواد للاستمرار في انشاء قلاعه، وكان رونشتد متأكد من ان العدو ليس من الحماقة بحيث يهاجم قلعة هجوما مباشرا من البحر؛ اذ بأمكانه الاستيلاء عليها بسهولة اكثر فيما اذا نزل في منطقة ساحلية مفتوحة خارج منطقة القلعة، ومن ثم يهاجم القلعة من الخلف. اي من جهة البر، لان نقاط الضعف في كل قلعة بحرية موجودة من اتجاه البر، وقد سبق للعدو في سنة (١٩٤٣) ان طبق ذلك بقطعات المظليين.

من اين يمكن تأمين القطعات الكافية للدفاع عن هذه المناطق المحصنة؟ حقا لقد كان ينبغي وجود فرقة او فرقتين في القلاع الكبيرة، وفرقة واحدة في القلاع الصغيرة، لكن رونشتد كان مضطرا الى القناعة بحاميات ضعيفة مؤلفة من بضعة افواج عند تيسرها لديه! وكانت مدفعية الدفاع على الجبهة البرية الشاسعة قليلة ايضا، لان جميع البطريات تقريبا كانت مثبتة في التحصينات على اساس ان تكون قادرة على الرمي باتجاه الساحل فحسب، دون ان يكون في الامكان تغيير اتجاهها الى البر.

لقد سببت هذه القلاع قلقا عظيما للقيادة الغربية، لاسيما في سنة (١٩٤٤)، ولم تتحسن الامور عندما بدأ هتلر بتعيين ضباط يعتمد عليهم كل الاعتماد بمناصب آمري القلاع، وكان على هؤلاء الآمرين البؤساء ان يقسموا قسما مكتوبا للاحتفاظ بالقلعة بكل ثمن...

وكان يرسل بهذا القسم المكتوب الى هتلر، غير انه لم تكن لدى هؤلاء الآمرين القطعات الكافية التي تمكنهم من الاحتفاظ بقلاعهم، ولم تكن القلاع الا ابنية غير كاملة. وكان الآمر يفتقر الى السلطة المطلقة داخل قلعته، اذ كان للآمر البحري ايضا رأي في الدفاع عن القلعة!

ولم يكن لآمر القلعة سلطة مطلقة على البحرية والقوة الجوية، ولكن كان له ذلك على القلعات الاخرى فقط، فعندما كانت الضرورة تدعو الى معاقبة بعض افراد البحرية والقوة الجوية في قلعة ما، فان ذلك لايتم الا بوساطة القضائية للبحرية او القوة الجوية، لذلك فقد جعل هذا الآمر المسكين ضعيف النفوذ مهددا دوما بخطر احالته على المحكمة العسكرية، ولاجل تقوية المحميات الضعيفة جدا في هذه القلاع شكلت وحدات الانذار، غير ان منتسبي هذه الوحدات كانوا غالبا من عمال الموانىء المدنيين المصبوغين بالبزة العسكرية!!

لقد كان من المستحيل العمل في مثل هذا الوضع الذي لم تعرف حقيقته بوضوح قبل عام (١٩٤٤)، وكان رونشتد قد اخبر مراجعه بتقارير شاملة صريحة عن صعوبة الموقف وتعذر السيطرة عليه، ولكن دون جدوى.

ومن المناسب ان نذكر هنا ملحوظة عن علاقة هتلر ببيتان. لقد وجه هتلر بعد احتلال جنوب فرنسة رسالة شخصية طويلة الى المشير بيتان، شرح له فيها الاسباب التي دعته الى احتلال فرنسة بكاملها، وقد ختمها بالجملة التالية: «اذا كان لديك ايها المشير اية رغبات او مشاكل، فاذكرها للمشير فون رونشتد».

والغريب في الامر هو عدم وصول اية نسخة من هذه الرسالة الى رونشتد، وقد حدثت في شتاء (١٩٤٢ ـ ١٩٤٣) صدفة ان ذكر موظف من السفارة الالمانية هذه الرسالة لرونشتد عندما كان يطلعه على بعض المعلومات، وقد ذهل الموظف المذكور عندما علم بان القيادة الغربية لاتعرف شيئا عن هذه الرسالة.

لقد طلب المشير بيتان نتيجة لما جاء في رسالة هتلر هذه رونشتد ان يقوم بزيارته رسميا، وعلى كل حال لم تتم هذه الزيارة... ولكن بعد ايام تسلم رونشتد نسخة من تلك الرسالة.

ونتج عن رسالة هتلر هذه في سنة (١٩٤٣)، ان رونشتد اصبح يلتقي ببيتان اكثر من السابق، كما نتج عنها ايضا تبادل الرأي بين الرجلين عن امور تخص السياسيين لارجال الجيش، ورضي رونشتد الذي كان يكره السياسة كرها مطلقا ان ينقل جوهر رغبات بيتان الى هتلر مع توصياته باتخاذ الاجراءات كلما استطاع الى ذلك سبيلا، وكان بعد عودته الى مقره يرتب جميع النقاط ويرسلها برقيا الى القائد العام للجيش الالماني، وكان اللواء البارون (فون نوبرون) يشغل منصب ضباط ارتباط في فيشي بين بيتان ورونشتد، وقد اشترك في الاتصال ببيتان ، ومن الواضح ان الرسائل كانت متبادلة ايضا بين بيتان ورونشتد بالاضافة الى الزيارات، ونظرا لان السفارة الالمانية هي المسؤولة عن السياسة

الخارجية، فكثيرا ماحدث تجاوز على المسؤ، ات بين السياسي ورجل الجيش!

وعندما نتذكر بأن القائدين العسكريين في . س وبروكسل منهمكين كل الانهاك في السياسة، وان هتلر وغيره من كبار رجال ا رب انتهجوا سياستهم الخاصة جاعلين السلطات الاخرى وراءهم ظهريا، ندرك ان رونشتد حافظ على اعراضه عن السياسة ما استطاع، ومع ذلك كان من المستحيل عليه منع ممثلي الفوهرر من الظهور على مسرح السياسة، وكان هؤلاء عادة موظفين حزبيين ذوي مكانة رفيعة مزودين من هتلر بسلطات اعلى من السلطات المحلية الاخرى، وكثيرا ما كان هؤلاء الموظفون يغلون ايدي السلطات المحلية.

كان هناك حاجة ملحة في الغرب لدعوة بعثات عسكرية من الاقطار الحليفة او المحايدة، لتفتيش جدار الاطلسي. لقد كان هتلر فخورا جدا بجداره هذا، فطفقت البعثات العسكرية تتوالى يرأسها القادة واحدة تلو الاخرى، من تركية وبلغارية وهنكارية وفنلندية ورومانية وايطالية واسبانية وغيرها.

وقد جعلت نباهة ذكر رونشتد الدولية هؤلاء الضيوف تهفو نفوسهم الى رؤيته على الاقل، والتحدث اليه ان امكن. وقد اصبح اعتياديا اتصال مقر الجيش هاتفيا بمقر رونشتد ملتمسا استقبال رونشتد لهؤلاء السادة واعداد مايطعمون، وكان علي ان اوصل هذه الرغبة الى رونشتد بأسلوب (دبلوماسي)، ولكن عندما يصل الزائرون يتمثل العف كله في حسن وفادة رونشتد لهم وحفاوته بهم ويسترسل على سجيته في عطفه وشيق حديثه، فيغمر الجميع بالغبطة والسرور.

كانت الاحاديث تجري بالالمانية او الفرنسية، وكان يقدم الطعام في كل زيارة، وكانت تحدد لهذه الزيارات الساعة الواحدة بعد الظهر دائما، كي يتسنى لرونشتد الذي لم يكن ليطعم شيئا يذكر، ان ينصرف عاجلا بعد انتهاء الغداء، غير انه لم يكن ليحضر العشاء عادة.

يمكن الايماء الى هذه القصة: تحدث رئيس بعثة تركية وهو برتبة لواء حديثا ضافيا بعد انتهاء مأدبة الغداء، استهله بالحديث عن اثار مولتكه الكبير في الجيش التركي سنة (١٨٣٠)، وقد لاحظنا جذلين تزايد نفاذ صبر رونشتد كلما اسهب بالحديث، وعندما وصل الحديث الى مفصل، نهض رونشتد وقرع المنضدة بقدحه قائلا: (ايها السادة! لنشرب نخب صحة الدولة التركية والشعب التركي وجيشهم الشجاع)...

لقد حمل هؤلاء الزائرون ذكريات عن شخصيات فذة كانت مؤثرة بتقاليدها وتربيتها وسمعتها الدولية قائدا، لم تخفق ابدا في تأثيرها على اي انسان!!!

الفصل العاشر

الجهد المضاع

كان رونشتد مجازا مدة ثلاثة اسابيع في ربيع سنة (١٩٤٣) قضاها في مدينة (بادتولز) من اعمال بافاريا العليا، وكان هتلر وقتذاك في (برختسكادن)، فاغتنم هذه الفرصة لدعوة رونشتد الى مقره قبل ان يعود من اجازته ثانية الى الغرب.

كان رونشتد يرتدي الملابس المدنية في ايام اجازته، وقد اغتبط الناس لارسال هتلر سيارته اليه في (بادتولز) يصطحبها حرس لنقله الى مقر هتلر، وبطبيعة الحال كان الناس يحبون ان يروا رونشتد ببزته العسكرية، وحينما كان يهم بركوب السيارة، قالت له زوجته: «انظر ما اشد رغبة الناس في رؤيتك!»، فأجابها رونشتد قائلا: «آه!... انهم لايقفون من اجلي، بل ينتظرون سيارات نقل الركاب فحسب»...

وكان رئيس هيئة ركن القيادة الغربة قد ارسل رئيس شعبة الحركات الفريق الثقة (زمرمان) الى (بادتولز)، ليلتمس رونشتد ان يكلم هتلر حول خطورة الموقف في الغرب. كان هتلر قد اعتاد ان يعرض عن المواضيع المزعجة، وكان يصرف محدثه عنها بمواضيع اخرى، لذلك هيمن هتلر على الحديث كله واصفا باسهاب مايفكر به الان من تعرض عظيم في الشرق، وانه قد وضع له الكلمة الرمزية (قلعة) وسيشرك في هذا التعرض خيرة الفرق، واثقا من شدة تأثير العجلات المدرعة الحديثة، وهو يأمل ان يفني تسعين فرقة روسية على الاقل بتعرضه هذا، وسيجري هذا الهجوم باتجاه (بايل كرود).

وابدى هتلر ارتيابه في الموقف السياسي في ايطاليا، ويتنبأ بسقوط موسليني في المستقبل القريب، وحينذاك ربما ينحاز الايطاليون الى الحلفاء، ولو ان ذلك حدث، لوجب تجريد الجيش الرابع الايطالي من السلاح، وتسليم قاطعه الى القطعات الالمانية، ولاجل ان يمنع رونشتد من الكلام، انهى هتلر حديثه فجأة مودعا رونشتد فعاد الى باريس دون ان ينال مبتغاه!

كتب رئيس شعبة الحركات الفريق زمرمان في مذكراته مايلي: -

«لقد اعتقدنا بان هتلر تكلم بدون انقطاع لئلا يسمع شيئا لايسر من المشير رونشتد، لذلك قرر رونشتد ان يهيء تقريرا مفصلا صريحا عن الموقف في الغرب، مبنيا على الحقائق التي لايتطرق اليها الشك ابدا، لتدرسه القيادة العليا».

كان هذا التقرير الذي تم وضعه في ربيع سنة (١٩٤٣) اساسا لجميع التدابير حتى ابتداء غزو في حزيران (١٩٤٤). لقد كان واضحا لرونشتد احتمال حدوث غزو الحلفاء

للغرب عام (١٩٤٣)، وذلك لتردي موقف قوات المحور، وكانت سواحل اوروبة الغربية في الغرب والجنوب في الحقيقة غير مدافع عنها بل محمية فقط على طوار جبهات لامتناهية تحتلها قطعات متباعدة.

لقد اصبحت اوروبة الوسطى قلعة، ولكنها لم تكن رصينة القوى ولا ذات قطعات كافية، وكان الحلفاء قد طوقوا تماما هذه المنطقة السوقية، وكان بامكانهم التعاون بهجوم منسق، وكانت قواهم الجوية في موقف تستطيع معه الطيران الى الداخل من ثلاث جهات لتركيز هجماتها.

وقد سيطر الحلفاء على البحر، فكانوا قادرين على الانزال في اي وقت وفي اي مكان من غربي اوروبة وجنوبها، بما يستمدونه من منابعهم الهائلة، وكان في مقدورهم بوساطة بحريتهم القوية وتسهيلات المواصلات اجراء تنقلاتهم كما يشاءون والانهماك في مناورات تضليلية في جميع الجهات!

ولم يكن المدافعون الالمان في وضع يستطيعون معه الزج باحتياطات سريعة مهمة في السبل البرية من الشرق الى الغرب، او من الشمال الى الجنوب، لغرض حماية النقاط المهددة، ولقد جمدت عدة جبهات، مثال ذلك الجبهة النرويجية والفنلندية والبلقانية، لان قلة السكك الحديدية والبواخر جعلت سحب القطعات من هذه المناطق يتم ببطء شديد ان لم يكن متعذرا، وكانت القوات الجوية الحليفة تشيع الاضطراب في السكك الحديدية بصورة مستمرة يوما فيوما، مما ادى الى عرقلة تنقلات التشكيلات الكبرى من جبهة الى اخرى؛ ومنذ عام (١٩٤٣) دأب الحلفاء على التعرض السوقي، بينما ارغمت المانيا على الدفاع، لهذا انقلب ميزان القوى كما حدث في القسم الثاني من الحرب العالمية الاولى.

وكثيرا ما لاحظ رونشتد بان المانيا باعتبارها دولة قوية، محاطة بدولة قوية في اوروبة الوسطى، ينبغي ان تنتهج بصورة خاصة - منهجا سياسيا حاذقا، والا فيكون مصيرها التحطيم بالقوى المحيطة بها، وكان يقدر كل التقدير الاتصال الوثيق بين السياسة والسوق (الاستراتيجية).

كان هتلر يتوقع الغزو في تلك الايام، والحق انه كان معنيا بمتى واين سيقع الغزو؟ وعلى سبيل المثال، فقد توقعت القيادة الالمانية، انزالا بالقرب من (جنوى) او في جنوب ايطاليا او في اليونان ايضا.

لقد كانت وجهات النظر تتبدل باستمرار، اذ كلما تواردت معلومات سرية او ظهرت بعض الاشاعات او ارسلت تقارير كاذبة عن قصد - كلما توارد ذلك؛ اصبح هتلر اكثر شكا!

لقد حدث تبدل كامل في جوهر معتقدات هتلر السوقية، فقد اعتقد بضرورة الدفاع لاخر طلقة واخر جندي عن كل شبر من الارض، وذلك نتيجة لانزعاجه من تبدل الحظ في سنة (١٩٤٣)، وبذلك استبدلت قابلية الحركة وفن القيادة بفنه هذا الذي كان يرتكز على الاطاعة المطلقة لاوامر جازمة تنص على عدم التخلي عن شبر من الارض، وعدم

اخلاء اي موضع دون اخذ موافقته.

لابد وان اعداءنا، لاحظوا بدهشة، بان القيادة الالمانية العليا، لم تعمل شيئا منذ عام (١٩٤٣) حتى نهاية الحرب، اكثر من التمسك الشديد بخطوط دفاعية جامدة، والحوم حول جميع الجبهات. وكان وقت صدور الامر بالكف عن الدفاع المستميت يأتي متأخرا جدا، مما ضاعف الخسائر بالارواح والمواد، والاهم من ذلك هو فقدان (الثقة).

لقد كان القادة العسكريون الالمان في سنة (١٩٤٣) مقيدين باغلال ثقيلة ومحرومين من مزايا استقلالهم الموروث كافة، وقد وصل ذلك الى اقصى ذروته حينما كان مشيرون اقدمون وقادة عامون لمناطق كبيرة، لايجرأ على تحريك مايعادل فرقة واحدة بدون اخذ موافقة هتلر، وحتى اعضاء هيئة ركن هتلر انفسهم كاللواء (جودل) كان عليهم اولا ان يلتمسوا الاذن منه، ونتج عن ذلك تقويض استقلال القيادة، كما نتج عنه تأخر جميع التدابير المقابلة تأخيرا كبيرا جدا. كان مقر هتلر في بروسيا الشرقية، ففي خلال الوقت الذي يحتاجه لاخراج خريطته هناك في مقره لاصدار قرار مابشأن فرقة من فرقه في الشرق او في افريقية او في الغرب، فان الموقف التعبوي يكون قد تبدل منذ امد طويل.

ولم يكن خط الساحل كل ماينبغي احتلاله، ولكن كان هناك الجزر الكثيرة التي غالبا ماتقع امامه، ولقد خصص لبعض هذه المواضع في كثير من الحالات من عشرين الى ثلاثين جنديا، وفي الحقيقة كانت القيادة الغربية الكبيرة ليست الا جزءا من الجبهة الاوروبية، ولكنها كانت جزءا هاما جدا، وكان الغزو محتملا في اي وقت من هولندا وبلجيكا او فرنسة، وكان الطريق الى قلب المانيا ومنطقة الروريمر مباشرة مخترقا بلجيكا ـ شمال فرنسة الى (كولون)، وعند ذاك فأن القيادة الغربية بكاملها وبالحقيقة الجبهات في شمال افريقية وايطاليا تكون قد قطعت عن المانيا.

وعلى هذا الاساس، كان رونشتد ورئيس هيئة ركنه ورئيس شعبة الحركات يقدرون دائما ان الانزال الرئيس سيحدث بين (كاليه) ومصب (السوم)، يتبعه اندفاع الحلفاء السريع على اسلوب تقدم (كودريان) خلال بلجيكاعلى (الايسن ـ كولون)، اي حوالي (٢٠٠ ـ ٢٥٠) ميلا بصورة مستقيمة، ولم يكن هذا امرا خارجا عن المعتاد؛ وكان رونشتد يعتقد ان خدمة استخبارات الحلفاء، لابد وان علمت بان الجدار الاطلسي على جانبي (كاليه) المؤثر بمظهره فقط، لم يكن قويا بأي وجه من الوجوه، كما قدر رونشتد بانه من الواضح حصول الحلفاء على معلومات تفيد عدم تيسر احتياط من القطعات فعلا في بلجيكا، وان الجدار الغربي في الحدود الالمانية بدون حاميات، وان مناطق الراين والرور بدون حماية.

لقد كان هناك عدد كبير من الاجانب المستخدمين في جيمع انواع العمل، لذلك يمكن اعتبار خدمة استخبارات الحلفاء في المستوى الذي يؤهلها للعمل كخدمة الاستخبارات الالمانية سواء بسواء؛ وقد افترض رونشتد ورئيس هيئة ركنه ان مقر قوات الحلفاء على علم بكل مايتعلق بالموقف،وان هجوما رئيسا على طول خط (كاليه ـ ابيفيل) نحو (ايسن ـ

كولون) والذي كان قد توقعه رونشتد، يعرض الجبهة الاوروبية: الغربية والجنوبية بكاملها الى الانهيار، وبقطعها عن المانيا، وسأبين اخيرا بان هذه الاراء قد تبدلت قليلا في مستهل سنة (١٩٤٤).

ولربما كان لدى الحلفاء الغربيين اسباب وجيهة لعدم القيام بالهجوم الذي توقعه رونشتد، ولربما كانت هناك اسباب بحرية لم تكن واضحة للامان، وقد بدا الهجوم الذي توقعه رونشتد يؤدي الى اقصر خط مواصلات من انكلترا، كما انه يقدم تسهيلات مماثلة لقوات الحلفاء الجوية، ولكن ربما خشي الحلفاء تعرضا المانيا كبيرا من الجنوب باتجاه جناحهم، ولكن هذا التعرض لاينجح، لان القسم الاعظم من الفرق الالمانية كان محروما من قابلية الحركة ومنتشرا على الساحل الشاسع، ولربما كان الامر يتطلب اسابيع قبل امكان جمع عدد كاف من القطعات، لربما لم تعد هذه القطعات تملك القوة الكافية للتغلب على الحلفاء المجهزين تجهيزا بالمواد فضلا عن تفوقهم الجوي الساحق. وينبغي ان نسجل بان رونشتد وصف الجدار الاطلسي (المقدس) بصراحته اللاذعة بانه: «خدعة من خدع الدعاية تماما»، كما كان هذا رأيه عن الجدار الغربي ايضا... وقد عبر عن رأيه هذا للزائرين الاجانب متفكها، ولكن بطريقة معقولة! لقد شب رونشتد وترعرع على تقاليد مولتكه وشليفن القديمة، وكان قائدا متمكنا من سوق الجيش يؤمن بقابلية الحركة، وكان يرى في الدفاع السيار الاسلوب الوحيد لفن الحرب، ويرى في الدفاع المستكن الموت الاكيد لفن الحرب.

انه من المهم للقراء كافة ان يفهموا عقيدة رونشتد هذه بوضوح، وبدون ذلك لايستطيعون تفهم الحوادث القادمة تفهما وافيا.

ارسل تقرير الموقف الى مقر الجيش الالماني وقدم الى هتلر في ربيع عام (١٩٤٣)، فلم يكن لهذا التقرير لسوء الحظ ـ كما سبق ان ذكرت ـ استجابة فورية؛ ولكن القيادة العليا بدأت بالتفكير، غير انها لم تتخذ اجراءات حاسمة حتى (١٩٤٣ ء ١٩٤٤)، بعدما قدم رونشتد تقريرا جديدا في نهاية تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٣)، ذلك التقرير الذي الهب الرؤوس الكبيرة كافة في مقر الجيش... وسأتطرق بالبحث الى ذلك بأسهاب في فصل اخر.

كان على الجيش الخامس عشر ان يدافع عن القاطع الساحلي بين (اوستند) وغرب (الهافر)، وقد اخبر هذا الجيش رونشتد حوالي صيف (١٩٤٣)، بأن منشآت ضخمة تشيدها في المنطقة منظمة (تود) دون ان يعلم الغرض من تشييدها، وكانت هذه الانشاءات تشاد بصورة سرية حتى ان القائد العام للجيش الخامس عشر لم يجرأ على دخول منطقة هذه المنشآت. لقد كان من الطبيعي ان يرفع هذا الجيش احتجاجا على اقامة هذه المنشآت في منطقته دون احاطته علما بأغراضها، كما ان هذا الجيش شعر بخطورة وجودها في منطقته، لانها ليست الاوسيلة لاغراء العدو بقصفها، مما يهدد سلامة القطعات الموجودة حولها بالخطر.

وكان رونشتد وهيئة ركنه في جهل مطبق لهذا العمل السري، لذلك استفسر رونشتد من المقر العام عن الغرض من هذه المنشآت، فدهش الذين كانوا في مقر هتلر عندما علموا بان القيادة الغربية لم تخبر بذلك، ووعدوا باصلاح هذا الخطأ غير المتعمد، وتم ذلك شفهيا فقط مع التشديد على الحرص التام على سر هذه المنشآت، وفعلا قام بضعة من ممثلي عينة الجيش وشعبة التموين ولواء من المقر باخبار رونشتد خلال الاسبوع التالي بالمعلومات التالية:

بعد مدة قصيرة سيجرى استخدام اسلحة جديدة مبتكرة في الغرب قد تكون حاسمة النتائج: سلاح النصر الرقم (١)، وسلاح النصر رقم (٢)؛ وكان السلاح رقم (١) نوعا من انواع الصواريخ الكبيرة ينفجر عند الاصطدام انفجارا هائلا، وقد ترك امر صنعه واستخدامه للقوة الجوية، وسيجري رمي هذا السلاح من مواضع عديدة انشئت خاصة لهذا الغرض على غرار مواضع بطرية ثقيلة، وكانت طريقة الرمي لاتزال سرا مكتوما؛ غير ان السلاح رقم (٢) كان قذيفة صاروخ اخترعه اللواء (دورن بيركر) من شعبة عينة الجيش، وكان تأثيره اشد كثيرا من تأثير السلاح رقم (١)، لذلك كان هذا السلاح شبيها بخواص المدفعية الثقيلة جدا، وكان لكلا السلاحين مدى طويل للغاية، يمكنها من الوصول الى مسافة بعيدة في جنوب انكلترا. وبعد وقت متأخر وصل امر هتلر الذي ينص على اشتراك رونشتد بالاستخدام التعبوي لهذه الاسلحة، ولهذه الغاية وضعت بامرته هيئة ركن خاصة، اخفيت حقيقتها عمدا بالاسم التالي: - (المقر العام للاستخدام الخاص)، وكانت هذه الهيئة مؤلفة من ضباط ومهندسين من القوة الجوية وشعبة التموين وعينة الجيش وبعض ضباط المدفعية الثقيلة، ولكن سرعان ما استبان ان هذين السلاحين لاسيما الرقم (٢) لن يكونا معدين للاستعمال قبل مضي وقت طويل، لانهما كانا لا يزالان رهن التجارب التي جرت في شرق المانيا. لقد قيل: ان مدى السلاح رقم (١) يتراوح بين (١١٠ - ١٢٥) ميلا، ومدى الرقم (٢) يتراوح بين (١٦٠ - ١٩٠) ميلا، وان تحسينا اخر قد يؤدي الى رفع مداه الى خمسمائة ميل او الى اكثر من ذلك فيها اذا سمح الوقت، وكان المفروض ان السلاح الرقم (١) يستخدم اولا، ولم يكن وقت استخدامه معروفا، وكانت مواقع السلاح قد انتشرت بين (كاليه) ومصب (السين)، وجرى ترتيبها وانشاؤها بشكل ابنية ريفية، الا انه سرعان ما انكشفت هذه الاستحضارات لوكلاء العدو ولقوة الحلفاء الجوية، ففرشت منطقتها ببساط من القصف. وقد كانت مواضح السلاح رقم (٢)] بارزة للعيان بوضوح، مما جعلها اهدافا مناسبة للقصف المعادي. واقترحت القيادة الغربية بعد التجارب القاسية انشاء مواضع السلاح رقم (١) باسلوب اكثر بساطة وبصورة طبيعية، حتى لاتكون واضحة للعيان، فوافق هتلر على ذلك، وبدأ انشاء هذه المواضع بشكل جديد يتراوح عددها بين التسعين والمائة.

وعندما بدأ الغزو عام (١٩٤٤)، كان قد تم انشاء مايتراوح بين (٩٠ - ١٠٠) موضع من هذه المواضع بين كاليه وهافر. وكانت قضية السلطة المهيمنة على هذين السلاحين غير

واضحة ايضا، فقد كان وراء السلاح رقم (١) القوة الجوية، ووراء السلاح الرقم (٢) عينة الجيش وشعبة التموين، وكان بناء المواضع مختصا بمنظمة (تود)، وكان الاستخدام التعبوي منوطا بالقيادة الالمانية، وعندما كان السلاح الرقم (٢) جاهزا الى حد ما للاستعمال، انتزعه رئيس الغستابو[1] هملر من الجيش!

كون رونشتد رأيا حذرا عن هذين السلاحين، فقد اقتنع بانهما من غير شك يؤديان الى التدمير، ولكنهما لا يؤديان الى نتيجة حاسمة في الحرب، وفضلا عن ذلك كان في السلاح الرقم (١) نواقص معينة . . . وقد حدث في بعض الاحيان ان انحرف هذا السلاح الطائر عن اتجاهه نحو العدو الى الخلف، فسقط في بلجيكا! وكان سبب ذلك يعود الى اخطاء في صنع جهاز قيادة هذا السلاح، وقد خشي رونشتد ايضا من ازدياد فعالية العدو الجوية في منطقة الجيش الخامس عشر، فيؤدي الامر الى وقوع خسائر في قطعاتنا تنوف على خسائر العدو في انكلترا. على كل كانت مشكلة هذين السلاحين الجديدين بكاملها فنية للغاية، وقد استخلص رونشتد وهيئة ركنه ما امكنه استخلاصه من معلومات عنهما من هيئة الركن الخاصة التي بأمرتهم.

جرى استخدام السلاح رقم (١) ليلة ١٢ ـ ١٣ حزيران (١٩٤٤)، ولم يستخدم السلاح الرقم (٢) الى في خريف (١٩٤٤)، وبطبيعة الحال كانت المفارز الفنية لهذين السلاحين تحتاج الى قطعات مدربة تدريبا خاصا.

لقد حدثت صدفة في مايس (١٩٤٤) ان امر هتلر باجراء الرمي لاول مرة يوم ٦ حزيران، اي في نفس يوم ابتداء الغزو.

كانت منشآت السلاح الرقم (٢) تقع بصورة رئيسة حول (آراس) في (كونتناتن) بين (كان) و (سنت لو)، ومن ثم نقلت في وقت متأخر جدا الى هولندا.

جرت العادة في الجيش الالماني السابق على اصدار اوامر ووصايا، وليست الوصايا امر حازما، بل توجيها عاما من القيادة العليا الى القادة الاقدمين حول الواجبات والنيات والخطوط الرئيسة لحركة مدبرة. لقد كان هذا الاسلوب اعتياديا في الايام السالفة لاسيما في زمن مولتكه وشليفن، وقد طبقته هيئة الركن الالمانية في المدة بين (١٩١٤ - ١٩٣٩).

يؤخذ في هذه الوصايا بنظر الاعتبار المركز السامي والخدمة الطويلة وتجارب واستقلال القادة الاقدمين في العمل، كما ان الوصايا تترك الحرية للقائد في تنفيذ الحركات كما يتطلبه الموقف.

على كل حال اختفى هذا الاسلوب الحصيف منذ سنة (١٩٤٢ ـ ١٩٤٣) بعدما استلم هتلر قيادة الجيش العليا. وعندما اصبح قائدا اعلى، اصدر اوامر مفصلة شخصيا او بوساطة هيئة ركنه دون ان يأخذ بنظر الاعتبار رتبة القائد مشيرا كان او عقيدا!!!

ادرك رونشتد منذ عام (١٩٤٣) بان يديه ستكونان مغلولتين فيهما اذا لاح خطر الغزو او

---

(١) الغستابو: اسم هيئة الامن كما يطلق عليه في العراق، وهيئة المباحث كما يطلق عليه في الجمهورية العربية المتحدة.

افلح العدو في الانزال، اذ انه لايكون قادرا حينذاك على ان يعمل بحرية تعودها خلال خدمته الوطيلة البالغة احدى وخمسين سنة، بل سيضطر الى ان يلتمس الموافقة ان يصدر اي قرار، لذلك دأب على المطالبة بالحرية في العمل وباصدار وصايا عامة تصدرها القيادة العامة. . . ولكن مطاليبه ذهبت ادراج الرياح.

غير ان رونشتد اتخذ موقفا عمليا، فاصدر اوامره للفحص بصورة نموذجية عن جميع نقاط الضعف في القيادة الغربية، ولانجاز هذا الواجب شكلت هيئات ركن في جميع الجيوش التي كانت بامرته، تتألف من ضباط من الجيش والقوتين البحرية والجوية ومن صنف الهندسة والمدفعية والدفاعات المضادة للدبابات ومهندسين من منظمة (تود)، وكان على رأس كل هيئة من هذه الهيئات المختلطة لواء من الجيش.

كانت تقارير هذه الهيئات تقدم الى قائد الجيش المختص، ومن ثم تقدم الى رونشتد من قادة الجيوش مشفوعة بمطالعاتهم. ولغرض انجاز هذا الفحص النموذجي باكبر مايمكن من الدقة، زودت هذه الهيئات بمجموعة من الاسئلة تتعلق بكل الدوائر للاجابة عليها، وفضلا عن ذلك منحت هذه الهيئات وقتا طويلا للقيام بمراقبة شاملة لمختلف القواطع في الجبهة الواسعة بكل حرية.

كانت اهم الاسئلة مايلي:

١ ـ الحالة الراهنة وقيمتها العسكرية والصلابة والتجهيز والتنظيم وتدريب القطعات.

٢ ـ ابداء الرأي فيما اذا كانوا جاهزين للقتال ام ان هناك مايحول دون ذلك. . . وهل انهم صالحون للتعرض ام للدفاع فحسب.

٣ ـ فحص التحصينات الساحلية الدائمية وتحصينات الميدان المرتجلة كذلك.

٤ ـ قوة وتنظيم الحامية والاحتياطات والاسلحة والدفاعات.

٥ ـ هل التعاون بين عناصر القوة المسلحة الثلاثة وثيق؟

٦ ـ فحص الخطة النارية للمدفعية والاسلحة الثقيلة.

٧ ـ هل كانت جميع التحصينات مزودة بصورة حسنة بالعتاد والخدمات الطبية والمدخرات والماء؟. . .

٨ ـ هل كان نظام المواصلات بين جميع عناصر القوة المسلحة الالمانية فعالا؟

٩ ـ ماهي التدابير المتخذة لمعالجة قطعات المظليين والقطعات الهابطة خلف التحصينات؟

١٠ ـ هل وضعت الاحتياطات بصورة تتيح تحريكها بسرعة؟

هذه هي اهم نقاط الاسئلة التي أصدرها رونشتد، وقد طلب من القائدين العسكريين لباريس وبروكسل اللذين لم يكونا بامرة القيادة الغربية، ان يشتركا في فحص استحضارات منطقتيهما للدفاع.

وقد عين ضباط من هيئة ركن القيادة الغربية للفحوص المشار اليها، وبذلك امكن اصلاح نقاط الضعف التي يمكن تصليحها محليا. اما ما يتعلق بالقضايا التي يصعب اصلاحها، فقد تقرر تقديم تقرير عن نتائج الفحص الذي جرى في الخريف الى هتلر

شخصيا . . وقد قدم هذا التقرير فعلا، اما ما حدث بعد ذلك فسنذكره فيما بعد. لقد اشعر رونشتد مقر الجيش الالماني خلال اواخر الربيع بدافع من ابداعه، بان ايطاليا قد تنحاز الى الحلفاء نظرا لتردي الموقف العام فيها!

وقد ارسل هذا الخبر الى مقر هتلر ببرقية مقتضبة، غير انه لم يحظ بجواب، ولكن هذا الموضوع نوقش هاتفيا بين هيئة ركن رونشتد وبين مقر الجيش.

لقد انتهت الحرب في افريقية باندحار المحور، وكان الحلفاء قد نزلوا في صقلية، وكان واضحا بانهم قد يعبرون من هناك وادي (مسينا) الى ايطاليا الجنوبية، وكانت جميع المعلومات تؤكد بان القطعات الايطالية تقاتل بدون اي رغبة في القتال، وكانت القطعات الالمانية في ايطاليا قليلة جدا، اذ كان المؤمل من الايطاليين الدفاع بفعالية عن بلادهم على الاقل، ولكن هذا الامل كان في غير محله. لقد كان تمرد الدوائر المتنفذة ضد موسليني يزداد باطراد، ولم يخف اغلب الضباط لاسيما ضباط الجيش اخلاصهم للملك.

ولم تعد المانيا قادرة على تزويد ايطاليا بمساعدات عسكرية وصناعية مؤثرة، وكان على الايطاليين ان يقاسوا من فقدان ممتلكاتهم في افريقية، والان يرون العدو يتهيأ لقهر ايطاليا نفسها من الجنوب.

لقد كان واضحا لرونشتد منذ امد طويل، ان ايطاليا قد تنحاز للحلفاء، وان نتائج ذلك على القيادة الالمانية ستكون خطيرة جدا، اذ تكون منطقة القيادة مهددة باستمرار من الجنوب، اي من ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي، ولكن اذا استولى الحلفاء على شمال ايطاليا، فانهم حين ذلك سيكونون وراء الدفاعات الغربية، وبذلك تتمكن اسرابهم من العمل ضد المانيا بسهولة من قواعدها الجوية في وادي (البو)، كما يمكنها العمل من الجنوب الشرقي لايطاليا ضد فرنسة.

كان رونشتد يخشى الا يجشم الحلفاء مشقة اخضاع ايطاليا بكاملها تدريجيا على البحر بهجمات بطيئة، فقد كان قلقا جدا من انزال سريع في خليج (جنوى) او في (البندقية[1])، اذ يؤدي ذلك الى اجتناب قتال الجبال المستحضر كافة من (سالابريا) الى (البو)، كما ان ذلك لايؤذي ايطاليا فحسب، بل المانيا والقيادة الغربية بصورة غير مباشرة في مراكز حيوية . . ومن الواضح ان الحلفاء فكروا في هذه الخطة، ولابد انهم لم ينفذوها لاسباب وجيهة، غير ان رونشتد لم يكن على علم بتلك الاسباب في عام (١٩٤٣). ان من يسيطر على ايطاليا يسيطر ايضا على (سردينيا) و (كورسيكا) وعلى ساحل البحر الابيض المتوسط، ومعنى ذلك تهديد الدفاعات الغربية من الجنوب، خاصة وان ساحل فرنسة الجنوبي الذي جرى احتلاله لاول مرة في تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٤٢)، لم يحصن بعد اتجاه اي مقصد او غرض، بل رسمت ووضعت خطط تحصينه فقط دون تنفيذها!!

---

(١) فينيسيا.

كانت القوات الالمانية بين الحدود الاسبانية بالقرب من (فدنرس) و (طولون) ضعيفة جدا، وكانت مدفعية الساحل رديئة، وكان على هذه الوحدات ان تعتمد على تحصينات الميدان على قدر الامكان في النقاط الهامة جدا على الاقل، وكان هناك فرقة او فرقتان من الفرق المدرعة الغربية الطراز في وادي (الرون) وحول (طولوز)، ولكن القطعات كافة كانت تبدل باستمرار لاستخدامها في الجبة الشرقية، وكانت القوتان البحرية والجوية الالمانية في سنة (١٩٤٣) اضعف بكثير من ان تتمكن من حماية هذه الجبهة الجنوبية الجديدة.

ولكن ما الذي سيحدث فيها اذا اضيف الى ذلك امتناع الجيش الايطالي الرابع بين (طولون) و (منتون) والذي كان يخضع لاوامر رونشتد التعبوية ـ اذا امتنع هذا الجيش عن القتال؟ وماهو موقف القيادة الغربية تجاه هذا الجيش؟ واين هي القطعات التي ستحل محله؟ لقد كان جواب وقتذاك بسيطا: لم يكن هناك ابدا اية قوات متيسرة لاستخدامها بدلا عن ذلك الجيش! وربما يتسلم الجيش الايطالي اوامر من روما لقتال الالمان، فما الذي سيحدث حينذاك؟ كل هذا يفسر لماذا رفع رونشتد قبل اشهر من انهيار ايطاليا عدة تقارير لهتلر تنذره بهذه العواقب، وكان من المناسب اجتناب كل ما يؤلم القطعات الايطالية او هيئة الارتباط الملحقة بالقيادة الغربية. لقد وجد اعضاء هذه الهيئة انفسهم في موقف صعب، فهم كوسيلة من وسائل السياسة، استلموا بطبيعة الحال وصايا سرية من روما، ولكنهم كانوا من الناحية الاخرى مرؤوسين لرونشتد لقد سهلت حكمة رونشتد موقفهم...

عين هتلر الفريق (كدوريان) في نهاية صيف (١٩٤٣) مفتشا لصنف الدروع، وبذلك اعتلى اكفأ رجال هذا الصف اسمى منصب فيه، ولكن تعيينه هذا كان ايضا لارشاد القيادات العليا ـ قيادات جحافل الجيوش وقيادات الجيوش التي كانت بامرتها وحدات مدرعة الى مايتعلق باستخدامها الصحيح تعبويا وسوقيا.

ينبغي ان نعرف بان اكثر القادة الاقدمين ومن ضمنهم اغلب ضباط الاركان العامة، لم يخدموا بصنف الدروع، وليس من شك في ان الاستخدام التعبوي والسوقي لهذا الصنف ربما كان يجري بصورة افضل في سني (١٩٣٩ ـ ١٩٤٣). لو ان استخدامه كان مفهوما بشكل اوضح عند القادة الاقدمين.

لقد كان واجب كودريان انعاش هذا الفهم بين القادة الاقدمين، ولم يكن هذا واجبا سهلا، لان كودريان لم يكن بامكانه ان (يأمر) ولكن كان بامكانه ان (يلتمس) و (يقنع) فحسب؛ ولانه لايستطيع الحضور في جميع الجبهات في آن واحد، وكثيرا ما كان عليه ان يحضر في مقر هتلر او محل اخر، فقد استحدثت مناصب اضافية للدروع في اغلب القيادات المهمة، وعين في القيادة الغربية اللواء (بارون كيرفون جوبن بيرك) قائدا لقطعات الدروع الغربية، وكان ملحقا بهيئة ركن رونشتد ومستشاره في قضايا استخدام الدروع كافة.

كان اللواء (بارون كيرفون جوبن بيرك) من (روتنبرغ) ومن صنف الخيالة، وكان ضابط

ركن معروفا في الاوساط كافة بثقافته العالية، وكان متفقا مع رونشتد في الاراء السوقية، اذ كلاهما يعتبر قابلية الحركة الجوهر الوحيد لفن الحرب الحقيقي، لذلك فقد فضلا وجود احتياط سيار قوي من الدروع تحت تصرف القيادة الغربية العليا، وتصوروا ان تكون هذه الاحتياطات عددا من فرق الدروع في جوار باريس...

وفي تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٣) ذهبت بصحبة رونشتد الى دعوة خاصة في سانت جرمان، وبينما كانت الجوقة تعزف بـ (البيان) دعيت فجأة الى الهاتف للتكلم مع مقر الجيش، فاخبرت بجمل مقتضبة بان ايطاليا قد انحازت الان نهائيا وعلنا الى الحلفاء.

لم يباغت رونشتد بهذه الانباء، ولا اراني بحاجة الى القول بان الدعوة انتهت حالا...

كانت ايطاليا مهمة جدا بالنسبة لموقف المانيا العام، لهذا قرر هتلر مصيبا الثبات في ايطاليا، ولو انه لم يقرر ذلك لانحدر الرايخ الالماني من اتجاه الجنوب، ولتسنى لقوات الحلفاء الجوية استخدام شمال ايطاليا قاعدة لهجومهم، وقد ارسل هتلر الفرق الالمانية لاسناد القائد العام في الجنوب الغربي المشير (كيسرلنك) عندما بدأت روح القتال الايطالية تتردى يوما بعد اخر، فنقلت هذه النجدات من فيينا وميونيخ بالسكك الحديد عبر الالب او من الغرب عبر مضيق (مونت سنيس): بالقطار على طوار ساحل البحر الابيض المتوسط مارابطولون ـ نيس ـ جنوى ـ الى ايطاليا. وكان خط السكة الحديد من ليون خلال مونت سنيس والى تورين يمر على ارتفاع يربو على (٦٥٠٠) قدم خلال نفق مونت سنيس، فاذا ما احتل اونسف هذا الجزء من الخط، تعطل القطار واقتضى حينذاك تفريغ جميع القطارات من الجهة القريبة من النفق المخرب، ومن ثم اجراء التحميل مرة اخرى من الجهة البعيدة منه، غير ان كلا الخطين يمر خلال جبهة الجيش الرابع الايطالي والمنطقة الايطالية في شرق الرون. لقد كان من واجب القيادة الغربية نقل بضع فرق اكثرها من احسن الفرق الى شمال ايطاليا، وقد ارسلت فرقتان من هذه الفرق على طريق السكة الحديد الساحلية، كما ارسلت فرقتان اخريان عبر مونت سنيس، وعلى الرغم من عدم اعلان تخلي ايطاليا رسميا، الا ان الجيش الرابع الايطالي تسلم وصايا سرية من روما...

ولغرض تسهيل موقف الجيش الرابع الايطالي، وضعت الفرق الالمانية التي كانت في منطقة الايطاليين بامرتهم مع التماس السماح لها بالمرور عبر الحدود الايطالية... لم يكن بمقدور رونشتد ان يتصرف بحكمة اكثر مما فعله تجاه حليف عاق... لقد بقيت هذه الفرق الالمانية اياما في منطقة الجيش الايطالي ثم اعيدت ثانية الى شمال ايطاليا ببطء شديد، فاي موقف نادر هذا الموقف؟!

ظهر اثر تبدل الوضع في ايطاليا واضحا في تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٣)، وليس هناك من يلوم هتلر لصرامة رد فعله، فقد امر اولا القيادة الغربية ان تجرد جزء الجيش الرابع الذي كان بامرتها فورا من السلاح، وكان هذا الاجراء لسوء الحظ ضروريا في مثل الموقف؛ ويمكن القول عموما بانه تم بدون صدام، فأصبحت بذلك الجبهة الفرنسية الجنوبية بكاملها من ميناء (فندرس) الى (مانتون) تحت سيطرة الالمان فقط،

وشكل من اجل ذلك الجيش التاسع عشر بقيادة اللواء القدير فون (سودنسترين).
امر هتلر بان تسأل مفارز الجيش الايطالي المجرد من السلاح، فيما اذا تريد طوعا الاستمرار على القتال بجانب الالمان ام لا؟ لقد كان امرا طبيعيا ان يرفض الايطاليون... ولم توافق على القتال بجانب الالمان سوى بضع وحدات من المدفعية، فوضعت بجانب الالمان على ساحل البحر الابيض المتوسط، لانها بطريات ساحلية، ولكنها اصيبت بعد ذلك بمرض الحنين الى الاهل والديار، وكان رونشتد كريما، فسمح لهم بأن يعودوا ادراجهم الى ايطاليا بدلا من اسرهم...

كان الموقف بكامله حرجا، لاسيما بالنسبة الى هيئة الارتباط الايطالية الملحقة بالقيادة الغربية.
كان اللواء المتميز (مارازاني) قد سبق استدعاؤه مبكرا، وقد حاولت القيادة الغربية مساعدة بقية اعضاء الهيئة المؤلفة من ستة ضباط وعدد من ضباط الصف بكل طريقة ممكنة، فذهبنا معهم مرة الى الاوبرا في باريس، حتى الى (كوك) الشهيرة. لم يتمكن الايطاليون من تفهم موقفنا على حقيقته، وحتى اليوم لايزال عدد من هؤلاء الايطاليين يراسلون رونشتد ويراسلونني، كما ان رئيس دائرة الجمهورية الايطالية اللواء مرازاني لايزال يراسل رونشتد، كما يفعل ذلك المقدم المتقاعد سكنوريني الذي يمتلك فندق فلورا الشهير في روما.
حدثت في هذا الموقف المرتبك حادثة خطيرة واحدة فقط، وكان ذلك في مونت سنيس. لقد ذكرنا سابقا اهمية مونت سنيس، لذلك اعتبر هتلر وقوع هذا النفق المهم سالما بيد الالمان كسبا كبيرا لهم، اذ تمكنت القطعات الجبلية من الاستيلاء عليه بالمباغتة، ولكن عندما تقدمت مفارزة صغيرة فيه واجهتها مقاومة عنيفة عند مدخله الشرقي من القطعات الجبلية الايطالية، ولقد نسف القسم الشرقي منه الذي كان محاطا باسلاك كثيرة، فانهمر الماء في داخله! وقد حدثت خسائر نتيجة لغازات المتفجرات، وبذلك اصبح موقف هذه المفارز الالمانية الصغيرة صعبا.
ولاجل احتلال الهدف بسرعة، تسلقت مفارز اخرى من القطعات الجبلية كلتا جهتي النفق وعلى السطح الشرقي للمر، وكانت المدفعية تسند هذه المفارز اسنادا جيدا، فسقط هذا الهدف الهام بيد الالمان، ومن بعد اصلح القسم المنسوف الى حد ما بعد شهرين من الاستيلاء عليه.
كيف كانت الامور شرقي (منتون) اي في (الرفيرا) الايطالية؟ هل كان القائد العام في الجنوب الغربي (كيسرلنك) يمتلك قوات كافية هناك لصد انزال الحلفاء المتوقع في خليج جنوى؟ لقد اصبحت القيادة الغربية والقيادة الجنوبية الغربية الان متجاورتين بالقرب من (منتون). كان (كيسرلن) لايزال يقاتل في جنوبي ايطاليا، فلم يكن بامكانه الدخول في ميدان الحركات الذي كان سينزل اليه الحلفاء بصورة مفاجئة بالقرب من جنوى، ولذلك اصبح على رونشتد ان يجعل قواته الضعيفة باستثناء حاميات الساحل جاهزة للتقدم الى

ايطاليا نحو جنوى، ولو ان الحلفاء نزلوا هنا في (١٩٤٣) لما صادفوا مقاومة تذكر. . . ولو انهم قاموا بالهجوم نحو الغرب عبر الالب باتجاه (ليون) لسيطروا على قوات القيادة الغربية من الخلف، ولو انهم خلال هذه الاسابيع جسو النقاط الضعيفة بين (موناكو) و (طولون) لواجهوا مقاومة ضعيفة فحسب، لان هذا القاطع لم يكن مهيأ للدفاع بدرجة مرضية، بعد ان تركه الجيش الايطالي الرابع، ولامكنهم الاندفاع حينذاك الى الامام نحو (ليون)، او التوغل حالا نحو الشرق الى شمالي ايطاليا عبر الالب.

لقد ازدادت مسؤولية القيادة الغربية باضافة جبهة واسعة اليها بين (منتون) والحدود السويسرية بالقرب من (مونت بلانك)، وقد جرى في هذه الجبهة احتلال الممرات الجبلية الحيوية فقط بطريقة امكن معها الاستفادة من التحصينات الفرنسية ـ الايطالية، وكانت هذه النقاط القوية قد انشأت على اسس الدفاع من جميع الجهات، لانه لم يكن معروفا عن تطورات القتال فيما بعد شرقا ام غربا؛ وهكذا سبب انهيار ايطاليا نتائج خطيرة للقيادة العامة الالمانية عامة والقيادة الغربية خاصة.

امتدت منطقة رونشتد وجبهاته الى ابعد من هذا، فاقتضى نقل خير فرقه الى ايطاليا، كما احتل الجبهة الجديدة بقطعاته ايضا، فاثر كل ذلك على الجبهة الرئيسة في القنال والاطلسي.

ولاجل تعويق تقدم العدو على الاقل نحو الشمال او باتجاه الغرب في حالة حدوث انزال الحلفاء على ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي، امر رونشتد باقامة عوائق دفاعية لحماية الطرق التقريبية، وكانت هذه العوائق مرتبة الواحدة تلو الاخرى في اودية الرون والكارون، غير انه كان واضحا بان مثل هذه الاساليب الواهنة لاتحبط ابدا هجوما جديا.

يستطيع القارىء ان يكون فكرة عن صعوبة الواجب اذ قاس جبهة رونشتد كافة على الخريطة، فقد كانت تمتد الى حوالي (٢٥٠٠) ميل، اذا اخذنا الخلجان والهضاب الكثيرة لساحل القنال المحتل بنظر الاعتبار.

لايمكن الاحتفاظ بمثل هذه الجبهة الواسعة بدفاعات مستكنة غير سيارة، وبخليط من القوات المتفاوتة في قابلياتها تتراوح قوتها بين (٥٠ ـ ٦٠) فرقة، الا بالخيال البعيد عن الواقع.

ينبغي دراسة الخريطة بعناية فائقة لتفهم الموقف بوضوح، وبذلك يتسنى لنا ان نعرف لماذا اراد رونشتد ان يدير الحرب الدفاعية في الغرب على اسس تختلف تماما عما يريده هتلر والاصرار على تطبيقها بكل دقة. لم يكن هناك احتياط قوي من صنف الدروع تحت تصرف رونشتد في المنطقة الكائنة حول باريس وجنوبها، فهناك بضع فرق مدرعة خلف الساحل المشغول بحاميات ضعيفة، غير ان قتالها كان قد انهكها، وسرعان ماتحركت الى ايطاليا او اعيدت الى الجبهة الشرقية، وكانت هناك ثغرات واسعة في المنطقة الشاسعة، وكان بالامكان الحركة بالسيارة ساعات طويلة في الغرب دون مصادفة قطعات المانية مقاتلة، لذلك كان عمل (حركة الانصار) الفرنسية سهلا!!

وزعت تشكيلات مستجدة ضعيفة اخرى لكي تشاهد البزات العسكرية الالمانية في منطقة الساحل، وكان مقر الجيش الالماني قد ارسل قطعات اجنبية باستمرار من الجبهة الشرقية الى القيادة الغربية لهذا الغرض، وكانت هذه القطعات مؤلفة من متطوعين فارين من الاتحاد السوفياتي وكانوا بصورة رئيسية من القوزاق ومن جورجيا والارمن.. الخ من المتطوعين للخدمة، اذ قد نقلوا الى المنطقة الغربية لئلا يتعرضوا للانتقام الروسي منهم، وكانوا بامرة قائد القاطعات الشرقية (اللواء الخيال كوى سترنك) الذي كان وثيق المعرفة بالشرق منذ سنين عديدة خلت. حذر رونشتد مقر الجيش الالماني من خداع خرائط الموقف، فان هذه الخرائط التي كانت عادة بمقياس (١/١٠٠٠٠٠٠) لاتقتصر على خطوط الجبهات على حافة الساحل فحسب، بل مؤشر عليها جميع القطعات التي كانت هناك باعلام صغيرة زرقاء!. ان الشخص الاعتيادي الذي ينظر الى هذه الخرائط يرضي ويسره تصور الجبهات بهذا الشكل الجذاب، ويرى ان المناطق الخلفية مغطاة بقطعات كثيفة...

ان هذه الخرائط تظهر دائما مليئة جدا... ولكن هيئة الركن التي تدرس مثل هذه الخريطة، تعلم بانها تمثل خدعة للابصار، لان خطوط الجبهة الجميلة التي توحي بالثقة، كانت في الحقيقة ضعيفة تكتنفها الثغرات الواسعة، وكانت الاشارات الكثيرة التي ترمز الى القطعات غير الصحيحة في دلالتها، وهكذا كانت هذه الخرائط وسيلة للتضليل؛ ولو ان فنانا اراد المزاح فجعل جميع هذه الرموز كبيرة جدا وواضحة، لاصبحت مثل هذه الخرائط ذات تأثير خطير.

كثيرا ما حذر رونشتد رؤوساءه في مقر هتلر من سراب هذه القطعات، اذ لم تكن القطعات موجودة في الواقع، ولم يكن بامكان مثل هذه الخرائط ان تبين فيها اذا كانت الامور تسير سيرا حسنا ام انها ليست على مايرام، وفيها اذا كانت القطعات قوية او انها وحدات رديئة!!

وقبل ان ننتقل الى مذكرة رونشتد الخطرة التي عالجت خطورة الموقف في الغرب، نورد قصة استمتع بها المشير في وقتها.

سبق ان وصفنا مدى الصعوبات التي اكتنفت ايام انهيار ايطاليا، تلك الصعوبات التي جابهناها عند امرار الفرق الالمانية الى ايطاليا المنطقة التي احتلها الجيش الايطالي الرابع، وذكرنا انتظار عدد من الفرق عاطلة لمدة ايام حول مدينة (كان) و (نيس) و (موناكو) للشروع في الحركة. فاستغل بطبيعة الحال الضباط وضباط الصف والجنود ايام الانتظار القسرية لزيارة منطقة (الرفيرا) الجميلة. كان ملازم شاب يستحم في شاطىء (موناكو)، فتعرف بسيد وسيدة كان يستحمان ايضا. دعي الملازم لحضور حفلة رقص في المساء، فلم يرفض الدعوة طبعا، وابدى الضابط الشاب شعورا رقيقا نحو الانسة، فاعلنا رغبتهما في الاقتران، غير انه استبان بعد ذلك ان هذه الانسة الصغيرة كانت ذات قربى وثيقة بامير موناكو الحاكم، لذلك اقتضى فتح مداولات رسمية، لان هذه الحادثة لم يكن لها سابقة.

اقتنع الامير بتزكية آمر كتيبة الملازم السعيد، فاقتضى الامر ان تعرض المسألة على

رونشتد وعلى دائرة الامور الذاتية في المانيا، ولما كان الامر يتعلق بقريبة الامير الحاكم في (موناكو) التي لم تكن في حالة حرب ضد المانيا، تدخلت الدبلوماسية في الموضوع، فأخبر السفير الالماني في (موناكو) الذي كان قد اعيد الى منصبه في ديوان وزارة الخارجية الالمانية بهذه المسألة المعقدة، فنشطت هذه الحرب الورقية بعنف، لان الانسة كانت اجنبية، واخيرا اصدر هتلر قرارا ضد الملازم المسكين... مما اسف له رونشتد اسفا شديدا.

عزم رونشتد دون ان يكون مسرفا في التشاؤم، على اعطاء هتلر صورة واضحة للموقف العسكري في الغرب. ان من المهم بيان هذه الحقائق لكي نتفهم كيف ان النجاح لم يكن ليقتصر سنة (١٩٤٤) على الانزال التاريخي في (نورماندي)، بل انه سيحالف اي غزو في اي مكان اخر...

وفيما يلي خلاصة مقتضبة للمذكرة:

١ ـ كانت خيرة القطعات قد نقلت والى ايطاليا والى الجبهة الشرقية، وكان في منطقة القيادة الغربية بين (٥٠ ـ ٦٠) فرقة، ولكن ماحقيقة هذه الفرق؟ لقد كانت فرقا ساحلية، تقيم دوما في قواطعها المحصنة، اي ان واجبها الرئيس هو صد الغزو، وكان لها جبهات تتراوح بين (٢٥ ـ ١٠٠)، ميل وحتى اكثر من ذلك، وفي خليج (بسكاي) جنوب (بوردو) كانت القواطع واسعة سعة تضطر آمر السرية الى استعمال دراجة عند تفتيش مواضع سريته، ويحتاج الى يوم كامل لانجاز ذلك!!

لم تكن هذه دفاعات، حتى ولم تكن مواضع محمية، بل كانت مجرد مراكز مراقبة ساحلية..

كان في قاطع (اوستندا ـ ابيفيل) اقوى حامية بالقياس الى القواطع الاخرى، ومن بعد ذلك يصبح الخط اضعف حتى (الهافر)، وكان في (نورماندي) و (بريتاني) قطعات قوية في القلاع، ولكن مابينها كان خفيفا كالهواء، ولم يكن بين (لاروشيل) و (بيارتيس) سوى مراكز المراقبة الساحلية التي تحتلها فرقتان او ثلاث فرق ضعيفة مسؤولة عن حوالي ثلاثمائة ميل. وكان بجوار (البرانيس) مجرد حماية للممرات الهامة جدا في الارض الفرنسية، وكانت جبهة البحر الابيض المتوسط من (فدنرس) الى (منتون) في طريقها الى الانشاء، ولكن لاعدد الفرق ولا قيمتها العسكرية ولا التحصينات كافية للدفاع ضد هجوم الحلفاء.

اما في جبهة الالب بين (منتون) والحدود السويسرية بالقرب من (مونت بلانك)، فلم يكن هناك سوى نقاط قوية في الممرات القليلة؛ وبالاضافة الى هذه الفرق الساحلية الدائمية، كان عدد الفرق متغيرا، وكانت هذه اما من ضمن مجموعة الساحل واجبها واجبات الفرق الساحلية، واما كانت في الخلف احتياطا قريبا، ولكن كثيرا من هذه التشكيلات كانت قد اعيد تنظيمها في وقت قصير ودون ترتيب كاف. لقد كانوا يسمونها فرقا ولكن كفايتها في القتال كانت مختلفة، وكان هناك ايضا ماذكرنا مرارا، وهو الفرق المستجدة التي كان ينبغي لها في الحقيقة ان تمكث في المانيا، ولكنها نقلت الى الغرب لكي

تحسب فرقاعسكرية حقيقية، وكان على هذه التشكيلات المستجدة ان تحتل في بعض الاحوال قسما من الساحل للقتال في الحالات الضرورية، كما كان عليها ان تنشيء المواضع وتدرب مستجديها ليرسلوا من بعد امدادات للشرق، وكان في منطقة رونشتد القطعات الشرقية الروسية بمختلف انواعها منظمة بافواج واحيانا مندمجة في الفرق الالمانية لتحل محل الافواج الشاغرة؛ واخيرا كانت هناك قطعات الامن التي بامرة القائدين العسكريين لباريس وبروكسل والتي اعيرت الى القيادة الغربية لغرض الدفاع الساحلي.

لقد كانوا بصورة عامة خليطا مختلفا من جميع التشكيلات الممكنة، وكثيرا ماكانت قابلياتهم العسكرية موضع الشك، وكان ينبغي تجربتهم قبل استخدامهم بواجب ما لمعرفة الواجب الذي يناسبهم. ولكن حتى هذه التجربة لم تكن كافية، ولاجل التعويض عن الخسائر الفادحة، كانت القيادة الالمانية مضطرة الى سحب اقوى الجنود واصغرهم سنا لارسالهم الى الشرق، وكانت القيادة الغربية تعوض عنهم برجال اكبر سنا، وكثيرا ماكانوا من مصابي الحرب، وبذلك تزداد الفرق الغربية رداءة..

وعلى سبيل المثال كانت الفرقة السبعين مؤلفة من رجال يعانون اضطرابات المعدة بسبب الطعام، ولم يكن الضباط ذو الاطراف الاصطناعية نادرين في فرق كثيرة.

لقد قاتلت هذه الفرق بعد ذلك ببسالة ضد قطعات الحلفاء الغازية، ولكن في حدود قابليتها فحسب. وكانت الفرق المدرعة الموجودة في الغرب ذات قوة على القتال اكبر بطبيعة الحال، وكان عددها يتراوح بين (٥ - ١٠) فرق، وغالبا ماتبدل بين الشرق والغرب، وكان عدد كبير من هذه الفرق بدون دروع نهائيا او تحتوي على عدد قليل منها، لان الشرق ابتلع تلك الدروع التي صنعت حديثا، لذلك كان هناك بعض الفرق المدرعة بدون دروع، وفرق فيها ثلاثون او خمسون او ستون عجلة مدرعة، وكان وجود ثمانين عجلة مدرعة صالحة يعتبر نعمة كبرى؛ وكانت فرق الصاعقة المدرعة افضل من فرق الجيش، لانها كانت في سنة (١٩٤٣) مجهزة بالرجال والمواد بكمية افضل من فرق الجيش الى حد كبير.

٢ - انشاء دفاعات الساحل: - سبق ان ذكرنا الكثير عن هذا الموضوع. لقد كان اقوى الدفاعات مايقع بين (اوستند) و (السوم)، لاسيما على كلا جانبي (كاب كريز-ينز)، وكانت قوية على الساحل الهولندي الذي كان من ضمن منطقة رونشتد، ولكن الى الغرب والى الجنوب يصبح الجدار الاطلسي اضعف واضعف، ثم سرعان ما يتلاشى، ولاجل تقويته انشئت تحصينات الميدان، ولكن لم تكن القوات اللازمة لتحسين المواضع متيسرة بسبب ضعف الحاميات، اما عدم تعليق المشير اهمية كبيرة على هذا الخداع[1]، فقد سبق لنا بيانه.

٣ - فقدان قابلية الحركة: تتطلب الحرب الحديثة درجة عالية من قابلية الحركة في الهجوم والدفاع، ولكن الفرق الساحلية وفرق المشاة ايضا كانت على الاكثر تعتمد على الخيل في نقليتها، ويعتبر هذا من وجهة النظر الحديثة فقدانا لقابلية الحركة...

---

(١) يقصد خداع الدعاية الالمانية التي بالغت كثيرة بقوة ومتانة ورصانة الجدار الاطلسي، لغرض تخويف الحلفاء من محاولة اقتحام هذا الجدار.

لقد كان ذلك من اهم النواقص. . .

٤ ـ شددت المذكرة ـ بعد هذا ـ على نواقص الدفاع ضد الدبابات والمدافع الخارقة للدروع والمدافع المضادة للجو، كما اكدت بالاضافة الى ذلك على عدم صلاحية تجهيزات صنف المدفعية واسلحة المشاة الثقيلة المأخوذة من الجيوش الاجنبية المنهارة التابعة لجميع البلاد المحتلة. . .

٥ ـ كان النقص في الوقود بارزا الى درجة ان آمري الكتائب لم يكن بامكانهم التجول بسياراتهم في قواطعهم الطويلة الا مرات قليلة في الشهر. ان الامور التي لايمكن التطرق اليها الان الا بايجاز، عولجت بطبيعة الحال بصورة مفصلة كاملة من رونشتد في مذكرته، وقد ارفق بهذه المذكرة عددا كبيرا من المخططات، ووصفت كل فرقة من هذه الفرق الستين على حدى حسب قابلياتها العسكرية.

كان على القائد العام لجحفل البحرية الغربي ان يقدم تقريرا مباشرا حول البحرية وكان التنويه الوحيد بالبحرية في مذكرة رونشتد يختص بتقويتها لكي تقوى على التأثير بخطورة في البحر ضد الغزو بوساطة مدمراتها وزوارقها البخارية القليلة العدد، ولم يكن في وسع شجاعة كلها كلها، ان تجعل هذا العدد القليل من البحرية مؤثرا؛ وعلى سبيل المثال: وجدت الغواصات الالمانية عمقا دون حاجتها لكي تقوم بواجبها في بعض المناطق الخطيرة!

ورفعت القوة الجوية ايضا تقريرا مباشرا بوساطة القائد العام للاسطول الجوي الثالث.

لقد كان للقوة الجوية الالمانية في الغرب في نهاية عام (١٩٤٣) عدد قليل للغاية من الطائرات (القاصفة) والمقاتلات، لم تكن في وضع تستطيع معه مكافحة السيادة الجوية الانكلو ـ امريكية بنجاح.

ارسلت مذكرة رونشتد الى مقر هتلر في بروسيا الشرقية بيد ضابط في نهاية تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٣)، وقد وضعت حالا امام رئيس الدولة.

لم يحدث اي شيء لمدة بضعة ايام، ومع ذلك شعرت القيادة الغربية بان هذا التقرير المبني على المنطق السديد، لابد وان يفتح عيني هتلر. ان اهمال القيادة الغربية لحد الان لن يكن عن قصد بكل تأكيد، بل املته الضرورة. لقد كان القسم الاعظم من الجيش الالماني يقاتل ليلا ونهارا بين البحر الاسود وبحر البلطيق منذ (١٩٤٢) ضد الروس الذين تبين ان كتلهم تزداد دوما. لقد اقتضى ارسال كل شيء قادرعلى الخدمة الى الشرق، وكان القتال العنيف يجري في شمالي افريقية ايضا، وبعد انتهاء الحرب الافريقية وانهيار ايطاليا امتدت الحرب اليها نفسها ايضا، وكان الهدوء النسبي يسود الغرب فقط باستثناء الهجمات الجوية او الغارات الارضية البسيطة بين حين واخر.

لقد تدهور الموقف الداخلي كثيرا في سنة (١٩٤٣) عندما بدأت حركة المقاومة تنمو وتشتد الى درجة التهديد السوقي.

كان رونشتد ينظر الى الامور دائما نظرة شاملة عامة لامحلية، وكثيرا ما كان يدقق خريطة الشرق اكثر مما يفعل في خريطة الغرب؛ ولما كان قد مارس حربين في الشرق، فقد كان

يمعن النظر في قراءة تقارير الجبهة الغربية، لهذا السبب وحتى نهاية سنة (١٩٤٣)، لم يبخل ايضا بالتنازل عن فرقة للشرق او للجنوب، والحقيقة انه قدم فعلا تشكيلات بمحض ارادته عندما شعر ان الامور تبدو يائسة في الشرق، وهذا مالا يفعله الا الاقلون من القادة بعيدي النظر، اما اكثرهم فيتمسكون تمسكا شديدا بما لديهم من قوات.

كان عليه الان ان يخبر هتلر بانه لم يعد في موقف يساعده على ارسال تقويات مستمرة على نطاق واسع الى الشرق، او الى ايطاليا، لان الخطر في الغرب كان في ازدياد مستمر. لقد كانت عليه مسؤولية ثقيلة جدا، وقد حل الان وقت تهيئة الرجال والمواد للقيادة الغربية، على الرغم من جميع الاخطار المحدقة بالجبهات الاخرى، وسوف نرى ما الذي عمله هتلر لتقوية الغرب.

كان القلق يزداد بين حين واخر من نزول الحلفاء في البرتغال او في اسبانيا او في جزائر البليارد اي في الجنوب لغزو منطقة القيادة الغربية، لذلك وضعت عدة خطط ذات اسماء رمزية، وهي على كل حال ليست مما يستمتع بقراءتها القارىء الاعتيادي.

لم يكن رونشتد نفسه يعتقد بان الحلفاء سيطبقون مثل هذه الخطط، وكانت اسباب اعتقاده هذا مايلي: ـ ان ذلك يتطلب خرق الحياد، وهو مالا يقدم عليه الحلفاء لاسباب سياسية. كما انه كان ينظر نظرة عالية الى الاسبانيين، وكان واثقا بانهم سيدافعون عن انفسهم ضد اي هجوم يقوم به الحلفاء او الالمان. كما ان هجوم الحلفاء في هذه الحالة لابد ان يسلك الطريق الطويلة عبر البرانيس باتجاه الشمال، ولم تكن الطرق الاسبانية وشبكة السكك الحديد منها بدرجة من الكفاءة تتيح للحلفاء اقامة قاعدة حركات في وقت قصير، مع ان هذا سيكون ضروريا لاجل البدء بغزو حاسم نحو جنوب فرنسة من هناك.

اعتاد رونشتد ان يقول عند مناقشته هذه الخطة: «ان الحلفاء ليسوا من الغباء بحيث ينتهكون حياد اسبانيا، وان الاسبانيين لن يسمحوا بذلك. ان بامكان الانسان الاعتيادي ادراك صعوبة تقدم الحلفاء من هناك عبر البرانيس والكارون واللوار، وكل هذا يمكن الحصول عليه بثمن اقل بالانزال في القنال والاستناد على قاعدة امينة في انكلترا، كما ان المسافة الى الرور من هناك اقصر منها في حالة انزالهم في اسبانيا.

لقد كان هتلر مصيبا في تقديره للاسبانيين، فامر باجتناب كل مايثيرهم، لذلك بقيت خرائط الحركات هذه في محافظ القيادة الغربية، لانه لم يطبق منها شيء.

لقد كان مقر الجيش الالماني شاعرا بان الانزال في الغرب لايمكن ان يتأخر كثيرا. لقد انتقل الروس الى التعرض، وكانوا يدفعون الجبهة الالمانية التي تزداد ضعفا الى الخلف باعداد متفوقة فواقا ساحقا، وكان الكفاح يشق طريقه ببطىء الى مسافات اخرى فاخرى مجتازا قاطعا تلو اخر من الجنوب الى الشمال، وكان معروفا بان الحلفاء يهيئون استحضارات خطيرة للقيام بهجوم واسع النطاق في الغرب.

لقد احدثت مذكرة رونشتد التي قدمها في تشرين الاول (اكتوبر) تأثيرها على هتلر، فاصدر اوامر جديدة بسرعة وحزم لتقوية القيادة الغربية على عجل بالرجال والمعدات،

وبطبيعة الحال كان هذا الاجراء متأخرا جدا، لان اهمال الجبهة الغربية لم يعد بالامكان تلافيه في بضعة شهور، ومع هذا انجز كل ما في المقدور حينذاك.

ان وصايا الفوهرر الرقم (٥١) كانت مسهبة للغاية بدرجة يتعذر ابرازها هنا بنصها الكامل، ويكفي ان ننقل جوهرها.

فقد شدد هتلر في هذه الوصايا قبل كل شيء على ان غزو الحلفاء في الغرب محتمل وقوعه قريبا، اي في سنة (١٩٤٤)، وان نتيجة الحرب معلقة على نجاحه واخفاقه، وكان من المتوقع حدوث الغزو على ساحل القنال في منطقة الجيش الخامس عشر، اي بين اوستند والهافر بصورة تقريبية. وكانت وجهة النظر هذه تتفق مع وجهة نظر رونشتد ووجهة نظري ايضا، ولكن المبدأ الاساسي لتنفيذ هذا الامر كان: «ينبغي الايجري التخلي عن شبر واحد من الارض»، ومعنى ذلك الاحتفاظ بالساحل بكل ثمن، ولم يكن هذا ليعبر ابدا عن وجهة نظر رونشتد. لقد اشرت مرارا الى الاختلاف الرئيسي بين مبدأ هتلر في الدفاع المتكن الجامد ومبدأ المشير رونشتد في الحركات السيارة الحرة، وينبغي ان نضع هذه الحقيقة نصب اعيننا، لانها تلعب دورا يفوق في اهميته اي شيء اخر حتى تقاعد رونشتد في بداية تموز (١٩٤٤)، واهم من كل ذلك انه لم يتم تأليف الاحتياط المركزي الذي طلب تشكيله بالحاف شديد من خمس الى ست فرق مدرعة وثماني الى عشر فرق مشاة في منطقة باريس والى جنوبها. حقا لقد كان هناك لهذا الغرض بضعة مقرات لقطعات التعويض عن الخسائر ووحدات تدريب ومدفعية الجيش وتشكيلات صغيرة اخرى متناثرة في ارض الساحل، غير ان هذه لم تكن لتعوض عن الاحتياط السوقي الكبير الذي اراده رونشتد. يضاف الى ذلك ان رونشتد وعد بامداده بقوات جوية مقاتلة قوية من الشرق ومن الرايخ، فقد اخبر القائد العام للاسطول الجوي الثالث المشير (اسبيرل) بعدد هذه التقويات، واخبر بدوره رونشتد بذلك، وكان هذا التدبير ضروريا جدا، لانه يكون الاساس الذي يرتكز عليه الدفاع السوقي الذي تريده القيادة الغربية؛ ولكن ينبغي ان تعرف بان هتلر كانت لديه اسباب حملته على اتخاذ شكل دفاعي جامد في سواحل الغرب، وكان هتلر ممن يرون ان قوات المانيا لم تعد بوضع يسمح لها بالحركات السيارة في جميع الجبهات، وقد امكن ذلك في الشرق فقط حيث المساحات الواسعة ان تطبق مثل هذه الحركات. وكان لزاما الاحتفاظ بالساحل في الغرب اذا المساحات محدودة، لان التخلي عن الساحل يؤدي الى وصول العدو بسرعة الى الحدود الالمانية، ويقدم قواعده الجوية الى الشرق... كما ان جميع قواعد اسلحة النصر رقم (١) و (٢) مقامة في الغرب، وكان لابد من ان نخسرها حالما يتقدم العدو داخل فرنسة.

لقد كانت هذه الاسباب جلية كل الجلاء، غير ان رونشتد كان يرى خلاف ذلك، فهو يرى ان المانيا خسرت الحرب عسكريا على كل حال، وان حلول النهاية يتوقف على الوقت فحسب... ومن واجب السياسيين ان يجدوا مخرجا، اذ لم يعد الجندي وحده قادرا على تبديل هذا الوضع، وفي الحقيقة كان رونشتد وغيره من القادة يرون ان المانيا خسرت

الحرب منذ اعلن هتلر الحرب على روسيا.

كانت اوامر الاحتفاظ بالساحل في جميع الظروف نظرية بحتة، اذ لم تكن الدفاعات الضعيفة التي سبق لنا وصفها لتسهل تنفيذ مثل هذه الاوامر الصارمة، لانه يتعذر على الفرقة الساحلية الضعيفة الرديئة التجهيز، ان تدافع عن قاطع يتراوح بين (٢٥ ـ ٣٠ ميلا)، وليس بمقدور الاوامر الصارمة ان تبدل ذلك، ومن ثم لم يعد يسمح حتى في الشرق باستخدام الاساليب السيارة، فقد جرى هناك ايضا تطبيق (المبدأ اليائس) وهو: (اثبت حتى النهاية)..!!

كانت اراء رونشتد عن ادارة الحرب الدفاعية، تختلف كل الاختلاف عن اراء القيادة العليا، مثال ذلك: انه كثيرا ما عبر عن رأيه: «ينبغي التخلي عن جنوب فرنسا كله من جنوب اللوار، وانسحاب جميع القطعات الموجودة هناك لتكون احتياطا في منطقة باريس، وذلك في حالة انزال الحلفاء عبر القنال..

ان اقتراحا رسميا يقدم الى هتلر على ضوء هذه الفكرة، يكون مصيره الاخفاق حتما، لان رغبة هتلر السافرة، هي: الاحتفاظ بالخمسمائة والالفي ميل من الجبهة الساحلية بأسرها!

لقد اوضحت نتيجة لذلك هذه الفكرة للفريق (جودل) في رسالة بعد الاتفاق مع القائد العام، ولاحاجة الى القول باني لم استلم جوابا... كانت مقترحات رونشتد بالنسبة لما كان يفكر فيه هتلر بدرجة من الهول جعلت (جودل) لايتجرأ على لفت نظر هتلر اليها.

ولكي يقتنع القارىء بنقص القوة الجوية الالمانية في الغرب في نهاية (١٩٤٣)، نقتطف هنا الارقام التالية:

١ ـ طائرات الجيكر (المقاتلات الخفيفة)، كان عددها (٣٤٣) طائرة وكان الصالح منها للخدمة (١٨٠) طائرة فقط.

٢ ـ المقاتلات (٣٤٠) طائرة، منها (٢٥٠) صالحة للخدمة.

٣ ـ الطائرات القاصفة (٢٩) طائرة منها (١٣) صالحة للخدمة.

٤ ـ طائرات الاستطلاع البعيد (٨٠) طائرة منها (٢٨) صالحة للخدمة.

٥ ـ طائرات الاستطلاع القريب (٤٠) طائرة منها (٢٥) صالحة للخدمة.

٦ ـ المدافع المضادة للطائرات (٣٣٩) بطرية ثقيلة و (٤٠٢) بطرية خفيفة.

يستطيع حتى القارىء المدني ان يدرك بان القيادة الغربية لم تكن تستطيع القيام بحرب دفاعية على طول (٢٥٠٠) ميل بهذه الاعداد التافهة تجاه سيادة جوية مطلقة للحلفاء. لقد كان هذا العدد الصغير المذهل للطائرات المتيسرة ناجما عن قلة الوقود، الذي لم يكن ليسد الا حاجة جانب من هذه الطائرات القليلة، غير ان هؤلاء الطيارين الالمان صارعوا الاهوال ببطولة نادرة في كفاح يائس مما يستحق الاكبار والتقدير.

كانت قوة الحلفاء الجوية في بداية الغزو يوم ٦ حزيران ١٩٤٤ كما قدرها اللواء (فولر[١])

---

(١)من اشهر الكتاب العسكريين البريطانيين.

في كتابه الممتع: (الحرب العالمية الثانية) كما يلي:
١ ـ طائرات قاصفة (٢٢١٩) طائرة.
٢ ـ طائرات نقل (٣٣٩٥) طائرة.
٣ ـ زلاقات (٨٦٧) زلاقة.

وكان هناك بطبيعة الحال ايضا الطائرات المقاتلة! وحتى لو كانت حقيقة هذه الارقام اقل مما ذكرها (فولر)، فان السيادة الجوية للحلفاء كانت بادية للعيان. لم تكن القيادة الغربية حينئذ تعلم الشيء الكثير عن قوة ومقاصد العدو، ولم يكن لديها جهاز جاسوسية خاص بها، لان خدمة الاستخبارات السرية كانت ضمن منطقة الدفاع التابعة للجيش الالماني، فكانت القيادة الغربية تستطيع التقاط نتف من الاخبار من هذه السلطة احيانا او من مقر الجيش او من مقر الاسطول الجوي الثالث او من جحفل البحرية الغربي والقائدين العسكريين في باريس وبروكسل، والسفير الالماني في باريس، او من شعبة الاستخبارات الخاصة بقوات الصاعقة.

لقد كان رونشتد يعمل دائما تقريبا في الظلام، وكان يستهدي المعلومات التي تأتيه من مقر هتلر، ولو انها كانت قليلة لاتغني وموطن ريبة. حقا كان بالامكان طلب الاستطلاع الجوي من الاسطول الجوي الثالث فوق القنال وانكلترا او غرب البحر الابيض المتوسط حوالي سردينيه، ولكن هذه الطائرات لم تستطع غالبا الوصول الى اهدافها، بل كانت ترغم على النكوص على اعقابها تجاه تفوق مقاتلات العدو الساحق. لقد كان في الامكان طبعا الحصول على لمحات خاطفة هنا وهناك لاسيما في الاستطلاع الليلي عن التنقلات العسكرية في جنوب انكلترا، غير انه لم يكن في هذه اللمحات فائدة كبيرة.

كان جحفل البحرية الغربي المؤلف من وسائط صغيرة قليلة، اضعف كثيرا من ان يقوم باستطلاعات مستمرة، فلم يتمكن الا من استمكان بعض القوافل فحسب، من حين الى اخر، بالقرب من ساحل انكلترا الجنوبي، ولكن ماهي الحقيقة، لم يكن احد يعرف ماذا كان يجري هناك!... لقد كان في انكلترا نفسها عدد قليل من الوكلاء مزودين بأجهزة لاسلكية، وقد تمكنوا من اعطاء بعض المعلومات من حين الى اخر. وعلى كل حال عملت خدمة الامن[1] الداخلي البريطانية بصورة متميزة، وبقيت انكلترا بالنسبة لرونشتد ارضا حراما.

كان من المعروف في سنتي (١٩٤٣ ـ ١٩٤٤) وجود جحفلي جيشين في جنوبي انكلترا، احدهما بقيادة اللواء ايزنهاور، والاخر بقيادة اللواء مونتكومري، ولكن كيف تم تنظيمها؟ لم يكن احد يعرف! على كل حال علم رونشتد بوجود تشكيلات كبيرة جاهزة في جنوبي انكلترا، وان تمارين خاصة بالانزال كانت تجري هناك، وان منطقة الساحل اصبحت منطقة محرمة تحريما كليا على المدنيين، كما علم بوساطة الشبكات الدبلوماسية للاقطار

---

(١) خدمة الامن: هي خدمة المباحث كما يطلق عليها في الجمهورية العربية المتحدة، والمكتب الثاني كما يطلق عليها في الجمهورية العربية السورية.

المحيادة، بان الاجازات كانت تلغى من حين لاخر، كما لاحظ بعض رجال الطيران الالماني الرسائل اللاسلكية للحلفاء مصدرا مهما للالمان، ولكن لم يجمع كثير من المعلومات.

وبالطبع روقبت باهتمام خاص المنطقة المحيطة بجزيرة (وايت) التي توازي (بورت سموث)، ولكن تدابير الامن هناك كانت قوية بصورة خاصة. ينبغي ان نقرر الان بأن رونشتد وهيئة ركنه نقحوا سنة (١٩٤٣) رأيهم الاصلي في توقع هجوم الحلفاء بين اوستند والهافر، وكان انتباههم يتجه تدريجيا وبصورة متزايدة يوما بعد اخر نحو (نورماندي) او (بريتاني).

اعتقد رونشتد بان منطقة جزيرة (وايت) يمكن ان تكون موضع الوثوب الى (نورماندي) بسهولة، لذلك كانت التقارير ترفع الى هتلر مطردة بان الغزو المرتقب لايزال يحتمل توجهه ضد (نورماندي). لم تكن المرافىء الاصطناعية في هذا الوقت معروفة الا قليلا[1]، وقد فرض بان العدو يقوم بانزال في محل مكشوف على الساحل، ولكن في منطقة ذات مرافىء سوقية، وكانت (شاربورغ) مرفأ سوقيا يمكن فصلها بحرا من جانبيها. لقد ازدادت الشكوك حولها بالنظر الى ان حالة الساحل والمياه بين مصب (السين) و (شاربورغ) غير ملائمة من وجهة نظر الاسطول لانزال واسع النطاق، فلم تكن هناك اسس ثابتة يستند اليها التنبؤ بالانزال، لان وسائط الاستطلاع كانت محدودة للغاية.

كانت الامور بالنسبة لشعبة استخبارات الحلفاء اسهل من هذا كثيرا، اذ كان تحت تصرفها قوة جوية متفوقة فواقاساحقا واستطلاع جوي متميز، وكان العدو مسيطرا على البحر، وكان تحت تصرفها ايضا شبكة جاسوسية متوغلة منظمة تنظيما دوليا وهي ذات اوكار في سويسرا والاقطار الاخرى، واكثر من ذلك فان خدمة الجاسوسية للحلفاء كانت تستطيع العمل تقريبا دون عقبات في فرنسة او بلجيكا او هولندا، ومن ذا الذي كان يعترضها؟ لم يكن هناك دفاع ذا اثر تجاهها، وكانت تستطيع ان تحظي بتأييد الكثيرين من السكان، لاسيما بين حركة (الانصار) التي كانت خطورتها في ازدياد مستمر.

نحن نعلم كان يوجد حوالي ثلاثمائة كلمة رمزية تستعمل للاتصال السري بين انكلترا وحركة الانصار في الغرب، وعلى سبيل المثال: كانت احدى هذه الكلمات الرمزية مايلي: «كلب الصيد يقتنص الارنب»، وكانت تدل على معنى يختلف تماما عن معناها الظاهر، وكانت معاني مايقرب من مائة وخمسين كلمة رمزية معروفة لدينا، اما معاني القسم الاخر من الكلمات فلم نكن نلم بها. على كل حال نتج عن استراق الرسائل اللاسلكية في هذه المنطقة ـ على الاقل ـ بعض مايجدي، ولكن على العموم لم تسنح لرونشتد حتى ابتداء الغزو فرصة تمكنه من النفوذ الى ماوراء الستار الذي اقامه العدو! وكان يعلم بان الهجوم سيكون

---

(١) اي غير معروفة بالنسبة للالمان. لان الحلفاء كانوا يعملون ليلا ونهارا لانجاز صنع هذه المرافىء الاصطناعية.

خلال انسب فصول سنة (١٩٤٤)، ولربما تم ذلك في مايس، ولم يكن يعرف اكثر من هذا!

لقد صورت تفاهة منابع الاستطلاعات الالمانية في سنتي (١٩٤٣ - ١٩٤٤)، بقصة فكاهية دعت الى الاغراق في الضحك، فقد وردت يوما ما انباء تنذر باتجاه اسطول نقل كبير كان يتحرك نحو الشرق خلال خليج بسكاي الى (لاروشل) او الى (بوردو)، فانذر الجيش الاول حالا الذي كان مسؤولا عن تلك المنطقة، وطلب الى الاسطول الجوي الثالث وجحفل البحرية الغربي اجراء الاستطلاع وتعيين ماهية ذلك الاسطول بصورة تقريبية، ومع وجود بضع طائرات فوق الهدف، فانها لم تتمكن من معرفته بدقة، ولم يتسن معرفة ماهية هذا الاسطول حتى اقتربت بضع مدمرات بحرية من هذا الاسطول الغامض، فعرفنا عند ذلك ماهو: سفن صيد اسبانية مسالمة! لقد كانت مبحرة من شمال اسبانيا، فالقت شباكها بعيدا الى الشمال، ولذلك اصبحت موطن شك في انها اسطول غزو معاد، ولكن رونشتد لم يستلم الانباء الحقيقية حولها حتى انتصف نهار ذلك اليوم. وهناك فن خاص في تضليل العدو تعبويا وسوقيا لتوجيه اهتمامه توجيها خاطئا، لذلك كانت الاخبار الكاذبة تنشيء عن قصد في الدوائر الدبلوماسية في باريس او بين السكان. حاول رونشتد ان يقوم بخدعة سوقية بهذه الطريقة في سنتي (١٩٤٣ - ١٩٤٤) مستهدفا افهام العدو بان احتياطات قوية ستنقل الى جنوبي فرنسة، وكان ذلك يتطلب خطة دقيقة في جميع تفاصيلها، لان خطأ منطقيا او نفسيا واحدا قد يؤدي الى وأدها في المهد وفضلا عن ذلك كان من اللازم تضليل السلطات العليا والقطعات نفسها ايضا، فحينما يعتقدونها اعتقادا جازما يستطيعون انجاز ادوارهم التضليلية بصورة مقنعة.

جرى البدء بهذا التضليل في المانيا، فوصل ضباط من الرايخ الى منطقة القيادة الغربية لنقل القطعات الجديدة من هناك الى الجنوب، كما التمست السلطات الفرنسية لتأمين مناطق لتمارين تلك القطعات واسكانها، كما تلقت السكك الحديد الفرنسية وصايا حول التنقل، واستلم القادة العامون للجيوش المرؤوسة الاوامر الخاصة باسكان القطعات؛ لذلك آمن كل واحد بورود هذه التقويات التي لم تصل مطلقا. ولغرض ابقاء هذا التضليل مدة قصيرة، تحركت قطعات صغيرة بالقطارات المهيأة للغرب حسب جدول التوقيت! كان رونشتد يعلم بان مثل هذا التضليل ربما يكون مجديا لمدة تتراوح بين الاربعة والستة اسابيع، ولكن ليس اكثر من هذا..

لقد اصبح وجود جهاز السكك الحديد مهما للغاية، لان المانيا في تلك المدة لم تكن تمتلك اسطولا كبيرا للنقل او ارتالا آلية تمكنها من الاعراض عن السكك الحديد، لذلك كانت السكك الحديد السوقية الكبرى التي تمتدمن الرايخ الى المنطقة الغربية ومن ثم شبكة السكك الحديد فيما بين هذه الاقطار لاسيما تلك الممتدة الى جنوبي فرنسة والبحر الابيض المتوسط ذات اهمية حيوية قصوى. كانت هذه السكك الحديد يديرها الفرنسيون

والبلجيكيون والهولنديون، وقد قام هؤلاء بواجبهم رغبة لا رهبة غير مكترثين بما لحقهم من خسائر. لقد سبق ان ذكرنا بان رونشتد كافأهم باطلاق اقرب ذوي قرباهم من الاسر الالماني.

ونستطيع القول بصورة عامة، بان جهاز السكك الحديد المتميز، كان لايزال سليما في الغرب عام (١٩٤٣)، وقد جرت اعمال تخريبية من حركة المقاومة الشعبية (الانصار) بصورة مزعجة لاسيما في جنوبي فرنسة، فسببت خسائر خطيرة وخروج كثير من القطارات عن السكك الحديد، واضافة الى ذلك ازداد رمي القطارات الواقفة والمتحركة من متسللي العدو، وكانت الغارات الجوية الكبرى والقصف الشامل لايزالان قليلين عام (١٩٤٣)، وكانت تقدم الى رونشتد اسبوعيا ومن بعد يوميا مع خرائط مؤشر عليها اعمال التخريب والغارات الجوية بالوان مختلفة. وقد وضح تدريجا من هذه الخرائط بعض نيات العدو، وكان من الواضح انه يمكن الاستدلال ايضا على اقتراب اجل الغزو في عام (١٩٤٤)، من طبيعة القصف وعمل حركة المقاومة الشعبية!!

لقد وضح في نهاية عام (١٩٤٣) لاولئك الذين كانوا في السلطة، بان الغزو المتوقع لابد وان يتمخض عنه عام (١٩٤٤)، اذ ارغمت السياسة الحلفاء على القيام بهجوم على نطاق واسع في الغرب، وكانت القيادة الغربية قد علمت من دبلوماسي الاقطار المحايدة، بان ستالين كان يلحف في طلب هجوم تقوم به القوى الغربية، فقد تبين انه اخبر الحلفاء بان الروس وحدهم يصارعون العدو في حرب حقيقية حتى الان، وانه مضطر الى تبديل سياسته ان لم يلب طلبه عاجلا.

عرضت تصاوير مؤتمرات زعماء الحلفاء على رونشتد، فاستدل منها بان الروح السائدة بين الحلفاء حينذاك لم تكن على ذلك القدر من الوئام الذي تظهره دعاية الحلفاء للناس، ولربما املت القوى الغربية بان الحرب في الشرق بين الروس والالمان قد تستمر امدا طويلا جدا، ولربما توقعوا بان الجبهة الالمانية الشرقية ستكون اكثر ثباتا، ولكن اسبابا سياسية عليا حتمت الان الشروع بالغزو الذي تمت استحضاراته منذ مدة من الزمن.

لم يباغت رونشتد عام (١٩٤٤) بالهجوم العظيم، حتى موعد حلول شهر الغزو، كان واضحا له وضوحا كافيا، فقد توقع الغزو خلال شهر مايس او حزيران استنادا الى احوال الطقس البحري والجوي، ومع ذلك فلاعجب من اقتران ليلة الغزو الفعلية ووقته اي يوم ٥ ـ ٦ حزيران (١٩٤٤) بقدر معلوم من المباغتة، لانه لم يكن في استطاعته معرفة ذلك بالضبط، نظرا لان القيادة الغربية كانت لاتمتلك غير جهاز محدود للاستخبارات.

الفصل الحادي عشر

عام الغزو

كان مبلغ علم رونشتد بالحقائق في وقت غزو الحلفاء مايلي: - بقي رومل بعد سقوط افريقية دون عمل وبلا منصب، وكان هتلر يعلق امالا كبار على هذا المشير الشاب الذي كان مليئا بالحيوية والابداع والذي احبه رجاله كثيرا، وكان رومل نفسه يريد ان يكون في الخدمة الفعالة، كما كان يفتش عن فرصة تعوضه عن اندحاره الذي لم يكن يستحقه في افريقية.

وكان المشير (كيسرلنك) القائد العام للجبهة الجنوبية الغربية يقاتل في ايطاليا، وكانت جبهته في ذلك الوقت بعيدة الى الجنوب في الحذاء الطويل[1]، لذلك قرر هتلر ان يعين المشير رومل في هيئة ركن جحفل الجيش (ب) في شمالي ايطاليا، وكان واجبه السيطرة على دفاعات خليجي جنوى والبندقية ضد الانزال في مؤخرة كيسرلنك، وكان مسؤولا ايضا عن احضار التقويات الالمانية الى ايطاليا عبر الالب حتى الحدود، ومن ثم ارسال هذه القوات جنوبا الى جبهة كيسلرنك، وكان عليه بالاضافة الى ذلك ان يشرف على تجريد القوات الايطالية من السلاح بصورة ودية نظرا لخبرته بالايطاليين، ويعيد تنظيم القطعات الايطالية التي تبقى متمسكة باخلاصها للاتحاد، وذلك في حالة انهيار ايطاليا.

لم تلائم هذه الواجبات جنديا مثل رومل، كما كان تقسيم الواجبات في ايطاليا رديئا رداءته في القيادة الغربية، لانه ينبغي حصر المسؤولية بقائد عام واحد لابقائدين عامين، فكان من المنتظر نشوء صعوبات نتيجة للاحتكاك من تضارب المسؤوليات، حتى لو كان لدى المشيرين اصدق النيات الموجودة في العالم. ونتمكن من القول مجازا: بان رومل كان منافسا لكيسلرنك، ولذلك عرض كيسلرنك على هتلر اختيار احدهما وافراده بالقيادة وحده في ايطاليا، فنشأت في هيئة ركن الجيش الالماني فكرة حل هيئة ركن جحفل الجيش (ب)، ولكن هتلر امر بتقوية هذه الهيئة، اذ توقع حدوث قضايا هامة في الجبهة الغربية او في جبهة اخرى، لذلك اراد الاحتفاظ بها في الاحتياط، ولكي يشغل رومل وهيئته الى ان يتسنى له ايجاد منصب ذي مسؤولية خطيرة لهم في محل ما، قرر هتلر ان يسند الى رومل مهمة تفتيش الدفاعات الغربية، فزوده بوصايا لم تستطع القيادة الغربية معرفة ماهيتها بالضبط.

كان الغرض من تعيين رومل مايلي:

أ- تعريفه بذلك القاطع من الجبهة الغربية الذي قد يكون القاطع الحاسم، اي جبهة القتال.

---

(١) تشبه خريطة ايطاليا حذاء طويلا، ويقصد المؤلف بتعبيره: «الى الجنوب في الحذاء الطويل» اي في جنوب ايطاليا.

ب ـ شد ازر تدابير الدفاعات الغربية بالمشير الشاب المتمتع بثقة هتلر التامة والذي له علاقات وثيقة باعضاء الحزب النازي ومنظمة (تود) والوزير (اسبير) وكوبلز. . . وغيرهم، وبذلك يستطيع الحصول على اي شيء منهم.
ج ـ استغلال تجربة رومل في القتال ضد البريطانيين.

كانت هذه النقاط الرئيسية الثلاث في الحق هي جوهر الوصايا الخاصة التي اصدرها هتلر الى رومل، وقد ايد بعدئذ ضباط ركن اقدمون من بطانة هتلر الواجبات الرئيسة في هذه الوصايا، وقد تحدث رئيس اركان الجيش الالماني الفريق (جودل) مع رومل على هدى هذه الخطوط، وكان هتلر بطبيعة الحال قد امر رومل باخبار رونشتد عن نتائج هذا التفتيش.

كان كل هذه التدبير بطبيعة الحال سيء الطالع كالتدبير الذي اقترح سابقا في ايطاليا، فاما ان يبقى هذا القائد العام او ذاك، اذ لايمكن ان يكون مسؤولا الا واحد لا اثنان.

لم تكن هناك اختلافات شخصية بين رونشتد وبين رومل اكثر مما كان بين رؤساء ركنيهما، بل على العكس من ذلك، ولكن لم يكن بالاستطاعة اجتناب قدر هائل من التطاحن، نظرا لتوزيع الواجبات هذا الذي يؤدي الى التداخل بين الشعب الادارية لكلا الهيئتين. لقد صرح رومل مرارا، بانه مرؤوس لرونشتد فقط، كما ان رونشتد بسبب سنه وتقاليده ونشأته بلغ شأوا بعيدا في السمو أعلى كثيرا من ان يعتبر ظهور رومل ماسا به، وعلى العكس من ذلك فكثيرا ما افصح ضمن الدائرة التي الفها والمحيطة به عن تقديره له، كما كان قد فهم بالضبط لماذا كان يبحث المشير الشاب عن فعالية جديدة له.

كان من حق رومل ان يتصل بهتلر مباشرة، لذلك لم يكن بالاستطاعة اجتناب اشتباه الجيوش التي كانت بقيادة رونشتد بأيهما في المسؤولية: رونشتد ام رومل المفتش الخاص!. . . وقد ادى ذلك ايضا الى تطاحن شديد بين شعب الدوائر، اما في تنظيم القيادة فقد اثر ذلك في كلا عنصري القوات المسلحة الالمانية اي الاسطول الجوي الثالث وجحفل البحرية الغربي.

امتد تفتيش رومل لاستحضارات الدفاع على الساحل الغربي حتى الدانمرك، اي انه تجاوز منطقة رونشتد. لقد احاط هتلر مقدما القيادة الغربية علما بالواجبات التمهيدية لرومل المفتش للساحل الغربي.

وصل الفريق (كايتل) الى باريس في تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٤٣) لهذا الغرض بامر من هتلر، وذكر بان يستهدف اجراء تبديل في الاشخاص، وان رومل سيكون بأمرة رونشتد في حالة الاستخدام التعبوي لجحفل الجيش (ب)، كما اوضح كايتل رأي هتلر في رومل وهو: «انه ليس قائدا سوقيا، ولكنه جندي مقدام عملي ماهر في القضايا التعبوية»؛ ومن المفيد ان نذكر هنا بان هتلر كان دائما يشير الى المشير (كلوكا) سيكون خلفا لرونشتد عند مرضه، وقد اخبر رونشتد بذلك مبكرا.

رغب رومل عند وصوله الى الغرب مع رئيس ركنه في ذلك الوقت اللواء (كوز) في

اجراء مباحثات تمهيدية مع رونشتد، وافصح عن رغبته في ان يكون مقره قريبا من الساحل، وبذلك يتسنى له الاتصال الوثيق بالقيادة الغربية، فوافق رونشتد على ذلك، ودبر امر تنقل روميل وهيئة ركنه (مقر جحفل الجيش ب) الى (فونتنبلو).

زود رونشتد روميل في كانون الاول (ديسمبر) عام (١٩٤٣) بوصاياه الخاصة عن الموقف العام في الغرب، وبمقاصد غزو الحلفاء المتوقع، وبالامكانيات الحقيقية للدفاع، وكان جوهر تلك الوصايا مايلي:

يوجد في انكلترا حوالي ستين فرقة كاملة مجهزة تجهيزا كاملا، ومزودة برجال من الدرجة الاولى، وقد اجرت هذه الفرق تمارين في الانزال ولاتزال، اما فرق العدو المدرعة وفرق المظليين فقد خمنت مابين الثمانية الى العشرة فرق، ولاتتيسر معلومات اكثر من هذا عن العدو.. لان استطلاعنا كان من الضعف بحيث لايستطيع الحصول على كثير من المعلومات المفيدة.

على الرغم من هذه الانطباعات، لم يكن مستطاعا حتى ذلك الوقت معرفة مكان الانزال بالضبط، كما لم نتأكد من يوم الانزال، وبما انه شخص جحفل جيشي انكلو امريكي على خط (دوفر ـ بلايموث)، فان الهجوم قد يقع على اي جزء من جبهة القتال.

وكان اسطول الحلفاء الموجود في موانىء انكلترا يبدو مؤلفا من قطع حربية صغيرة، وقد تبين ان السفن الكبيرة كانت في المرافىء الوسطى والشمالية لانكلترا، اذ بالامكان حشدها في اية نقطة، وكانت السيادة الجوية المطلقة بيد الحلفاء، فلم يكن الاسطول الجوي الثالث في موقف يجعله ذا اثر حاسم في القتال، ولكن وعد هذا الاسطول بارسال نجدات جوية مهمة اليه حالما يبدأ الغزو.

قد يكون موعد الغزو يوما من ايام الاشهر بين مايس وايلول (١٩٤٤)، اذ يصبح الجو حينذاك ملائما، وكان ساحل القنال هو المنطقة المهددة، لانه اقرب طريق الى الراين المكشوف غير المدافع عنه، ولان مثل هذا الاندفاع سيؤدي الى بتر منطقة القيادة الغربية بكاملها عن المانيا بضربة واحدة. لم يكن الغزو متوقعا في هولندا، لان ارضها لاتساعد على تنقلات قطعات جسيمة الا قليلا... لاسيما اذا كانت تلك القطعات مزودة بالدبابات، كما كان الساحل محصنا تحصينا قويا... وكانت قنوات كثيرة وانهار واراض مشبعة بالمياه تساعد على تقوية الدفاعات الالمانية.

من دراسة كل ذلك لم يستبعد الانزال في نورماندي، ولو ان ذلك يؤدي الى اطالة وقت الحركات، بالنظر لان الطريق التقربي منها الى المانيا بعيد، ولكنه ليس خطيرا كالطريق التقربي من (كاليه) الى المانيا.

واخيرا لم يستبعد احتمال نزول العدو على كلا جانبي (الهافر)، لاجل الوصول الى باريس مدفوعا بأسباب سياسية ولاجل رد (الاعتبار).

وكان الانزال ممكنا في (بريتاني) ايضا وكذلك جبهة خليج (باسكاي)، ولكنه غير محتمل نظرا لضرورة الاسناد الفوري للقطعات الارضية بناقلات جوية، ولايمكن الحصول من

الانزال في خليج (باسكاي) على نتائج سوقية ذات بال، لطول الطريق منها الى المانيا، وبالعكس من ذلك فقد بقي ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي مهددا، اذ في الامكان مهاجمته من ايطاليا او افريقية او من (سردينية) و (كورسيكا)، لهذا كثيرا ماثار الجدل حول التخلي عن ساحل جنوبي فرنسة ونقل القوات التي تحتله الى المنطقة الوسطى الكائنة حول باريس.

وزود رومل بمعلومات وافية عن القطعات وتجهيزاتها واسلحتها وانشاء التحصينات وغير ذلك، وكان رونشتد اثناء حديثه مع رومل يشير متهكما الى (الجدار الاطلسي)، ناعتا اياه باسم: (جدار الدعاية)، واخيرا علم رومل بعدم تيسر احتياط سوقي مؤثر لاسيما من الدروع وفرق المشاة الجيدة لم تكن هناك مواضع في الخلف، بل كان هناك مجرد خط مؤشر على الخريطة يمتد تقريبا: من (سوم - مارن - ساؤون - الحدود السويسرية)... ونظريا فقط.

انتهت المناقشة مع رومل بتعليق رونشتد المختصر المفيد: «تبدو الامور قائمة»!

كان تأثر رومل واضحا، ولكنه كان قوي الامل في سرعة معالجة الموقف، بتأثيره العظيم على هتلر وعلى من يليه من رجالات الرايخ، وقد ذكر رومل في المانيا بصورة خاصة خلال دعايات (كوبلز)، وكثيرا ما كان اسمه يظهر في نشرات الاخبار الاسبوعية.

والحقيقة ان المفتش العام وقف نفسه على واجبه بحماسة عظيمة، فقد ارتاد دون ملل كل قسم من الجبهة الساحلية، متنقلا من جيش الى جيش ومن فيلق الى فيلق من فرقة الى فرقة، وبذل جهده في انجاز وصايا هتلر في تقوية التدابير الدفاعية؛ ولكنه لم يكن يستطيع اصدار اوامره الى الجيوش، لانه كان اولا وقبل كل شيء مفتش الفوهرر ليس الا، وبطبيعة الحال حدثت ملاحاة عنيفة بين المفتش وبين القادة العامين الذين كانوا بأمرة رونشتد، فأدى ذلك الى التجافي بين القادة التابعين للقيادة الغربية وبين رومل، مما حدا برونشتد الشهم ابدا الى ان يقترح على هتلر تبديل الموقف.

لم يكن هناك احتمال اكتفاء رومل بواجبه الحالي، لانه كان بسبب (لا نافخا ولا ضارما[1])، لذلك قدم رونشتد الى هتلر المقترحات التالية نزولا عند رغبة رومل: ضم رومل وهيئة ركن جحفل الجيش (ب) الى منظومة الدفاع، وجعله مسؤولا عما يلي:

أ - القيادة التي تشمل قاطع الدفاع في الاراضي المنخفضة، اي في ساحل هولندا.

ب - الجيش الخامس عشر بين اوستند وغرب الهافر ومصب اللوار، اي يشمل شبه جزيرة نورماندي وشبه جزيرة بريتاني، لذلك كان لرومل اخطر قاطع اي قاطع القنال وشبها الجزيرتين المذكورتين. والان اصبح (رومل) هو المسؤول عن هذه المنطقة، يتمكن من اصدار اوامره في منطقته بصفته قائدا عاما لها.

---

(١) مثل عربي سائر، معناه: لا في العير ولا في النفير، اي انه ليس في منصب مؤثر له قيادة معينة وواجب معين، ذو اثر حاسم على سير الحرب في الجبهة الغربية الالمانية.

شمال

لندن

١٥

باريس

روميل

فرنسا

١٩

ليون

الفريق بلاسكوفيتس

١

سويسرا

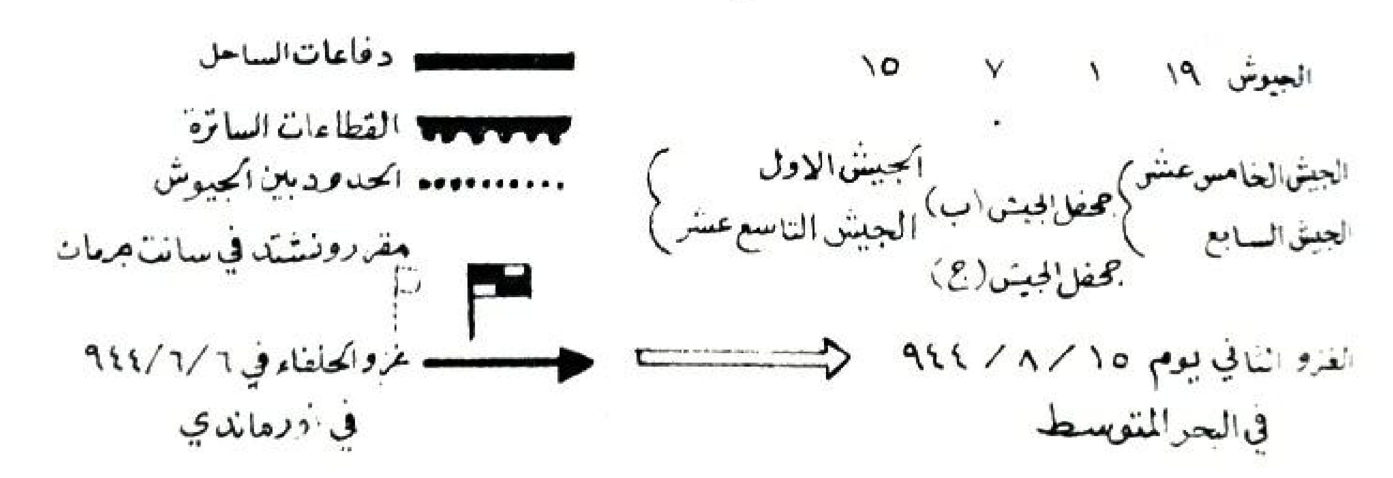
ايطاليا

جبال البرنس

اسبانيا

برشلونة

منطقة المشير روندشتد (القيادة الغربية)
قبل الغزو مباشرة



كان جحفل الجيش (جـ) متصلا بقيادة الفريق (بلاسكوويتس) وبأمرته مايلي: -
أ - الجيش الاول من مصب اللوار الى (بيرتيس) اي جبهة خليج باسكاي.
ب - القطعات الساترة على السفوح الشمالية للبرانيس.
ج - الجيش التاسع عشر في البحر الابيض المتوسط من (فندرس) الى (منتون).
د - القطعات الساترة في الالب بين (منتون) و (مونت بلانك).
وهكذا كان بامرة رونشتد باعتباره قائدا عاما في الغرب مايلي: -
أ - جحفل الجيش (ب) بقيادة رومل.
ب - جحفل الجيش (ج) بقيادة بلاسكوويتس.

وفضلا عن ذلك يتعاون مع الاسطول البحري الثالث وجحفل البحرية الغربي وكلا القائدين العسكريين، وبعد استفسارات اخرى لهتلر وافق على اسس اقتراح رونشتد هذا، واصدر اوامره اللازمة حول ذلك، ولو ان نظام جحفل الجيش (جـ) لم يأخذ شكله هذا الا مؤخرا. لقد احدث هتلر بالطبع تغييرا ولكنه كان تغييرا ظاهريا فقط، وفي جنوبي فرنسة كان من المحتمل ان يقر بلاسكوويتش في قيادة جحفل الجيش (جـ)، ولكنه لم يفعل! وذلك لاسباب شخصية فقط، اذ ان بلاسكوويتس كان جنديا متميزا، ولكنه كان غير محبوب من هتلر كثيرا، فوصل الى منصب قائد جحفل جيش فقط، ولربما لم يرغب هتلر في ان يجعله ندا لرومل، على كل نشأت الان علاقات واضحة بين رونشتد ورومل، اذ كان لكل منهما واجب معلوم مسؤول عن انجازه، ولكن بقيت بعض المشاحنات في الايام الاولى، لان رومل كان لايزال مفتشا لجميع السواحل، وبهذا كان له الحق ان يشرف على جبهة جيوش بلاسكوويتش من الناحية الدفاعية، ولكن هذا الحق ذهب من تلقاء نفسه ايضا، لانه اصبح مشغولا بتقوية قاطعه الخاص.

جرت في باريس في مستهل سنة (١٩٤٤) تمارين عن التموين، حضرها مدير الميرة في الجيش، وكان الاساس السوقي في التمرين من عمل رئيس شعبة حركات القيادة الغربية الفريق القدير (زمرمان) الذي اشرنا اليه سابقا.

كانت الاسس التي بنيت عليها التمارين مشابهة للحقيقة الى حد بعيد، وقد مثلت الموقف كما كان ابان الغزو تمثيلا قريبا جدا من الواقع، فقد فرض قيام الحلفاء بانزال قوى من الجو في (نورماندي) وانزال على الساحل الشمالي في (كونتنتين).

ظهر قلق هتلر عن الغرب لاسيما بعد مذكرة رونشتد المسهبة التي قدمها اليه في تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٣)، فأرسل رئيس اركان الجيش الالماني الفريق (جودل) الى الغرب، ولم يكن هذا شيئا اعتياديا، لان هتلر كان لا يرغب في ابتعاد اعضاء بطانته عنه الا في حالة الضرورة القصوى.

كان على (جودل) ان يفتش ساحل القنال اي الجيش الخامس عشر، وجيش اللواء بارون فون (بتلر) وهو الجيش السابع (نورماندي) و (بريتاني) واللواء (ويرلي مونت) في الساحل الجنوبي، واخبار هتلر بموقفهم.

قام (جودل) باخبار رونشتد بموقف الجيوش، فانتهز رونشتد الفرصة ليعبر عن رأيه الصريح لرئيس اركان الجيش الالماني عن الموقف العام وعن اساليب القيادة العليا. انه يمكن القول بصورة موجزة: ان هناك رأيين متعارضان يسودان في الغرب:

أ- يرى رونشتد ورئيس هيئة ركنه ورئيس شعبة الحركات، انه يتعذر الاحتفاظ بالساحل نفسه على جبهة الفين وخمسمائة ميل بوجود قوات ضعيفة، اذ يتمكن العدو من النجاح بتحشيد منابعه القوية لاختراق اي نقطة من دفاعات الساحل الرديئة العديمة المرونة، والنتيجة ان الفرق تستطيع اعاقة انزال العدو وتأخيره بلا شك، ولكن ينبغي ان يصبح الدفاع في الغرب من بعد ذلك سيارا، اي يصبح دفاعا سوقيا، لذلك من الضروري وجود احتياط مركزي كبير حول باريس وهو ما اشير اليه مرارا، ومن الضروري وصول النجدات الجوية الموعودة.

ب- يرى رومل على ضوء تجاربه في افريقية وايطاليا، ان الامر ينحصر في الاحتفاظ بالساحل، ولهذا الغرض يرى وضع جميع الفرق بما في ضمنها الفرق المدرعة في الجبهة الساحلية او وراءها مباشرة.

لقد كانت عقيدة رونشتد سوقية. اما عقيدة رومل فكانت تعبوية.

لقد كان على رونشتد باعتباره قائدا عاما، ان يضع نصب عينيه انه مسؤول عن جميع الجبهات، بينما كان بامكان رومل ان يتفرغ للقسم الخاص به من القيادة الغربية. لقد كان مفهوما بان رومل ينبغي ان يكون مهتما بقاطعه الوحيد من القنال فقط، بينما كان على رونشتد ان يكافح الغزو الذي قد يحدث على خليج باسكاي او سواحل البحر الابيض المتوسط، فما العمل حينذاك؟؟

عندئذ قد تكون جميع فرق المشاة الصالحة للخدمة وجميع الفرق المدرعة مشتبكة على الساحل او على مسافة قريبة خلف الساحل، بحيث يتعذر سحبها الابصعوبة وتحت تأثير نيران العدو، فماهي الوسائط التي كانت لدى رونشتد لصد هجمات اخرى في منطقته الواسعة؟ كان لرومل على كل حال اسباب قوية لايجادل فيها عاقل، ولكن رونشتد كان له مثل ذلك؛ فكان هناك رأيان متضاربين ومسؤولية ثنائية مزدوجة في آن واحد؛ ولو كان رومل قائدا عاما في الغرب مسؤولا عن المنطقة بكاملها، لاحتفظ بلاشك ببضع فرق مدرعة جاهزة على بعد مناسب في الخلف حول باريس، حتى يتمكن من استخدامها في جبهاته الاخرى التي تمتد الى الفين وخمسمائة ميل. جرت مناقشات اكاديمية كثيرة حول ذلك، وستجري حولها مناقشات اخرى ايضا. ولكنها في الحقيقة بسيطة جدا، فلو كان يعرف بالضبط في اي قاطع سيجري الانزال، فان جميع القوات حينئذ توضع هناك سلفا بهدوء، كما يمكن ايضا دفعها الى الامام حتى الجبهة الساحلية، لكن اذا لم يكن معروفا اين سينزل العدو بالضبط، واذا لم يكن هناك ضمانة بانه سيصل الى تلك الجبهة فحسب وليس الى جبهة اخرى، فحينئذ لاتجرأ القيادة العليا على ربط قواتها في جبهة واحدة. لقد وضع جودل هذين الرأيين المتناقضين امام هتلر.

حصل انطباع خاص عند مبعوثي هتلر بوجهات نظر اللواء (ماركس) الذي كان يشغل منصب قيادة (نورماندي) والذي كان رجلا معروفا في الجيش بقابليته، فقد صرح دون تمويه بانه بالفرقتين والنصف التي بقيادته لا يستطيع القيام بواجب الدفاع عن الساحل بل حتى ولا بواجب التعويق، واذا ضوعفت قطعاته فلن تكون جبهة الساحل غير ستار رقيق يمكن اختراقه من اي نقطة في وقت قصير! لقد اصبح جودل مقتنعا بان من المتعذر الاحتفاظ بالساحل بمثل هذه القوات القليلة التي تحتل خطا دفاعيا رقيقا، واتفق مع وجهة نظر رونشتد بضرورة وجود احتياط قوي من الفرق المدرعة حول منطقة باريس.

وافق هتلر بصورة عامة على تقارير رئيس اركان جيشه، وتمسك تمسكا شديدا بالدفاع الفوري عن الساحل حسب فكرة روميل، ولكنه وافق على تشكيل احتياطات القيادة الغربية حول باريس على ان تؤلف هذه الاحتياطات من فرق مدرعة كانت في الشرق، وتحتاج الى اعادة التنظيم، اذ لم يعد في الامكان تأمين فرق جديدة ، وبالاضافة الى ذلك اصدر اوامره بوضع هذه الاحتياطات تحت سيطرته ايضا، وكان ذلك شرطا مشؤوما كما سيتضح اخيرا.

كان هتلر معروفا بميله الى المبالغة في تقدير قيمة المنظومات الدفاعية والتحصينات التي اشرنا اليها سابقا، وقد اقتنع او تخيل بان خطا ازرق على طوار الساحل يحتوي على عدد من التحصينات وكثير من الحيل الفنية يؤدي الى اغلاق الساحل بوجه المهاجم اغلاقا محكما، فقد كان يمعن النظر بخرائط موقف بديعة على منضدة الخرائط، تبعد عن الحقيقة مسافة ستمائة ميل!! لقد كان لهذه الخرائط اثرها في تهدئة اعصاب اولئك الذين يتميزون بالطبيعة العصبية، وربما بوغت هؤلاء مباغتة غير سارة، لو تهيأ لهم مشاهدة حقيقة مقدار ضعف وفقر هذه الحاميات في مناطقها. لقد كان هتلر يحلم بابعاد النكبة عن المانيا بمجرد الدفاع، وذلك لثقته بالحديد والترابة /السمنت)، ولتزايد قلقة من تعرض الحلفاء الذين كانوا يستحضرون له، وقلقه على جميع الجبهات في الشرق والغرب والجنوب.

بدأ هتلر يتذبذب بآرائه ثانية نتيجة لقوة تأثير روميل عليه، ومن الضروري ايضاح ان هتلر لم يكن ابدا ذا ارادة قوية كما كان يتظاهر، فقد كان رونشتد والذين يعرفون هتلر معرفة حقة، يعلمون بانه متردد يسهل التأثير عليه من اي شخص يعرف الطريقة النفسية المناسبة له، وكثيرا ما بذل في الشرق الفريق هلدر رئيس اركان الجيش اقصى جهوده لاقناعه بشيء ما، فاذا به يصدر فجأة اوامر مغايرة؛ وهذا معناه ان شخصا اخر قد تقدم باقتراح اخر، فآثر الفوهرر اقتراحه.

اعتاد روميل الاتصال بهتلر هاتفيا كل يوم تقريبا، اما رونشتد فلم يكن يفعل ذلك مطلقا، وفي الامكان عند الوقوف عن كثب من روميل حينما يحاور هتلر، ان يلمس حرارة الحديث بينهما، اذ كان كل منهما يوقد حماسة صاحبه، فضلا عن ذلك كانا يتكلمان ساعة حول المخترعات الفنية التي كان روميل يحبها حب هتلر اياها.

لم يخفق تأثير روميل القوي المستديم في احداث انطباع على هتلر، وكان هذا هو السبب

الذي حدا بكوبلز وهملر وسبير والشخصيات البارزة الى رعاية رومل واقناع هتلر باتباع مقترحاته!!

وما من شك في ان رومل المندفع قد تمكن بتأثير ايمانه الذاتي وبمساعدة قادة الحزب البارزين من ان ينقل هتلر الى اتجاه قريب من اتجاه تفكيره، فنتج عن ذلك التخلي قبيل الغزو عن جهاز الدفاع الغربي كله ـ ذلك الجهاز الذي كان قد استنفذ مدة طويلة في اعداده وفقا لمبادىء اساسية، ولكن ينبغي ان نؤكد هنا بان الخصام والتطاحن بسبب هذه الحقائق، لم ينل من العلاقات الشخصية القائمة بين المشيرين: رونشتد ورومل.



المشيرفون رونشتد (في اليمين) وعلى يمينه المشير رومل قائد جحفل الجيش (ب) «اخذ التصوير في ربيع ١٩٤٤»

كان رومل معتدا برأيه، وكان وثيق الصلة كثيرا بهتلر ومعولا على هذه الصلة، ولكنه جعل نفسه مرؤوسا لرونشتد طوعا وهو منشرح الصدر، فكانت علاقتهما ودية، كان هذا ينطبق ايضا على رئيس هيئة ركن رومل الجديد الفريق الدكتور (سبيدل) الذي خلف اللواء (كوز) في ربيع (١٩٤٤).

كان (سبيدل) ضابط ركن فطنا للغاية، وكان له ذكاء فطري في تلطيف جو الخصام الذي كان من المنتظر نشوبه بين هيئتي ركن رونشتد ورومل.

كان كل من رئيسي هيئتي الركن للقيادة الغربية وجحفل الجيش (ب) عرف صاحبه منذ سنة (١٩٢٠) وعملا معا منسجمين، وقد وضعا نصب اعينهما بالطبع قائديهما العامين، كما اعتبر ان من واجبهما التدخل كلما ظهر سوء تفاهم بين هيئتي ركن المشيرين.

كان رونشتد في شباط (١٩٤٤) مجازا في (بادتويلز) من اعمال بافاريا، وكان وكيله بطبيعة الحال الضابط الذي يليه في القدم وهو المشير (سبيدل) قائد الاسطول الجوي الثالث؛ وقد طلب الى المشير (رومل) وقتئذ تفتيش دفاعات ساحل (بريتاني) معه، فسنحت لي بذلك فرصة مؤاتية لمعرفة رومل معرفة دقيقة. استمرت الجولة حوالي ثلاثة ايام وامتدت من (سنت نازير) خلال (اللورين) و (بريست) الى (سنت بريوس)، ومن ثم الى قيادة الجيش السابع في (ريمس) الذي كان يشغل هذه المنطقة الفريق (دولمان). كان رومل ينهض مبكرا ويبدأ يومه حوالي الساعة الثامنة، وكان يشرف دون كلل او ملل على القطعات ويستجوب آمريها ويطلب اراءته جهاز الدفاع، وكان يبدي انتقادات حادة عندما يجد الامور لاتتفق ورغباته، وكان الملاحظ ان آمري الوحدات كانوا وجلين من رومل، وكانوا يتنفسون الصعداء ساعة يغادرهم، وكانت تسبق زياراته همسات تندر!.. كان لرومل اهتمام خاص بالمهندسين، واعتاد ان يصرح فرحا بان درس الهندسة كان يستهويه اكثر من كل شيء عندما كان تلميذا في الكلية العسكرية، وكان يستصحب دائما في جولاته التفتيشية قائدا هندسة جحفل الجيش (ب) اللواء الدكتور (ميز) بالاضافة الى مستشاره البحري اللواء البحري (رانج)، وكان من اليسير علي باعتباري محايدا ان الحظ مقدار مايستنفذ رومل من جهده للاساليب الفنية في الدفاع. كان اهم مايشغله ليلا ونهارا في ذلك الوقت ثلاث مشاكل:

١ ـ حقول الالغام: لم يكن يستطيع الحصول على مايكفي من الالغام وكان يطلب الملايين منها لزرع حقول واسعة، وقد جعل المعامل الفرنسية تشتغل لانتاجها بعد اخفاقه في الحصول على عدد كاف منها من المانيا. كان خياله الخصيب يمده دائما بافكار جديدة، وهكذا اراد اخفاء حقول الالغام هذه تحت شجيرات العوسج، وكانت تخطر على باله اكثر الاساليب دهاء وحيلة عندما تزرع حقول الالغام الكاذبة لاجل التضليل.

٢ ـ كان الاسم الفكاهي الذي اطلقته القطعات على هذه الغابات الكبرى من الاوتاد التي اقامها هو: (فاكهة رومل المفضلة)، وكان الغرض من هذه الاوتاد اعاقة هبوط العدو من الجو في المناطق المهددة، فراودته فكرة تقوية هذه المناطق بجذوع الاشجار التي يتراوح

ارتفاعها بين العشرة والخمس عشرة قدما مؤملا انها ستعيق الطيارات من الهبوط، فزرعت صناعيا (بوقار) اعداد لاتحصى من الاشجار، وذلك بغرزها في الارض، وعزم على استدعاء السكان الذكور ليقوموا بهذا العمل، واذاع بانه سيطعم العمال ويمنح الاجور للمتطوعين، فهرعوا! وهكذا برزت صورة تستحق الملاحظة: هي قيام القطعات الالمانية والمتطوعين الفرنسيين للعمل معا بهمة عالية لزرع هذه الاشجار.

٣ـ كان اهتمامه الخاص منصرفا الى الموانع في الساحل الامامي، وقد اراد بهذه الموانع عرقلة انزال زوارق العدو على السواحل، لذلك كان يغرس خلال ساعات الجزر خطوطا كاملة من الاوتاد العريضة، فيكون منها حواجز ذات رؤوس مدببة. كان هذا عملا شاقا اذ كثيرا ما قلعت زوبعة ما المجموعة بكاملها وجرفت الاوتاد المخلوعة الى البر، ولكن هذه الموانع البسيطة لم تشبع رغبة المشير الالمعي، فقد خطرت بباله فكرة تزويد كل وتد منها بلغم يثبت في قمة قبعة له. من الممكن ان نتصور مقدار الجهود الجبارة التي كان على القطعات ان تبذلها لاجل تجهيز هذه الجبهة الواسعة بكل هذه الموانع، وبطبيعة الحال كان الوقت والجهد والمواد غير كافية لتقوية جميع الجبهات، لذلك اقتضى الاكتفاء بتحسين اكثر القواطع تعرضا للتهديد، وكان رومل ينزعج كثيرا اذا لم تبذل الوحدات ـ حسب رأيه ـ جهدا كافيا في العمل، ولم يكن ليسمح بأي عذر!!

كان من الممتع عندما يتوقف رومل في وقت متأخر من المساء في محل ما لقضاء ليلته هناك، وكان يختار عادة في مثل هذه المناسبات مركز استراحة للجنود، حيث يستطيع ازجاء التحية لممرضات الصليب الاحمر. لم يكن رومل يدخن، وكان يأكل ويشرب قليلا؛ وحينما كانت هيئة ركنه الجوالة تتجمع في المساء حول مائدة العشاء، كان هناك شعور صادق بان رومل بعيد جدا بأفكاره عنهم: كان عقله يبحث بصورة مستمرة عن افكار جديدة... فلم يكن ليهتم بالمناظر الطبيعية ولا بالابنية التاريخية. لقد كان جنديا فقط.. وكثيرا ما كان يخرج قلما وورقة اثناء وجبة الطعام، فيخطط عليها بعض الافكار الفنية الجديدة ومن ثم يسلمها لقائد هندسته ملتمسا منه ابداء آرائه حولها في الصباح التالي قبل البدء بالعمل، وكثيرا ماكان يدفع رجال الهندسة والمدفعية البحرية الى العمل لمعاونة القطعات الاخرى، كما كان يطلب منهم دائما مقترحات جديدة.

كان يذهب الى الفراش مبكرا جدا، وذلك ليتمكن من البدء بعمل جديد منتعشا في الصباح، وكان معتاد على استصحاب اثنين من المخبرين للصحافة كانا يلتقطان التصاوير له في كل فرصة ممكنة وينشران في الصحف: رومل على الساحل. وغيرها.... وغيرها....

ينبغي بلا شك ان نسلم بان رومل لم يكن مشوقا وشجاعا وفعالا ومليئا بالافكار فحسب، ولكنه كان ايضا ذا موهبة في التصور، وكان قد عزم على اغراق قطعات واسعة من الارض خلف الجيش الخامس عشر، ولكن رونشتد رفض هذه الفكرة، لانه لم يدخل

فيها حساب الاهلين الفرنسيين هناك، ومع ذلك كانت هذه الفكرة صحيحة من الناحية التعبوية، وحينما اوشك اليوم الاخير من هذه الجولة ان يبلغ نهايته في (دنيس)، بدأنا منها بسفرة اياب مثيرة خلال (المانس) الى باريس، وكان قد سمح لبطانته بالمسير امامه وبقي يسوق سيارته خلفهم بصحبتي فقط، فانتهز رومل هذه الفرصة لكي يفتح قلبه على مصراعيه.

بدأ بحديث متصل منذ مغادرتنا (دنيس)، وكان حديثه يدور بصورة رئيسية عن الحرب في شمالي افريقية، فعدد انتقادات مرة لعدد من الشخصيات ذوي المناصب الرفيعة التي لن نتطرق اليها بشيء خاص، وقد وصف الصعوبات العظمى التي لاقاها في قيادته الافريقية والتي كانت نتيجة لرداءة التنظيم بشكل لايصدقها العقل لاولئك الذين كانوا في القمة. كانت الاوامر تصدر اليه عن هتلر وموسليني ومقر الجيش الالماني، بل وحتى القيادة العليا في روما اصدرت اوامرها اليه، كما فعل ايضا مشير الرايخ كورنك، فكيف يتسنى لرجل مثل رومل ان يقود في ظروف يتدخل فيها مثل هذا العدد الكبير من الافراد والسلطات؟

لقد كانت الاحوال شبيهة للغاية بما حدث في الغرب، كما سبق ذكره، كما كان رونشتد ايضا قد تعذر عليه اتخاذ التدابير المناسبة لسبب وجود التحديدات الكثيرة التي تشل حريته في القيادة.

لقد انتفع الجيش البريطاني حينما اضطر الى الانسحاب الى الحدود المصرية بعد قتال مرير، اذ اصبحت نقاط تموينه المكينة وقواعده خلفه مباشرة على قناة السويس، ولكن رومل من الجهة الثانية تحطم قلبه حينما لم يعد بالامكان تزويده بالتموين الضروري له على خطوط المواصلات الطويلة. لقد كان لديه حوالي الثمانين من الطائرات المقاتلة الخفيفة (الجيكر) الصالحة للخدمة وشيء قليل من الوقود والعتاد، وكان عدد دروعه قد نقص الى درجة خطيرة، وكانت مواد التموين تنقطع على الطريق البحري وعلى طوار الساحل بتأثير القوتين البحرية والجوية البريطانيتين، وكان المحور قد فقد كلا السيادتين البحرية والجوية في البحر الابيض المتوسط، وقد غرق كثير من السفن الالمانية التي كانت محملة بالعتاد والتقويات والوقود. لقد رفع رومل تقارير مبكرة حول هذه الاخطار الى هتلر اكثر من مرة، ولكن لم يحدث شيء! وعلى كل حال لم يحدث شيء مناسب.. لان القوات كانت غير متيسرة، وفضلا عن ذلك لم يعد بالامكان وصول وسائط النقل الجوية الى الحدود المصرية.

لذلك طار رومل الى هتلر ليعرض عليه شخصيا جميع مشاكله، وقد قص علي المشير الشاب بكلمات مرة خلال هذه السفرة الليلية، كيف ان مقر الجيش الالماني استقبله بتحفظ عظيم قبل كل شيء، لعدم تمتعه بالنصر حينذاك، وقد اوضح رومل بحرية اسباب غيظه من بطانة هتلر، ولكن الفوهرر دعاه بعد الظهر لتناول الشاي واظهر رثاءه الشديد لموقف رومل العصيب، فأصبحت نتيجة لذلك بطانة هتلر اكثر توددا اليه مرة اخرى، كما هي الحالة دائما فيما يظهر - ليس بين رجال الجيش فحسب.

لم يتطرق رومل في هذه الليلة من شهر شباط شيء ضد هتلر شخصيا، بل كان الامر

على العكس من ذلك، ولكنه عبر بكلمات مرة حقا ضد نظامه بكامله، وقد اقتصر خلال ذلك في تقدير الموقف العسكري البحت، وبدا ان الناحية السياسية لاتحظى باهتمامه، وعبر عن امله في ان يمنحه الحلفاء الوقت حتى حلول مايس، واختتم افكاره هذه بالكلمات التالية: «بعد هذا يمكنهم ان يأتوا». وقد عنى بذلك انه سيكون قد اتم حينذاك تقوية دفاعات الساحل بصورة كافية، كما اوضح ايضا: لماذا كان يريد ان تكون الفرق المدرعة قريبة من الساحل. لقد اتيح له ان يخبر اسلوب عمل القوة البريطانية الجوية في افريقية، فكان مقتنعا من ان الدروع في مثل هذا الموقف لن يتسنى تحريكها ليلا او نهارا لانها ستهاجم من الجو مباشرة.

ليس من شك في ان هذا سبب مغر، غير انه في هذه الحالة يغدو ضروريا معرفة مكان انزال العدو بالضبط، اذ بدون معرفة ذلك قد توضع الفرق المدرعة في مواضع مغلوطة، وعندئذ ايضا لن يتسنى تحريكها، وبالاضافة الى ماتقدم ولان العدو سيغمر التحصينات بالقصف الجوي حتما، فقد بدا لرونشتد مايستوجب التفكير في ان الفرق المدرعة ستكون اكثر تعرضا لهذه النيران في حالة قريبة من الساحل مما لو كانت على مسافة ابعد الى الخلف.

لقد كان لكلا الرأيين ما يسوغهما، لاسيما وان فكرة رونشتد السوقية السيارة كانت مبنية على الوعد بنقل تشكيلات جوية قوية الى الغرب حالما يبدأ الغزو، لذا لم يبق الا ان نأسف من عدم اقرار هتلر ايا من هذين الرأيين بصورة كاملة، ولكنه عمد الى حل وسط بينهما، بموجبه وضع عددا من الفرق المدرعة بامرة رومل، ولكنه لم يضع اي احتياط بامرة القيادة الغربية، كما احتفظ بأمرته بفرقتين مدرعتين جيدتين في غرب باريس، لذلك كان على رونشتد الا يستخدمها قبل ان يلتمس الموافقة على ذلك من هتلر!!

تطرق رومل ايضا خلال هذه السفرة الليلية الى الجانب الانساني من حياته، فقال: ان رغبته العظمى بعد الحرب تتركز في انشاء حدائق فاكهة وخضر كبرى في بيته داخل بيوت زجاجية وخشبية، لانه اعجب بمثل ذلك في هولندا. وهنا يتفق ذوقا رونشتد ورومل، فان كليهما كا تواقا الى الحدائق والحيوانات، وكان رونشتد ماهرا جدا في وضع تصاميم حدائق الفاكهة والخضر، وكان ينزعج حينما يشاهد حديقته مهملة.

انهمك رومل خلال الساعات الطويلة لهذه السفرة في التحدث عن نفسه مغرقا، فوجدنا انفسنا فجأة في ضواحي باريس. وكان رومل يساكن هيئة ركنه (هيئة ركن جحفل الجيش ب) في (لاروش ـ كويون)، لذلك كنا قد تجاوزنا هدفنا مسافة بعيدة، ومن الجهة الثانية كنت انا ساكنا في فندق جورج الخامس في باريس. لقد استمتعت خلال هذه الساعات بالتعرف الى رومل الانسان، وبسماع شكواه ولوعته لاخفاق الحرب في افريقية، دون ان يكون الاخفاق بسبب اخطائه، وعلى كل يمكن الوصول الى استنتاج يختلف تماما لو نظر المرء نظرة شاملة.

لايمكن ان يرتاب احد بما كان يتحلى به رومل من مستوى رفيع في الابداع وفي الدأب على العمل وفي عقليته الخلاقة!...

ولكن الموقف السياسي والعسكري ومنابع البشر لالمانيا في سنة (١٩٤٤) كانت قد وصلت حدا بالغا من التردي، فلم تعد الالغام والاوتاد وحقول الموانع ذات تأثير حاسم على الغزو. لقد جعلت هذه الحقائق الراهنة مضافا اليها رأي هتلر اليائس عن كفاءة القيادة في النجاح في الدفاع عن جبهة تمتد الفين وخمسمائة ميل مستحيلا، ولم يعد استخدام اشد الاختراعات ابداعا بالاضافة الى الوسائط الاخرى المتيسرة مجديا في تغيير هذه الحقيقة.

نجح الغزو يوم ٦ حزيران (١٩٤٤) دون ان تحد الموانع المذكورة من اندفاعه، وربما كانت معلومات الحلفاء المستقاة من استطلاعات التصاوير الجوية على البحر والساحل ومن خدمة الاستخبارات غير واثقة في البداية من حقيقة الموانع المقامة على الساحل، ولكن سرعان ما انكشفت انها كانت وسائط لاتقوى على المقاومة الحاسمة، وهذه هي محنة كل مدافع عن جبهة واسعة، لاسيما عندما تكون منابع الرجال والمواد قليلة.

وكان مقر القيادة الغربية خلال اشهر الشتاء يحل فندق جور الخامس في باريس كما نتذكر، ولكنه نقل في الربيع الى سانت جرمان، وكان ذلك بسبب قلة الفحم، لان التدفئة في فنادق باريس تكلف اقل مما تكلفه في بيوت سانت جرمان المنعزلة، كان رونشتد يساكن رئيس هيئة ركنه ومساعده الشخصي في بيت ريفي ذي حديقة في سانت جرمان، وكان هذا السكن يتفق وهوى رونشتد في حبه الخاص للحدائق، فكان يحادث البستاني الفرنسي العجوز طويلا.

غير انه لم يكن في سنة (١٩٤٣) في هذا البيت ملجأ ضد الغارات الجوية، فكان بامكان اي قنبلة صغيرة تدمير البيت كله، ولو زرت هذه الدار في سنة (١٩٤٣) لوجدتها خلوا من ملجأ للحماية ضد الغارات الجوية وبدون سياج يمنع اقتحامها، كما لم تكن محروسة. لم يكن رونشتد يريد كل ذلك، وكان يتجول مدة ساعة او ساعتين صباحا خلال سانت جرمان وفي حديقة المدينة، دون ان يحمل اي سلاح او يرافقه احد غير مساعده.

لقد حبطت محاولة محققين[1] المانيين لمراقبته عن كثب دون علمه، اذ سرعان ما لاحظ رونشتد بانهما يعقبانه عن بعد، فاشار اليهما متفكها: بانهما متسكعان، ومن ثم دخل في ممرات حديقة سانت جرمان واختفى فجأة في منعطف الغابة، وكان سروره عظيما جدا عندما لم يعد بامكان مراقبيه ان يقتفيا اثره.

وكثيرا ما ادت هذه المسيرات الى حوادث مسلية: كان المشير قد اعتاد التزود بقطع من الحلويات لتوزيعها على الاطفال، لانهم كانوا يعرفون ذلك جيدا لانتظام مواعيد هذه المسيرات، وكثيرا ما كان يصادف فيها العمدة الذي كان قد تعرف اليه او يصادف قسيسا من الدير، ولربما صادف ضابطا فرنسيا يرتدي الملابس المدنية، وكان رونشتد معتادا على ان يتنحى على الرصيف ليوسع لغيره، ولكن كثيرا مايتنحى الشخص المقابل فيؤدي ذلك

---

(١) المحقق: رجل الامن، اي رجل المباحث، اي رجل الاستخبارات.

الى اصطدامهما في عرض الطريق!

وسمع هتلر من بعد ذلك، بان القائد العام في الغرب ليست لديه حماية ضد الجو من اي نوع كان. لقد كان في سانت جرمان بضعة مدافع مضادة للجو من العيار الصغير فقط والتي كانت يستخدمها مؤقت حرس المقر من المشاة. تناقل سكان سان جرمان الجملة التالية: «ان المشير فون رونشتد هو افضل حماية لنا ضد الجو»، فلم يكن يسمح بانشاء اي بناء في (الفيلا) وحتى في الحدائق قائلا: «سيان الموت في الملجأ والموت في الفراش»، ولكن هتلر كان يرى غير ذلك، فاستلمت امرا بان اعد ملجأ مناسبا، ولكن لما كان هتلر يعلم رفض المشير لذلك، كلف منظمة (تود) بانشاء الملجأ واخباره بعد انجازه، فاقتضى الان حسن التصرف للتوفيق بين الوجهيتن.

وحينما غادرنا رونشتد الى (بادتوليز) مجازا في سنة (١٩٤٣)، كان كل شيء مهيئا للبدء بانشاء ملجأ وقتي في الطابق الاسفل من (الفيلا) فورا، وعندما انتهت اجازته كان الملجأ الذي اعد في الطابق الاسفل جاهزا، ولكن ذلك لم يكن كافيا على رأي هتلر، فامر بانشاء مانعة في الحديقة يمكن ايصالها بنفق مع مسكن رونشتد، فاقتضى ثانية انتهاز فرصة ذهاب رونشتد باجازة لانشاء ذلك، وكان الاهتمام الرئيسي منصرفا الى تجنب مس الحديقة (المقدسة[1]) باقل ضرر ممكن.

لقد امكن النجاح في هذا، وشكرا للعناية الشديدة التي بذلها المهندسون والعمال، لانه كان مفهوما بان رونشتد سيزعجه اشد الازعاج تخريب الاشجار وباحات الحديقة، بالاضافة الى انه لم يكن من عشاق الترابة (السمنت)، غير انه دمرت حافة وشيع، فسمعت رثاء واضحا لها لما اجتازها القائد العام.

كانت الامور تختلف بطبيعة الحال بالنسبة لشعبة حركات القيادة الغربية، فقد كان ينبغي ان يتقوا بحماية قوية من الترابة (السمنت) مزودين بجهاز معقد من الهواتف والاجهزة اللاسلكية والبرق، ليكونوا قادرين على العمل باستمرار عندما تبلغ الامور حدا خطيرا، ولذلك شيدت منظمة (تود) منعة كبيرة لهذه الهيئة العاملة على مسافة ثلثمائة ياردة من (الفيلا)، ولم يكن لبقية شعب المقر ملجأ ضد الجو في مساكنها طيلة المدة التي مكثوا فيها في سانت جرمان (حتى منتصف شهر اب ١٩٤٤).

---

(١) المقدسة عند رونشتد طبعا، لانه كان يحب الحدائق حبا جما كما مر بنا.

الفصل الثاني عشر

كفاح الدروع

اراد رومل ان تكون الفرق المدرعة في الخلف اقرب ما تكون من الساحل، ولكن رونشتد اراد ان يكون موضعها ابعد من ذلك الى الخلف باعتبارها احتياطا لجبهة القيادة الغربية بكاملها، وقد شارك رونشتد في رأيه كل من مفتش القطعات المدرعة العام الفريق (كودريان) وقائد القطعات المدرعة في الغرب فون (جوين بيرك) واوصيا مثله بتهيئة احتياط قوي للقيادة الغربية حول باريس.

مال هتلر مرة اخرى الى رأي رومل. وقد رأينا ان كلا الفريقين كانا يستندان الى اسباب مسوغة، ولكن الامر وصل الى مرحلةلا تتطلب تطبيق رأي احدهما تطبيقا كليا. ولما كان الامر كبيره وصغيره منوطا بهتلر، فقد كان القرار حول استخدام الدروع يعود اليه.

كانت خرائط الموقف للقيادة الغربية في سنتي (١٩٤٣ ـ ١٩٤٤) تشير الى وجود مايقرب من عشر فرق مدرعة، وكان ينبغي ان تكون هذه الفرق كافية لو انها كانت تشكيلات حقيقية، ولكن اغلبها كان قد تلقى ضربات شديدة في الشرق، فلم يبق فيها غير عدد قليل من الدروع، بينما كانت الفرق الاخرى حديثة التشكيل لم تثبت وجودها بعد وبدون عدد كاف من الدروع... لقد كانت كلها سرابا!!

وضع رونشتد تمرينا طبقه قائد القوات المدرعة في الغرب، كان الغرض من التمرين هو الدفاع ضد الغزو، وقد حضره رومل ورئيس هيئة ركنه اللواء (سبيدل). ولغرض التمرين فرض ان انزالا جرى في منطقة ساحل القنال او في (نورماندي)، وفرضت بالاضافة الى ذلك انزالات سوقية كبيرة جرت بعيدة عن الجبهة الساحلية، فقد جاء في التقارير الواردة من (بورما) معلومات تشير الى احتمال وقوع انزال من الجو، كما كان (كيرفون جوين كيرك) باعتباره ملحقا عسكريا سابقا في لندن ملما بالتعبية الجوية البريطانية. كان من الواضح ان القيادة الغربية ليس لديها ماتدافع به ضد انزال جوي معاد حول باريس او في مؤخرة الجيش الخامس عشر. اذ ليس لديها احتياط عام ولا احتياط فوري، لان الاحتياطات كلها تقريبا كانت على مقربة من الساحل، واعيرت الحركات الجوية السوقية ماتستحقه من اهمية في عام (١٩٤٤)، اذ عرف وجود ثماني فرق مظليين في انكلترا.

لقد اثبت هذا التمرين النظري وجهة نظر اخرى لرونشتد، فلو ان العدو قام في البداية بانزال تضليلي، وقذفنا باحتياطاتنا كلها لصده، فقد يحدث بعد ذلك الهجوم الحقيقي على نقاط مختلفة اخرى. لقد كان جحفل الجيشين (الانكلو ـ امريكي) الماكثين في جنوبي

انكلترا يمتلكان هذه الفرصة، فانهما يستطيعان مثلا انزال قوات ضعيفة عمدا بالقرب من (امیانس) او في محلات اخرى لجذب احتياطات الالمان الى هناك، وربما يقع الانزال الرئيس بعد ذلك في (نورماندي) او في (بريتاني)، وبذلك لايبقى لدى الالمان احتياطات فورية.

ولكن ما العمل اذ انزل العدو قوات على ساحل البحر الابيض المتوسط ايضا؟ سيبعث المبدأ القديم مجددا، وهو ان القائد لايستطيع ان ينجح في القتال، ان لم يكن لديه احتياطات، ولكن هذا ينطبق على المدافع اكثر مما ينطبق على المهاجم، لاسيما اذا كان المدافع خلافا لجميع اسس فن الحرب قد اجبر على الاحتفاظ بخطوط محصنة للقيام بدفاع مستكن غير سيار.

لقد التمس اللواء (كيرفون جوبن بيرك) ـ التمس رونشتد ان يعرض وجهة نظره الثانية المدروسة هذه على هتلر شخصيا في مقره في (برختسكادن)، فوافق رونشتد على ذلك، وكانت النتيجة في الاخير تشكيل احتياط يتألف من اربع فرق مدرعة، ولكن هذا كان من انصاف الحلول كالعادة، اذ لم يكن باستطاعة القيادة الغربية استخدام هذا الاحتياط الا بعد الحصول على موافقة هتلر، وهكذا غلت الايدي مرة اخرى!!!...

ظهر فضلا عن ذلك بان هذه الفرق الاربعة، لاتستخدم مجموعة واحدة في المنطقة المحيطة بباريس، ولكن كان يقتضي توزيعها، فقد وضعت فرقة الصاعقة المدرعة الثانية عشرة وفرقة التدريب المدرعة في المنطقة الكائنة غربي باريس، ووضعت فرقة الصاعقة المدرعة الاولى في بلجيكا، وفرقة الصاعقة المدرعة السابعة عشرة جنوب اللوار الاسفل، وتبين اخيرا بان فرقة الصاعقة المدرعة السابعة عشرة كانت لاتزال في دور التشكيل.

وكان على القيادة الغربية ان تستثمر الامكانات كافة وان تلجأ الى انواع الابتكارات والاعمال المرتجلة كافة لخلق احتياط سيار لنفسها، وكان تشكيل فرقة مدفعية اسلوبا جديدا، فقد طبق في الماضي اسلوب الاحتفاظ باحتياط في المدفعية، وكان نابليون الاول قد خدم في واحدة منها، ولكن في هذه الحالة كانوا يستهدفون شيئا مختلفا عن ذلك. كان الروس قد بدأوا في الشرق بتشكيل فرقة مدفعية من مدفعية مختلفة العيارات وآلية من الانواع المتميزة. وقد اثبتت هذه الفرق بانها اداة فعالة بيد القيادة العليا، وكان الجيش الالماني خلال سنتي (١٩٤٤ ـ ١٩٤٥) فيالق مدفعية مؤلفة من ستة انواع او اكثر من المدفعية يتراوح عيارها من (٥ و ٧) سنتمترا الى (٢١) سنتمترا، وكانت هذه الفيالق من المدفعية فعالة بصورة خاصة في معركة (آخن).

ولكن تنظيم المدفعية بهذا الشكل لم يكن قد انجز في ربيع (١٩٤٤)، لقد اقتضى وجود مايعوض عنها وقتيا، ومن بين ثلاثمائة وتسع قيادات مدفعية تقرر اختيار عشرة انواع مدفعية من عيارات مختلفة لتكوين اربع كتائب، الا ان التضارب الكبير الذي ظهر عند تشكيلها عمليا، ادى الى ارجاء اكمال تشكيلها حتى ابتدأ الغزو.

زار مفتش الدروع العام الفريق (كودريان) الجبهة الغربية ايضا في نيسان (ابريل)

(١٩٤٤)، وقد اراد ان يطلع على سير تنظيم وتدريب الدروع، وان يناقش في استخدام الفرق المدرعة. اننا نعلم بان (كودريان) كان يؤيد وجهة نظر رونشتد في استخدام الفرق المدرعة في منطقة الساحل لا على الساحل تماما، وقد اتفق في زيارته هذه مع رأي القيادة الغربية في استحالة التنبؤ بالمحل الذي سينزل فيه العدو. كانت مقترحات (كودريان) ترمي الى نقل التشكيلات المدرعة من الساحل ووضعها في موضع تستطيع فيه الانفتاح على كلا جانبي السين شمالا وجنوبا، ولما كان نسف الجسور بالقصف الجوي او بالتخريب محتملا، وقد الح (كودريان) بالاضافة الى ذلك على اجراء التنقلات كافة عبر الطرق الفرعية وعبر الاراضي الخالية من الطرق وبعيدة عن الطرق العامة، وان تجري استعدادات كاملة لذلك.

اجاب هتلر على مقترحات (كودريان) بما يلي: «انها مقترحات جيدة للغاية، ولكنني اثق كل الثقة بصحة حكم رومل!! عد الى رونشتد ورومل ثانية، ومن ثم اخبرني».
سافر (كودريان) بسيارته من (سانت جرمان) الى رومل في (لاروش - كويون)، وهناك لم يتفقا على رأي. اصر رومل على رأيه بشدة حول وضع القطعات قريبا من الساحل، وفي طريق عودته اتصل (كودريان) برونشتد في (سانت جرمان) فأيد القائدان ثانية قرارهما السابق... وفي بداية مايس عرض (كودريان) نتيجة هذه المباحثات على هتلر، فأيد هذا ترتيبات رومل.
كان رونشتد قد اقترح كما ذكرنا سابقا تشكيل جيش جديد من الجيوش التي كانت في خليج (بسكاي) والبحر الابيض المتوسط مضافا اليها القطعات الساترة في الالب، ونتذكر ايضا ان منصب قيادة هذه القطعات قد جعل منصب جحفل جيش لا اكثر لاسباب شخصية، وكان القائد العام هو اللواء بلاسكوويتس ورئيس هيئة ركنه اللواء (فون كيلرون فيلدت).. انه نصف حل مرة اخرى.
وكان المفروض ان تكون هيئة ركن جحفل الجيش هذا حاضرة يوم ١٠ مايس. لقد ازدادت الامارات الدالة على الانزال الذي طال توقع رونشتد له في اشهر اذار ونيسان ومايس، فقد تزايد النشاط الجوي للحلفاء بالدرجة الاولى، وعند زيارة (كودريان) لمنطقة القيادة الغربية لمس بوضوح مقدار السيادة الجوية التي يمتلكها الحلفاء، اذ تتابعت هجمات الحلفاء الجوية بانتظام، ولم تقتصر على المطارات فحسب. بل شملت مناطق التدريب ومواضع القطعات؛ وكان قصف القطارات المتجهة غربا نحو المانيا يجري بصورة منتظمة، لذلك تضاءل عدد القطعات التي يتسنى ايصالها الى باريس يوما بعد يوم؛ كما شمل الدمار مراكز المواصلات في الغرب من هولندا وبلجيكا الى جنوبي فرنسة، فأدت الهجمات الجوية للحلفاء الى اقامة عقبات كأداء في سبيل تأمين احضار التقويات والادامة، وفي مايس بدأ التخريب المنظم لجسور السين والسوم واللوار.
لقد استهدفت هذه الهجمات عزل منطقتي (نورماندي) و (بريتاني) شمالا وجنوبا. من الممكن ان ندرك ان العدو اراد بذلك منع نقل فرق الجيش الخامس عشر عبر السين

باتجاه الغرب، ومنع تقدم القوات الالمانية من جنوبي فرنسة نحو شمالها، وكان يجري بانتظام عزل شبهي جزيرتي (بريتاني) و (نورماندي) عن منطقة القيادة الغربية، كما ان ازدياد غارات حركة المقاومة وتخريباتها، دلا على ان الحلفاء لابد من ان يقوموا عاجلا بعمل حاسم.

ظلت باريس نفسها هادئة، وكانت مراكز المقاومة الفرنسية في منطقة الالب شرقي الرون، وقد تركزت بصورة خاصة حول (طولوز) و (لي موكس) و (كليرمونت - فيرانت)، وكان كثير منها في منطقة البرانيس وبريتاني ايضا. لقد كانت حركة منظمة منسقة يقودها غالبا ضباط فرنسيون، غير انه كانت هناك ايضا عصابات عارمة تقاتل مستقلة مرتدية الملابس المدنية في بعض الاحيان وملابس رسمية في احيان اخرى، وكثيرا ما تألفت هذه العصابات غير الشرعية من الاسبانيين او من السفاكين المشردين من الجيش الايطالي الرابع المنحل في (١٩٤٣)، اذ لم يقتصر تأليفها على الفرنسيين فحسب، وقد التمس السكان الفرنسيون الحماية الالمانية من هذه العصابات. وفي (١٩٤٤) كانت الامور قد وصلت حدا من التردي تطلب تشكيل قوافل مسلحة لاسيما في جنوبي فرنسة، لحماية ارتال التموين ومواد الادامة الاخرى، وايصالها الى محلاتها بسلام.

لقد كان اخراج القطارات عن خطوطها والقيام بالغارات الارضية وتدمير محطات توليد القوى الكهربائية ووسائط المواصلات، عبئا ثقيلا، كما كان كذلك خطرا سوقيا يهدد مؤخرة الجبهة الالمانية.

لقد حاول كلا القائدين العسكريين في باريس وبروكسل السيطرة على حركة المقاومة بمعانة الشرطة السرية، وقد صرح رئيس الشرطة الفرنسية في باريس بان قواته قليلة جدا، وان تسليحها اردأ كثيرا من تسليح العدو المتواري.

طلب رونشتد نزولا عند رجاء القائد العسكري في باريس، من هتلر زيادة عدد الشرطة الفرنسية وتسليحها سلاحا افضل، على الرغم من احتمال ان يكون ذلك سلاحا ذا حدين، وكان هتلر يحاذر من ذلك ايضا، ولكنه وافق على زيادة عدد افراد الحرس الاهلي الى ستة الاف رجل، وعلى تزويدهم بسلاح افضل، ولاسيما غدارات ستن البريطانية التي كانت تلقيها الطائرات ليلا باستمرار لحركة المقاومة.

لقد حدث كثيرا اثناء الغزو ان التحمت وحدات كاملة من الشرطة الفرنسية بالقطعات الالمانية.

لم تقدر قوة حركة المقاومة تقديرا دقيقا ابدا، فقد ذكرت السلطات الفرنسية بان قوة حركة المقاومة تتراوح بين الستين والتسعين الفا، ولكن كثيرا من الالمان الرسميين كانوا يعتقدون ان عددهم اكثر من ذلك. ان احد مزايا اي حركة ثورية هو تعذر تقدير عدد الافراد المشتركون فيها، اذ ان عددهم يزيد تارة ويقل اخرى دون امكان حصرهم. على كل حال فان نمو الحركة بهذه الخطورة في مؤخرة الجبهة الساحلية، كان كذلك دليلا لاشك فيه على اقتراب موعد الغزو. لقد بقي القسم الاعظم من السكان هادئين، بل ان اكثرهم

كانوا موالين.

اخبر هتلر القيادة الغربية في نيسان او في مستهل مايس (١٩٤٤) بان بين يديه تقارير تشير الى ان الانزال سيكون في نورماندي.

قرر مقر الجيش الالماني نزولا عند التماس رونشتد، نقل فرقة التدريب المدرعة التي لم يكمل تنظيمها بعد الى المنطقة الكائنة جنوب غربي باريس، كما كانت فرقة الصاعقة المدرعة الثانية عشرة متأهبة في غربي باريس ايضا، ولكن تقرر ان تكون كلتا الفرقتين احتياطا عاما، ومعنى هذا ان هتلر نفسه سيسيطر على استخدامها.

ارتفع العدد النهائي للفرق فبلغ حوالي ستين فرقة، ولم يكن لدى الحلفاء في بريطانيا قوات اكثر من ذلك، ولكن كان على الفرق الالمانية ان تحتفظ بالفي وخمسمائة ميل، في حين ان قوات الحلفاء تستطيع ان تحشد في اي قاطع شاءت. كانت الفرق الالمانية مختلفة جدا في كفايتها ومزاياها العسكرية، وكانت فقيرة في السلاح وقابلية الحركة والوقود والعتاد، فيما اذ قارناها بقطعات الحلفاء المتميزة في موادها.

تلقى هتلر في ربيع (١٩٤٤) معلومات وثيقة، هي احتمال انزال الحلفاء في (نورماندي)، تلك المعلومات التي لم تكن القيادة الغربية على علم بها، فزودت هذه المنطقة بالتقويات التي من ضمنها الفرقة الواحدة والتسعين المحمولة جوا ووحدات قوية من الفرقة (٢٤٣) المشاة، كما كانت هناك ايضا كتيبة مظليين من فرقة المظليين (الجيكر) الثانية التي كانت في دور التشكيل. وكان حول باريس اللواء المدرع العاشر (أ) الذي شكلته القيادة الغربية تدبيرا وقتيا وجهزته بالدبابات الفرنسية المغتنمة، وقد شملت التقويات حتى كونتنتين، فقد دفع الجيش السابع الذي كان يحتل هذه الجبهة فوج الصاعقة المنسوب اليه الى هذه المنطقة المهددة، كما ساهم القائد العسكري في باريس بكتيبة من كتائب الامن لهذا الغرض. كانت كل هذه التدابير كبيرة الجدوى، بل انها ببساطة اجزاء من اعمال لا اعمالا كاملة، لكن لم يكن لدى القيادة الغربية قوات اخرى تتصرف بها غير تلك القوات. لقد كان بالامكان نقل بضع فرق كاملة بهدوء من منطقة الجيش الخامس عشر، ولكن لم يكن هناك من يعلم بان المنطقة الهامة لهذا الجيش لاتهاجم من القنال، فهل كان ينبغي اعتبار نورماندي مجرد خدعة لجلب الاحتياطات اليها، ام ان الهجوم الرئيس سيحدث بين السوم والسين او الى الشمال من السوم؟ لقد بقيت كل هذه الاسئلة لغزا مغلقا، كما هو الحال بالنسبة لانزال اخر سيحدث او لا يحدث عل ساحل البحر الابيض المتوسط!

لقد لخص رومل الموقف في جبهة جحفل جيشه (ب) قبيل الانزال مباشرة كما يلي: -

لقد بقيت الاجهزة اللاسلكية البريطانية صامتةردحا من الزمن، ولكنها استعادت فعاليتها يوم ٣٠ مايس، وازدحم يوم ١ حزيران بالرسائل اللاسلكية الجفرية الموجهة الى حركة المقاومة الفرنسية، ونظرا لان سابلة المواصلات اللاسلكية كانت كثيرة جدا، لذلك كان استنتاج مكان انزال العدو بالضبط امرا متعذرا. لقد دلت الهجمات الجوية المتزايدة على الجبهة الساحلية (دانكرك - دبيب) وعلى جسور السين والايسن بوضوح ان مركز ثقل

الهجوم الرئيس قد يكون على منطقة الجيش الخامس.
رجح روميل قبل ابتداء الغزو حدوث انزال في قاطع الجيش السابع وفي منطقة الجيش الخامس عشر، وبذلك اتفقت وجهة نظره مع وجهة نظر هتلر وورونشتد. لقد خمن رئيس هيئة ركن روميل اللواء سبيدل قوات العدو باربعة جيوش آلية مع معظم قواتها واساطيلها، وقد اعتقد كل من رونشتد وروميل وسبيدل، ان العدو بعد ان ينجح في الغزو سينطلق متوجها نحو منطقة باريس المركزية.

لقد اجريت الاستحضارات بصورة مفصلة لوصايا المشير رونشتد لمعالجة جميع الهجمات الممكنة علي طول جبهة القيادة الغربية التي تبلغ (٢٥٠٠) ميل، بحيث يتاح نقل بعض الفرق من اجزاء الساحل الذي لم يتعرض لهجوم العدو الى الاماكن المهاجمة فعلا باسرع وقت ممكن، ولم تقتصر تلك الوصايا على تخصيص التشكيلات المسؤولة سلفا فحسب، بل عينت ايضا القوات التي تأخذ محلات تلك التشكيلات وتوزيع القواطع، وخصصت النقلية اللازمة لكل ذلك، وحددت لها حتى الطرق التي ستسلكها كتدبير يؤمن قابلية الحركة، وقد انجز عمل الركن الشاق هذا رئيس شعبة حركات القيادة الغربية المجرب (زمرمان) الذي كثيرا ماذكرناه سابقا. كان القائد العام للجيش السابع الذي يحتل مواضعه في نورماندي وبريتاني يطبق تمرينا حربيا في ريمس، اشترك فيه كثير من امري الوحدات، وكان هذا الجيش قد قرر بنفس الوقت ان يخفف من قيود الانذار المطبق بشدة على الوحدات، لان التعب بدا عليها، وكان روميل قد غادر مقره الى اهله في (اولم) باجازة من قيادة القوات الالمانية لاسباب عائلية اولا وليزور هتلر في (برخستكادن) وليحضر مؤتمرا هناك ايضا.
لقد كانت اشارة الانذار الاولى للقيادة الغربية عبارة عن رسالة لاسلكية سرية صدرت من انلكترا بين الساعة التاسعة والربع والتاسعة والنصف مساء. كانت متحويات هذه الرسالة متوقعة، فقد دعت حركة المقاومة في جميع فرنسة الى القتال ليلة ٦/٥ حزيران.
لقد عمد الفريق (زمرمان) الذي كان اول من استلم هذه الرسالة، الى تهيئة المقر بموجوده الكامل للعمل حالا، وابدى مشورته الى رئيس هيئة ركن القيادة الغربية، وارسل رسالة برقية الى مقر جحفل جيش (ب) كما احاط جحفل الجيش (جـ) في جنوبي فرنسة والاسطول الجوي الثالث والجحفل البحري الغربي وكلا القائدين العسكريين في باريس وبروكسل علما بذلك، وكان رئيس ركن جحفل الجيش (ب) الدكتور اللواء (سبيدل) قد علم قبل ذلك بفحوى هذه الرسالة اللاسلكية، لانه كان قد استرقها هو ايضا، وهكذا انجزت الاجراءات الممكنة كافة في الساعة العاشرة والنصف مساء، وكان الجيش الخامس عشر الذي يحتل ساحة القنال قد اصدر اوامره مدفوعا بابداعه الذاتي الى قطعاته بمضاعفة الحيطة والحذر، وحذا الجيش السابع حذوه في ذلك.
ارسلت رسالة حول الموضوع الى رونشتد بعد انجاز هذه الاوامر الاولية المختصرة، فارسل بدوره مجموعة من الرسائل البرقية الى جميع القيادات والسلطات الاخرى الموجودة

في منطقته، وقد تم اعتراف اخر المحطات اللاسلكية في الساعة الواحدة والعشرين دقيقة صباحا من يوم ٦ حزيران باستلام تلك البرقيات، مما دل على سرعة ارسال واستلام البرقيات، وقد اخبر المقدم ميرديترنك رئيس شعبة الاستخبارات مقر القوات الالمانية المسلحة بالموقف.

اخبر اللواء سبيدل شخصيا القيادة الغربية يوم ٦ حزيران بين الساعة الثانية والثالثة صباحا بهبوط قوات المظليين وقطعات الزلاقات في شبه جزيرة كونتنتين. كان الوقت

التعبوي الذي جرى فيه انزال المظليين من الجو بين الدقيقة ثلاثين بعد منتصف الليل وبين الساعة الواحدة والنصف صباحا اي لمدة ساعة واحدة بعد منتصف الليل بقليل. ولم ترد تقارير عن حدوث طيران مستمر داخل نورماندي، وقد اشتبكت قطعاتنا مع العدو النازل، ولكن تفاصيل الاشتباك لم تكن معروقة وقتذاك.

لم يتصور رونشتد ـ والانزال يجري بزخم شديد ـ بان هذا الانزال كاذب وللخداع، بل اعتقد بانه انزال رئيس تزداد خطورته باستمرار؛ وقد اصبح واضحا لديه ان القطاع الشمالي لساحل نورماندي اصبح مهددا، وان هدف الانزال قد يكون مصبات النهرين الصغيرين (وورن) و (فاير)، ومع ذلك فانه لم يكن بامكان القيادة الغربية حتى الان ان تقطع برأي اكيد بان الحوادث التي جرت حتى تلك الساعة هي مقدمة الغزو الحقيقي، فقد كانت بعض الشكوك لاتزال تخامر الافكار من ان هذا الهجوم ليس الا هجوما ثانويا، اذ اقتصر على الانزال من الجو فقط، ولم يتبعه انزال حقيقي من البحر حتى ذلك الوقت.

كان على القيادة الغربية ان تفترض بان العدو لايمكن ان يقوم بالانزال من الجو بدون ان يعقب انزاله هذا بالانزال من البحر، والا فان الانزال الجوي وحده معناه تضحية بدون مسوغ بالتشكيلات الجوية الثمينة، لذلك قرر رونشتد في ساعات الصباح الباكر ان يقوم بالهجوم على العدو على اي حال لافناء الوحدات المعادية النازلة من الجو، فاذا نجح هجوم رونشتد، فربما تنكشف نيات العدو في القيام بانزاله الحقيقي على الساحل.

لم يكن بالاستطاعة الانتظار مدة اطول!... لقد كان على جحفل الجيش (ب) الذي تقع هذه الاماكن المهددة في منطقته ان يقهر العدو قبل كل شيء بقواته الخاصة، وهذا ماحدث نتيجة للتدابير السريعة البعيدة النظر لرئيس هيئة ركن رومل. كان رومل ايضا كما هو الحال في القيادة الغربية، قد اتخذ التدابير الممكنة كافة سلفا لمقاومة الهجوم، فلم يكن بامكانه خلال الاربعة والعشرين ساعة الاولى ان يضيف اي شيء الى ماكان قد انجزه رئيس هيئة ركنه. لقد عمل المحرك تلقائيا دون ان يظهر الاثر الشخصي للقادة العامين في الحركات الا بعد مضي اربع وعشرين ساعة، اذ ظهرت في الميدان القوات الاحتياطية الكبيرة الاولى، وقبل ان تشترك هذه القوات في القتال، لم يكن هناك ابدا ماينم عن التدخل الشخصي. كان رومل قد اخبر فورا هاتفيا ليلة ٦/٥ حزيران، فسافر بسيارته من المانيا متوجها نحو الجبهة حالا.

كان لدى الجيش الذي انهمك في مقاومة عملية الانزال، اي الجيش السابع كانت

لديه الفرقة الواحدة والعشرون فقط احتياطا عاما، وكانت هذه الفرقة من التشكيلات الجديدة، وهي ذات دبابات فرنسية من الغنائم، لذلك لم تكن ندا لمقاومة الدبابات الحديثة للحلفاء.

اوعز رونشتد بعد منتصف الليل بقليل من يوم ٦/٥ حزيران باعطاء اشارة الانذار في منطقة معسكر الفرقتين المدرعتين لتكونا قادرتين على الحركة عند استلام الامر باتجاه (كان) و (سنت لو) دونما تأخير. اصدر رونشتد امرا جديد للمواقع كافة بين الساعة الثانية والنصف والثالثة والنصف صباحا، اذ اصدر على مسؤوليته الاوامر التالية للفرقتين اللتين كانتا من قطعات مقر القوات الالمانية العامة المسلحة.

«تتحرك فرقة الصاعقة المدرعة الثانية عشرة باسرع مايمكن باتجاه (لي سيوكس)، وتكون فرقة التدريب المدرعة متهيئة للحركة من محطة (ابلر:) وتصبح كلتا الفرقتين عند دخولهما ميدان الحركات تحت قيادة جحفل الجيش (ب). و لى ذلك فان الوحدات المتقدمة من الفرقتين بامكانها ان تدخل منطقة القتال حوالي ساعة الثامنة صباحا، اما الفرقتان المدرعتان نفسهما، فتدخلان قبيل المساء.

اجرى رئيس هيئة الركن ورئيس شعبة الحركات قيادة الغربية عدة مكالمات هاتفية مع مقر القوات المسلحة الالمانية العامة حول السماح باطلاق هاتين الفرقتين، وقد جرت تلك المكالمات بين الساعة الثالثة والساعة السادسة صباحا، وخلال هذه الساعات اخبر الاسطول الجوي الثالث بان التقويات التي وعدوا بها مرارا لن تصل اليهم ابدا من جراء الموقف الجوي في الشرق وفي المانيا نفسها، ومعنى ذلك ان كثيرا من التدابير والامور المفروضة التي بنيت عليها خطط القيادة الغربية عصفت بها الرياح.

كان لدى الاسطول الجوي الثالث في صباح ٦ حزيران تسعون طائرة (قاصفة) صالحة للعمل وسبعون طائرة مقاتلة، ولايمكن احباط اى انزال على مقياس كبير مثل هذه القوات.

لقد الغي مقر القوات الالمانية المسلحة امر حركة الفرقتين المدرعتين التابعتين له، ذلك الامر الذي كان قد اصدره رونشتد على مسؤوليته الشخصية وبيبداعه.

كان في القسم الشمالي من (كونتنتين) تشكيلات امريكية من التشكيلات المحمولة جوا مشتبكين في القتال، وقد هبط بعضهم على مسافة بعيدة داخل شبه الجزيرة، والظاهر ان تطويحهم هذا كان نتيجة العواصف، وقد ادى ذلك الى اشتباك هذه الوحدات الامريكية المنعزلة ضد الفرقة الواحدة والتسعين الالمانية المحمولة جوا وضد وحدات من فرقة المشاة الثانية، بذلك اشغلت هذه الوحدات عن الاشتباك بالقوى الرئيسة للعدو، وقد تمكن القسم الاعظم من القطعات الهابطة من الجو على جوار الساحل من التجمع، وسرعان ماتأمن اسنادها من البحر.

لقد كان قائد الفرقة الواحدة والتسعين المحمولة جوا في (ريمس) ايضا يوم ٥ حزيران مشتركا في تمرين الجيش السابع الذي ذكرناه، وفي طريق عودته الى فرقته ليلة الغزو تحرك

بسيارته وسط قطعات المظليين الامريكان، فقتل بنيرانهم مع مرافقة.

وبينما كانت هذه الحوادث التي تطرقنا اليها بايجاز تجري وراء الجبهة الساحلية بين منتصف الليل والساعة السادسة صباحا، في هذا الوقت - استطاعت الدفاعات الساحلية ان تكون حاضرة للدفاع، اذ اصبح من الواضح الان ان التمهيدات التي انجزها المظليون والقطعات المحمولة جوا للحلفاء سيعقبها الغزو الرئيس حالا.

اخبر جحفل الجيش (ب) القيادة الغربية بين الساعة السادسة والساعة السادسة والنصف صباحا من يوم ٦ حزيران، ان العدو انزل قطعاته على جبهة واسعة بين لارون والفايرا، وانه لايزال مستمرا في انزاله. وقد سبقت هذا الانزال نار شديدة جدا من المدفعية البحرية وقصف جوي عنيف، وقد ارسل هذا التقرير الى المواقع كافة والى مقر القوات المسلحة الالمانية العليا ايضا، وحوالي هذا الوقت نفسه وصل امر القيادة الالمانية العليا التي تضمن ايقاف الفرقتين المدرعتين الشهيرتين، ولكي تستطيع الفرقة الثانية عشرة ان تواصل التقدم حتى (لي سيوكس) لا اكثر، اما فرقة التدريب المدرعة فعليها ان تبقى حتما في محلها القديم غرب باريس، وكان على القيادة الغربية ان تتقبل كثيرا من التأنيب لتصرفها بهاتين الفرقتين على مسؤوليتها متجاهلة الاوامر ودون اخذ موافقة الفوهرر.

وعندما اخبر رئيس شعبة الحركات (زمرمان) الضابط المنسوب الى القيادة الالمانية العليا، بان الانزال مستمر بنجاح، والتمسه ملحفا ان يطلق سراح الفرقتين المدرعتين، اجابه ذلك الضابط جازما: «انك لا تستطيع ان تقرر ذلك، فان الانزال الرئيسي قد يكون في مكان غير هذا».

لقد حاولت القيادة الغربية ان تفهم القيادة الالمانية العليا، ان الوقت الذي لايمكن تأخيره لصد الغزو قد حان، فيجب اهتباله، واذا هاجم العدو جبهة اخرى، امكن ارسال الاحتياطات اليها على كل حال، ولكن اذا افلح انزال الحلفاء في نورماندي، فانهم سيزجون بقوات اخرى في هذه الجبهة.

لقد اتصلت هاتفيا بمقر القوات المسلحة الالمانية حول هذا الموضوع طيلة الصباح وفي الساعات المبكرة من بعد الظهر، ولكن دون جدوى، وكان الجواب دائما: ينبغي ان يقر الفوهرر اولا!!

وكان من عادة هتلر الذي كان يعمل حتى حلول الساعات المبكرة من الصباح، ان يأوى الى فراشه ظهرا، ولم يكن هناك في مقر القيادة الالمانية العليا من يمتلك الشجاعة الكافية لايقاظه، لذلك لم يستلم المعلومات المفصلة الا بعد بضع ساعات من بلوغ الغزو ذروته، واخيرا وبين الساعة الثالثة والساعة الرابعة مساء اطلق هتلر سراح كلتا الفرقتين المدرعتين، ولكن ذلك اصبح متأخر جدا، لان هذين التشكيلين لايتحمل اشتباكهما في القتال الا في وقت ما من يوم ٧ حزيران، واكبر الظن انهما لن تشتبكا قبل يوم ٨ حزيران نظرا لخطورة الموقف الجوي؛ وبحلول هذا الموعد يكون الحلفاء قد ظفروا بمواطىء قدم ثابتة على الساحل، وانجزوا تشكيل رؤوس الجسور، لذلك كان من المشكوك فيه كثيرا

امكان نجاح الهجوم المقابل.

يسود الاعتقاد اليوم بان الغزو بكامله كان يمكن ان يخفق، لو ان الفرقتين المدرعتين كانت قد انطلقتا بعد منتصف الليل تماما يوم ٦ حزيران، وكثيرا ماتناقلت الالسن وجهة النظر العسكرية البحتة هذه بعد انتهاء الحرب. على كل حال فان رونشتد ورئيس هيئة ركنه كان في شك ـ بالنسبة للموقف ـ فيما اذا كان بالامكان نجاح منع الانزال بهذه الطريقة.

ولو ان هاتين الفرقتين حركتا حوالي الساعة الواحدة صباحا، لما استطاعت حتى وحداتها المتقدمة ان تصل الى منطقة المعركة خلال الساعات القليلة التي تسبق ضياء اليوم التالي (الساعة الرابعة صباحا) ولكانتا هدفين لقصف القوة الجوية للحلفاء.. ولربما كانت فرقة الصاعقة المدرعة الثانية عشرة وهي التي كانت اقرب الى منطقة الانزال، تستطيع ان تدخل عند حلول المساء على اقل تقدير، لانها كانت تبعد اكثر من مائة ميل عن منطقة الانزال، لذلك اذا فرضنا بان كلتا الفرقتين قد تحركتا معا ولم تنشطر قبل ان تبدأ بالعمل، فربما كانت تستطيعان ان تصلا في الصباح المبكر من يوم ٧ حزيران، وكل تقدير اخر لوقت وصولهما لانصيب له من الصحة.

وحالما زج بالهجوم المقابل الذي استهدف المنطقة الساحلية طبعا، فانه لم يصبح تحت تأثير النار الدفاعية للعدو فحسب، بل اصبح تحت قصف القوة الجوية الشديدة، كما اصبح ضمن المدى المؤثر لنيران اسطول الحلفاء. لقد كان لهذه النيران تأثيرها المعنوي الشديد على الرغم من انها لم تكن مدمرة فعلا، فقد اخبرت لوحدات كافة بانها اصبحت تعاني قصفا شديدا من المدفعية الثقيلة للبحرية.

يعزي نجاح الغزو بكل بساطة، الى ما كان يتميز به من النواحي الفنية والمادية، اكثر مما يعزى الى بضعة اخطاء المانية، كما ان التسليح الالماني لم يتطور منذ سنة (١٩٤٤)؛ وسواء اكانت الفرق جيدة او رديئة، وسواء استخدمت بسرعة ام ببطء، فان مثل هذا التفوق الجوي والمادي للحلفاء المركز على جبهة واحدة، لابد له ان يقهر الدفاع لاسيما دفاعا غير رصين كالذي كان للالمان بين سنتي (١٩٤٤ ـ ١٩٤٥).

لقد اصبح واضحا مساء يوم ٦ حزيران، انه لا امل يرتجى من محاولة قهر الانزال بهذه القوات المتيسرة، وربما ستكون هناك هجمات مقابلة محلية تحظى بالنجاح، ولكن ذلك لن يبدل الموقف العام الراهن.

كانت الفرقة الثانية والثمانون الامريكية المحمولة جدا، قد تركزت حول (فالون)، كما كانت الفرقة الواحدة بعد المائة الامريكية المحمولة جوا في جوار (كارينتان) وتمتد منطقتها الى حوالي مصب نهر (الفار). وقد صادفنا القطعات البريطانية الى بعد يمتد حتى اورن (داخل)، وقد دلت التقارير على ان حدود كليهما تمتد حتى غرب (بابوكس). لقد كان القتال المبكر ضد الفرقة الثانية والثمانين الامريكية ناجحا، ولكن الهجوم الالماني المقابل لم يظفر بالنصر الحاسم.

اصبح للحلفاء الان اتجاهان ممكنان للهجوم: نحو (الاورن) باتجاه باريس، ونحو شمالي (كونتيتين) باتجاه قلعة (شاربورغ).

ولم تكن القيادة الغربية حتى ذلك الوقت قد ادركت تماما اثر ما اطلق عليه: (المرافىء الاصطناعية)، ولذلك توقعت هجوما مبكرا على (شاربورغ) التي كان لها ميناء حسن صالح لتموين الحلفاء؛ ولما كانت قطعاتنا غير كافية لهجوم مقابل ناجح، لم يبق الا الاقتصاد في هذه القوات وسحبها تدريجيا الى ان تصل تقويات اخرى. لقد كان في الامكان اجراء هذا الانسحاب الى وراء نهر (الاورن) وحشد جميع الاحتياطات على الضفة الجنوبية لغرض الهجوم المقابل، وجعل هذه الخطة اساسا تبنى عليها خطط القيادة الغربية.

كان رونشتد يشك في نجاح هذا القرار، لتفوق الحلفاء الساحق في الجو والمواد، غيران تطبيقه كان يؤدي على الاقل الى تطبيق اسلوب القيادة المرنة المستكنة على كل حال؛ ولم يكن ممكنا وضع هذا القرار موضع المناقشة، لان هتلر لم يكن ليوافق على تطبيقه، فقد كان يتصور ان انقاذ الموقف يتوقف على ثبات لا امل فيه بالانسحاب!!

لقد بدأ رونشتد ورومل يشعران بالفراغ الناجم من عدم وجود الوصايا العامة، فدأبا على المطالبة بها.

لقد كانت في (نورماندي) مواضع مناسبة لتعويق العدو على الاقل، من هذه المواضع مايلي؛

(كان - سنت لو - لي سي)، و (كان - سنت لو - كوتانسس)، و (كان - تيسي - كران فيل)، و (كان - فاير - افراشس) هذه الخطوط تسد بالتعاقب (كونتنتين) الضيقة وتمنع العدو المهاجم من التدخل في المناطق الفرنسية الكائنة وراءها، ولكن هذه الخطوط لم تكن ذات فائدة عملية، اذ لم تكن محصنة تدافع عنها قوات كافية! واكثر من هذا، كان ينقصها احتياط كبير من الفرق المدرعة الذي طالما الحف في طلبه وبدون كل ذلك فان الدفاع السلبي بكامله لايتيح غير كسب وقت قليل.

من الممتع ان انزال الحلفاء لم يجر في وقت المد كما توقعت القيادة الالمانية، ولكنه جرى في وقت الجزر، لذلك فان موانع رومل التي كانت على الساحل لم تؤثر الا قليلا!... ثم دمرها مهندسو العدو بسرعة.

لقد ثبتت فرقتان ساحليتان: هما الفرقة (٧١٦) والفرقة (٣٥٢) اللتان كانتا تدافعان عن جبهة واسعة بشجاعة ضد زخم الصولة الاولى، ولكنهما غلبتا على امريهما بعد ذلك، للتفوق العددي الساحق للعدو على الرغم من استمرارهما في الدفاع عن نقاط معزولة قوية. لم يعد بامكان الفرقة الواحدة والعشرين المدرعة التوغل بهجوم مقابل حسن التوجيه، ولان هذه الفرقة كما ذكرنا سابقا مجهزة بدبابات فرنسية مغتنمة، فان كفائتها الحربية كانت ناقصة بشكل بارز. لقد كان العدو قادرا على انزال قوات اخرى على جبهة واحدة باسرع مما تستطيع القيادة الالمانية نقله من احتياطاتها. لم يبق لرونشتد نتيجة لاوامر هتلر الصارمة غير الثبات في قلعة (شاربورغ) اطول مدة ممكنة والقتال من اجل كل شبر من

الارض في (نورماندي)، وليس هذا بالذي يلائم خبيرا في القضايا السوقية.

لقد كان واضحا ان ساعة اندفاع جيوش الحلفاء بقابلياتها العظيمة على الحركة لاختراق اخر خط دفاعي في (نورماندي) آتية لاريب فيها، وحينذاك ستكون هذه الجيوش قادرة على التوغل في ارجاء فرنسة، مستفيدة من الطرق العامة والفرعية كافة، متجهة نحو الشرق والشمال الشرقي، لتصل سريعا الى حدود المانيا المحرومة من الحماية الكافية. ان قطعاتنا مؤلفة من فرق مشاة بطيئة مزودة بنقلية الحيوانات، لذا فمن المؤكد انها ستلاقي نفس مصير القطعات الفرنسية التي لاقته عام (١٩٤٠) في الصفحة الثانية من الحملة الغربية، حينما مزقت دروع (كليست) و (كودريان) ارتالهم المتراجعة... لقد توقع رونشتد دائما قيام العدو بمثل هذه الحركة بعد اندفاعه من شبه جزيرة (كونتنتين) نتيجة لامفر منها. وليس من شأن هذا الكتاب ان يعدد الحوادث المهمة كافة التي حدثت بعد ٦ حزيران، لذلك سأقتصر على تسجيل مداولات رونشتد الاخيرة واختلافاته مع القيادة الالمانية العليا.

لقد اقتنعت القيادة الغربية بان غزو نورماندي هو الغزو الحقيقي وليس حركة ثانوية، ولكن هتلر من الجهة الثانية ورومل نفسه في الايام الاولى، كانا لايزالان في شك من ذلك. انهما كانا يتصوران وقوع انزال ثان في منطقة الجيش الخامس عشر، ولذلك كانا يحتفظان حريصين بالفرق ولايدعانها تتجه نحو (نورماندي).

كان المشير (كايتل) هو بنفسه يتصل هاتفيا كل يوم تقريبا ليبلغ اوامر هتلر وليؤكد ضرورة تمسك الجيش الخامس عشر باعظم درجة من الحيطة والحذر، وليطمئن الى ان هذا الجيش لم تنتقص قوته الا لضرورة قصوى ولاقل مايمكن.

كان لدى الحلفاء قوات اخرى متأهبة، في انكلترا، فمن كان يضمن يوم ٦ حزيران او في الايام التالية، انه لن يجري انزال ثان في اماكن اخرى؟ لقد توصل رونشتد شخصيا الى تقدير يختلف عن ذلك، اذ فكر الا مسوغ لمجازفة الحلفاء بانزال على الجهة الاقوى من القنال، وفي الوقت الذي استطاعوا فيه الفوز بموطىء قدم ثابتة في (نورماندي)، ولكن الحرب ليست معادلات حسابية، وان المجهول فيها اهم عواملها.

كان على رونشتد في نفس الوقت ان يفكر في احتمال وقوع انزال في جنوبي فرنسة، فلو وقع هذا وقام الحلفاء بالهجوم من الجنوب على كلا جانبي (الرون) متجهين نحو (ديجون)، فان هذا الاندفاع يتوغل عميقا في جانب ومؤخرة جبهتي القنال وخليج (بسكاي)، وحينذاك يمكن بسهولة تامة قطع خط انسحاب الجيوش الالمانية من فرنسه الى المانيا.

لقد كان مثل هذا الغزو اخطر من انزال يقع على القنال، وقد رجح رونشتد بطبيعة الحال، ان يبدأ الحلفاء بتعرضهم على البحر الابيض المتوسط في وقت اخر، اي عندما تكون جيوش الحلفاء متحركة بسرعة منطلقة من (نورماندي) ومتجهة نحو الشرق، وذلك لكي يضمنوا تنسيق نتائج كلا التعرضين.

لقد استولى الالمان يوم (٧) او (٨) حزيران اثناء القتال العنيف في (نورماندي) على خط

حركات فيلق امريكي، فكانت هذه الخطة المفصلة ذات فائدة قصوى للقيادة الالمانية، اذ اشتملت على جميع تفاصيل الانزال وعلى خطة الحركات التي ستطبق في المدة التي تعقب نجاح الانزال مباشرة، وكان مرفقا بهذه الخطة عدد كبير من الملاحق والمخططات. لقد ابرزت هذه الخطة عناية ودقة هيئة ركن الحلفاء، فقد كانت مواضع القطعات الالمانية والتفاصيل الخاصة بها موصوفة وصفا دقيقا جدا، كما احتوت هذه الوثيقة على وصف متميز للنواقص في تجهيز وتسليح الفرق الساحلية الالمانية. كانت هذه الخطة ذات اهمية قصوى بالنسبة لرونشتد وروميل ومقر القوات الالمانية المسلحة، لانها اثبتت ان الانزال في (نورماندي) كان هو الانزال الحقيقي. لقد امل الحلفاء ـ نظرا لما جاء في هذه الخطة ـ ان يندفعوا سريعا خلال (نورماندي)، وان يتغلبوا على المقاومة الالمانية في وقت قصير، ولكن تبين ان تقديرهم هذا كان خطأ، لان القتال الذي جرى في شبه الجزيرة فعلا، استمر وقتا اطول بكثير مما قدره الحلفاء. وهذا برهان قاطع على المقاومة الباسلة للفرق الالمانية الضعيفة سنتي (١٩٤٤ ـ ١٩٤٥). لقد ابرزت الخطة ايضا تفوق خدمة الاستخبارات الانكلو ـ امريكية، لان الخرائط المرفقة كان مؤشرا عليها تفاصيل ترتيبات القطعات وخطوط المواصلات والمقرات للجانب الالماني، كما كان فيها مخطط متميز عن التحصينات الالمانية، وقد ارسلت هذه الوثيقة الى مقر الجيش الالماني فورا بعد ان استنسخت صورتها.

لقد جرت هجمات مقابلة مرة اخرى خلال (١٠ و ١٥) حزيران بالتشكيلات المدرعة المتيسرة، ولهذا الغرض وضع الجحفل المدرع الغربي الذي كان يقوده اللواء فون (جوين برك) تحت امرة فيلق الصاعقة الاول، وكان الجحفل المدرع مؤلفا من فرقة الصاعقة الثانية عشرة والفرقة المدرعة الحادية والعشرين وفرقة التدريب المدرعة، وكان مقر جحفل الجيش (ب) مسؤولا عن ادارة واستخدام هذه القوات، لان القتال كان يدور في منطقته.

لم تعد هذه الهجمات المقابلة تلاقي اي نجاح، اذ اصبح العدو قويا جدا، كما عانت الحركات كثيرا من تدخل قيادات عديدة، فهتلر وجحفل الجيش (ب) والجيش السابع كلهم اصدروا اوامرهم.. وفي مثل هذا الموقف يجب ان يصدر الاوامر حول القضايا العسكرية مسؤول واحد لامسؤولون عديدون يصدرون اوامرهم في آن واحد!!

وعلى الرغم من ان القتال في (نورماندي) وصل الى ذروة الحراجة والشدة، الا ان ذلك لم يمنع رونشتد من تخصيص بعض جهده لتموين مدينة باريس الكبيرة بالفحم والاغذية ما استطاع، وكان المشير بيتان وهو في فيشي قد رجا ان تمون باريس بالاغذية، ولم يكن هذا سهلا، اذ كانت السكك الحديد قد دمرت تدميرا شاملا من قوة الحلفاء الجوية وحركة المقاومة. ولم يكن تهديد العدو الجوي ليسمح بحركة ارتال كبيرة من السابلة نهارا. ولقد مرت ايام لم تتسن فيها حركة غير قطارات سبعة محملة بالعتاد والوقود قادمة من المانيا الى باريس، وفوق ذلك كان هناك تنقل القطعات واخلاء الجرحى والمدخرات الكثيرة التي يحتاجها الجيش المشتبك في قتال عنيف.

دبر رونشتد على كل حال امر نقل الفحم من المانيا الى باريس، اذ كان من غير الممكن

تقريبا الحصول على ذلك من مقاطعات التعدين الفرنسية، وفضلا عن ذلك امر رونشتد ان تحمل العجلات الفارغة العائدة الى باريس من منطقة القتال في (نورماندي) الخضر والاغذية الاخرى الى باريس لتموين مداخرها.

نجح الحلفاء في الايام العشرة الاولى بالتدريج في توسيع رؤوس جسورهم عمقا، تلك الجسور التي كانت على جبهةواسعة وغير عميقة؛ ثم وحدوا رؤوس جسورهم، فتمكنوا بذلك من ادامة جبهة موحدة. لقد تم الان ادراك اثر المرافىء الاصطناعية ادراكا كاملا، فلم يكن الحلفاء مرتبطين بأي ميناء مثل (شاربورغ) او (الهافر) كما كنا قد توقعنا نحن الالمان.

لقد وصل تأثير نيران المدفعية المنصبة من مدافع الاسطول بقنابلها ذات العيار الثقيل الى مدى يتراوح بين (١٥ - ٢٠) ميلا عمقا.

ولم يجعل رونشتد ابدا من وجهات نظره عن الموقف الراهن سرا، فقد كانت هيئة ركنه تعرف وجهة نظره، وكانت تتحدث عنها جازمة في محافل كثيرة؛ وكان قد بدأ خلال تلك الايام بالحديث عن تقاعده، ولكن شعوره القوي بالواجب اضطره الى الاستمرار على الرغم من ان اندحار المانيا في الحرب اضحى الان واضحا لديه.

كان رونشتد مقتنعا قبل الغزو بمدة طويلة، بان الوقت قد حان للسياسيين ان يمسكوا بزمام الموقف، وان رجال الجيش وحدهم لم يعودوا قادرين على معالجة الموقف؛ بيد ان ذلك لايتسنى ما لم ينسحب الجيش انسحابا موقوتا حسب خطة مرسومة من المناطق الغربية المحتلة الى حدود المانيا، وهذا يتيح للسياسيين وقتا للتوصل الى بعض التدابير؛ ولهذا الغرض كانت هناك ضرورة قصوى للحصول على وصايا من هتلر تلك التي الحف رونشتد في طلبها كثيرا لتنطلق يد القيادة الغربية في سحب القطعات الموجودة في الغرب الى (الجدار الغربي) في وقت كاف وبنظام دقيق، كما ان رومل ادرك كذلك بان زمام الموقف في الغرب قد افلت من يد الالمان.

اقترح رونشتد من يومي (١٠ و ١١) حزيران اجراء مذاكرة شخصية مع هتلر، وكان رومل ايضا قد اخبر مقر القوات المسلحة الالمانية العليا بالموقف في يوم ١١ حزيران مستعرضا بدقة وتفصيل خطورة الموقف.

لقد حدث في هذه الايام ان استعمل سلاح النصر الرقم (١) لاول مرة، فظهر في ليلة ٧/٦ حزيران اخفاق استعماله لاسباب فنية، غير انه استخدم ثانية ليلة ١٣/١٢ منه. استهدف هتلر مدينة لندن لقصفها بهذا السلاح، بينما رغب رونشتد في مهاجمة مرافىء جنوب انكلترا، واكثر من ذلك رغب في قصف الجبهة البرية في نورماندي. لقد ساد القيادة العليا اعتقاد بان قصف لندن بهذا السلاح سيكون ذا اثر معنوي، الا ان رونشتد كان في ريب من ذلك. لقد خشي هتلر من ان يكون تأثير قصفه في (نورماندي) طفيفا جدا فضلا عن تعريض القطعات الالمانية في تلك المنطقة لخطر ذلك القصف، فقد كانت قنابل سلاح النصر الرقم (١) تحتمل الخطأ كثيرا، لذلك تتطلب هدفا واسعا.

لقد تمسك هتلر بقراره في قصف لندن وحدها، واستمرت الدعاية استخدام هذا السلاح استثمارا ضخما، فانتعشت آمال القطعات والمدنيين ايضا.

ومن المعروف اليوم ان كثيرا من الاسلحة الحديثة التي اخترعها علماء الالمان ظهرت متأخرة من سنة الى ثلاث سنوات، وكانت حينذاك في دور التجربة وغير جاهزة للاستعمال الكامل.

قرر هتلر ان يواجه رونشتد ورومل يوم ١٧ حزيران استجابة لالتماس رونشتد ولمعرفة وجهة نظره في خطورة الموقف، تلك الوجهة التي يشاركه فيها رومل، فعقد المؤتمر في (دبل يو (W) رقم ٢) وهو محل اعد منذ وقت طويل بين (لأأوون وسواسون) ليكون مقر المعركة للفوهرر، وكان هذا المحل مؤلفا من ملاجىء ترابية (سمنتية) مغشوشة بعناية في مواضع مخفية موزعة على منطقة جبلية واسعة.

طلب اشتراك الاشخاص التالية اسماؤهم لحضور المؤتمر: المشير فون رونشتد، المشير رومل، رئيس هيئة ركن القيادة الغربية، رئيس هيئة ركن جحفل الجيش (ب)؛ وقد تقرر ان يحاط حضور هتلر بالكتمان الشديد وقد حضر هتلر والمشير كايتل والفريق جودل وعدد من الضباط الاخرين.

نوقشت ثلاث نقاط رئيسية في هذا المؤتمر:

١ ـ وصف الموقف العام الخطير، غير ان هتلر لم يحرص على التمادي في ذلك مفضلا ابراز تصاوير الاسلحة الحديثة والطائرات التي ستتمخض عنها الاشهر القليلة القادمة.

٢ ـ التماس رونشتد ان يحصل على وصايا سوقية على مقياس عال حول ادارة الحرب في الجبهة الغربية كي يتمتع بحرية العمل. لقد تلقى هتلر هذا الالتماس بهدوء خلافا لما كان منتظرا، فوعد باصدار هذه الوصايا.

٣ ـ يجب ان يفعل السياسيون شيئا يمهد السبيل للمداولة مع الحلفاء، فقوبل هذا الالتماس بالصمت، وعندما ارادوا الانصراف، لفت رومل انتباه هتلر وهما يسيران معا نحو سيارة هتلر الى خطورة الموقف، وحبذا قضية التدخل السياسي.

لم يكن هتلر يؤيد هذا الاتجاه، فقد كان من رأيه ان الحلفاء يرفضون اي حل سياسي، اذ كان الحلفاء في المعاهدة التي عقدوها مع روسيا افناء المانيا، وانه سيطلع الالمان على هذه الحقيقة. . . ان كل شيء الان يتوقف على المقاومة العسكرية التي لاتعرف الهوادة.

وبينما كان هذا النقاش محتدما، اذ اخبر جحفل الجيش (ب) هاتفيا بان الامريكان اخترقوا منطقة (كارنتان) من الغرب واجتازت دباباتهم الامامية طريق (كوتانسس ـ شاربورغ) العام، فتلقى هتلر هذه الانباء اثناء وجوده مع المشيرين متظاهرا بالهدوء، ولكنه لم يقرر شيئا ما، الا ان رومل التمس بعد ذلك سحب جبهة القتال انسحابا تعبويا محضا الى ما وراء (الاورن)، حتى يخلص تشكيلاته المدرعة من اشتباكها في المعركة، وبذلك يستطيع القيام بهجوم مقابل من الجنوب، فكان نصيب هذا الالتماس الرفض

والاهمال ووضع على الرف . . . لقد سارت المناقشة برمتها بعد ذلك في خطوط سلبية مرة اخرى.

وبعد الانتهاء من عرض الخرائط وتصاوير انواع الاسلحة وانواع العجلات المدرعة والتحصينات ونماذج الطائرات كافة، حصل انطباع بان هتلر يلهي نفسه بهذه الاشياء ليشغلها عن التفكير في الموقف الواقعي المرير. لقد استمرت المناقشة التي سرعان ما وجهها هتلر الوجهة التى ارادها مستغرقا في ذلك مدة اربع ساعات، ومن ثم تناول المجتمعون الوجبة الختامية واجمين.

وبينما كان الحاضرون ينصرفون، دوت اشارة الانذار بالغارة الجوية اذ قامت حوالي ستين طائرة معادية بالغارة، فاراد رونشتد ورومل اللذان لم يكونا ليكترثا بمثل هذا العدد الصغير من الطائرات ان ينطلقا الى مقريهما التعبويين حالا، ولكن هتلر لم يسمح لهما بذلك، اذ استصحب كلا المشيرين ورئيسي هيئتي ركنيهما الى اخد ملاجىء الغارات الجوية الكبرى، فقضوا هناك حوالي ساعة كاملة كاد الا يقطع سكونها اي كلام. وعندما زال الخطر الجوي، سمح لنا بالحركة، فتوجهنا الي سياراتنا المنتظرة، وقد حاول رومل اثناء سيره هذه المسافة القصيرة ان يقنع الفوهرر ثانية بان يفسح للسياسة ان تأخذ طريقها، ولكن هتلر رفض العمل بذلك مرة اخرى.

ماكاد رونشتد ورومل يصلان الى مقريهما في ساعة متأخرة من بعد الظهر، حتى وصلتهما اخبار صادرة من محل المؤتمر بالقرب من (سواسون) تفيد بان هتلر وبطانته قد غادروا المكان على عجل ميممين شطر المقر الجبلي في (برختسكادن)، فما الذي حدث؟ ان احدى قذائف سلاح النصر الرقم (١) لم تواصل طيرانها نحو لندن، ولكنها بسبب اخطاء فنية في تصميمها غيرت رأيها فاستدارت فجأة مندفعة في الهواء نحو الشرق بدلا من الغرب، فهبطت الى الارض منفجرة كالرعد في وسط ملجأ الفوهرر الذي جرى فيه النقاش قبل بضع ساعات؛ فلم ينجم اي ضرر عن ذلك، ومع هذا قررت هيئة ركن مقر هتلر ان تتوارى بعيدا عن الانظار في مساء ١٧ حزيران.

سقطت (شاربورغ) في موعد اقرب كثيرا مما كان متوقعا، فغضب هتلر لذلك غضبا عظيما. لقد كانت تحصيناتها كما سبق ان ذكرنا متباعدة عن بعضها تباعدا اكثر مما ينبغي بالنسبة لجبهة برية، كما كان انشاؤها واهنا وتنقصها القطعات الكافية للدفاع الرصين. لقد نتج عن هذا ان تكافح القيادة العليا من اجل (شاربورغ)، فقد ارادها هتلر ان تكون مزودة بقطعات قوية كافية، وكان قد امر بعد اختراق الامريكان من الغرب يوم ١٧ حزيران بان تتراجع الوحدات الموجودة في شمالي (كونتنتين)، وهي التي قطع اتصالها بشاربورغ نتيجة للاختراق الامريكي المذكور، ان تتراجع الى شاربورغ لكي يكون في هذه القلعة قطعات قوية كافية، وكان المطلوب من هذه القطعات التي تقاتل في جنوبي الاختراق وان تشكل الجناح الغربي لجبهة (نورماندي)، فاصدر رومل اوامره وفقا لذلك . . . ولكن بينما كانت هذه الاوامر في طريقها الى التنفيذ اصدر هتلر اوامره المباشرة الى الجيش السابع

لوقف تنفيذ تلك الاوامر التي تنص بالا تدخل القطعات التي خصصت لشاربورغ قلعتها فورا، بل عليها الاستمرار في اعاقة العدو جنوبي شاربورغ. ولم يحط رونشتد ولا روملعلما بهذا الامر، وكانت نتيجة هذا الاضطراب ان وحدات قوات شاربورغ اندفعت نحو الجنوب وفقا لامر هتلر، لانها كانت لاتريد ان تحبس في القلعة ثانية، وفوق كل ذلك جاءت اوامره التي تقضي بان تحاول التشكيلات الباقية في اقصى الجنوب من شاربورغ اعاقة العدو المتوغل نحو الشمال مستهدفا الاستيلاء على الميناء.

وبينما كانت هذه الوحدات الالمانية تدافع وفقا للاوامر التي تلقتها والقلعة من ورائها، قام الامريكان بتطويقها من الغرب، فبدأ الان سباق الماني امريكي متجها نحو قلعة شاربورغ، كانت نتيجته ان الفريقين المتسابقين وصلا نقاطا كثيرة من شاربورغ في وقت واحد، فتبين من ذلك ان الالمان لايمتلكون وقتا لاحتلال الجبهة البرية بدون قتال، لقد كان لهذه المهازل التي لايمكن تفصيلها هنا نتائج خطيرة، فقد سقطت شاربورغ في غضون بضعة ايام، وقيل: ان هتلر اجتاحه الغضب العاصف، وبعد التحري عن المقصرين وصلت هيئة تحقيقية مؤلفة من ضباط اقدمين ومعها الاوامر الصادرة في المعركة، وكان هتلر راغبا في اتخاذ الاجراءات لاحالة القائد العام للجيش السابع الفريق (دولمان) الى المحكمة العسكرية، ولكن رونشتد صرح بانه لن يوافق في اي حال من الحالات على مثل هذه الاجراءات، بل يجب ان يقتصر الامر على اعداد تقرير اعتيادي مبني على الحقائق المجردة؛ اما روميل فاصر على اجراء تحر عن الحقائق بوساطة هيئة التحقيق التي كانت بالصدفة هيئة سديدة الرأي ذكية، الا ان النتيجة المحزنة كانت ان قضى الفريق (دولمان) نحبه بنوبة قلبية، اذ انهارت صحته لما قاساه من قلق وبذله من جهد.

بدأ الحلفاء بعد سقوط شاربورغ بالتقدم باطراد الى الجنوب: الامريكيون في الغرب، والبريطانيون في الشرق، وشقوا طريقهم مندفعين من شبه الجزيرة الى داخل فرنسة، لقد امر هتلر في هذا الموقف مرة اخرى بالقيام بهجوم مقابل مدرع بين الاورن والفاير، وكان على هذا الهجوم ان يشتبك باديء الامر مع الامريكان بالقرب من (بالي روى) ومن ثم بالبريطانيين، وخصصت لهذا الهجوم اربع فرق صاعقة وفرقتان مدرعتان من فرق الجيش، بيد ان هذه الفرق كانت قد تلقت من قبل ضربات موجعة في قتال السابق، كما كانت مشتبكة بفرق مشاة، لذلك اقتضى قطع اشتباكها بالعدو اولا.

بدأ هذا الهجوم المقابل الكبير على الورق مأمون العاقبة كثيرا، ولكن الواقع المرير تحكم في مصير هذا الهجوم.

بدأت الانتقادات لقيادة رونشتد وروميل بعد سقوط شاربورغ واخفاق الهجوم المقابل الذي امر به هتلر تظهر في دوائر هيئة ركن القوات المسلحة الالمانية، وقد نظر الى التقارير المتشائمة لكلا المشيرين نظرة استهجان.

سلم روميل الى رونشتد في نهاية حزيران تقريرا محزنا للغاية عن الموقف العام، فأرسله رونشتد الى مقر القوات المسلحة الالمانية مرفقا بتعليق اقسى، مضيفا اليه: «انه متفق تماما

مع ماجاء في تقرير روميل» فعزم هتلر يوم ٢٦ حزيران نتيجة لذلك ان يعقد مؤتمرا برئاسته في (برختسكادن) يوم ٣٠ حزيران.

صدر الامر الى الاشخاص التالية اسماؤهم بحضور المؤتمر: المشير فون رونشتد باعتباره قائدا عاما في الغرب، والمشير روميل باعتباره قائدا عاما لجحفل الجيش (ب)، والمشير اسبيرل باعتباره قائدا عاما للاسطول الجوي الثالث واللواء البحري (كرانك) باعتباره قائدا عاما لجحفل البحرية الغربي.

غادر كل من القادة العامين مقراتهم على انفراد تقلهم السيارات او الطائرات متوجهين نحو مكان المؤتمر، اما رؤساء هيئات الركن فقد كان عليهم البقاء في مقراتهم التعبوية نظرا لخطورة الموقف.

شرع رونشتد يتحرك من (سامت جرمان) بالسيارة يوم ٢٦ حزيران دون ان يستصحب احدا ليكون في (برختسكادن) يوم ٣٠ حزيران، ولقد سمع عند وصوله بخبر وفاة الفريق (دوللمان)، فأحزنه ذلك حزنا بالغا.

كان الغرض من المؤتمر، القرار فيما اذا كان الموقف في الغرب يائسا حقا. كما كان يصوره رونشتد وروميل دوما في تقاريرهما. لقد ايقن هتلر بان كلا المشيرين ينظر الى الامور نظرة تشاؤم بالغ، فاراد ان يمدهما بما يجدد معنوياتهما. . . لقد كان جو المؤتمر برمته متوترا.

اخبر رونشتد بعد وصوله الى مقر الفوهرر وبعد سفرة طويلة منهكة، بان موعد المؤتمر قد تأجل، فلم يزده ذلك الا سوءا في مزاجه، ولكن عندما اجل موعد عقد المؤتمر مرة اخرى، ثار غضبه، لان رونشتد لم يكن قد تعود التسويف في المواعيد.

كان هتلر معتادا على ان ينقل نفسه والاخرين خارج نطاق الحقائق المحزنة، وعندما انعقد المؤتمر فعلا وبدأ النقاش حول الموقف في الغرب وما ينبغي عمله الان، احتكر هتلر الحديث، فوصف لهم منهاج اعادة التسليح من جديد والذي هو في طريقه الى التطبيق، واطرى اسلحة النصر، واشار الى الطائرات القاصفة ذات المحرك التي كانت في طريقها الى الكمال فاذهل نفسه ومن معه بتلاوة ثبت مفصل عن كل ممكن من انواع الاختراعات. لقد كان هذا فوق مايتحمله رونشتد، لانه كان معتادا على التفكير البناء وعلى مواجهة الحقائق.

وعاد رونشتد الى سنت جرمان غضبان اسفا.

سأل المشير كايتل المشير رونشتد خلال حوار هاتفي بعد بضعة ايام: «ايها المشير! ما الذي علينا ان نفعله؟» فأجابه رونشتد بهذه الكلمات القاسية: «عليك انت ان تنهي الحرب».

غير ان المؤتمر افضى الى نتيجة جازمة، فان رونشتد كان قد صرح في برختسكادن بانه قد وهن العظم منه واشتعل رأسه شيبا ولم يعد معافى الجسم قادرا على تحمل اعباء منصبه، لهذه الاسباب ينبغي البحث عمن يخلفه.

اخبرني كايتل هاتفيا انه رفع رغبة رونشتد في التقاعد الى هتلر باسلوب ملائم وهو آسف.

وصل ضابط من مقر الفوهرر الى القيادة الغربية يوم (٢) او (٣) تموز حاملا لروشتند مذكرة من هتلر يعرب فيها عن اسفه، لانه وجد نفسه مضطرا الى استبداله بالمشير فون (كلوكا) وفقا لرغبته الخاصة.

كانت هذه المذكرة عاطفية جدا ومهذبة في المعنى والبمنى، وكان معها اوراق السنديان الخاصة بصليب الفارس لوسام الصليب الحديدي.

لقد رأيتني جامدا وراء قائدي العام، فأبرقت الى الفريق (جودل) واللواء (اشمندل) مدير ادارة هتلر التمس فيها اعفائي من منصبي واستخدامي في وحدة ما، ولكنني لم اتلق جوابا.

وصل المشير فون (كلوكا) الى سنت جرمان قادما من مقر هتلر فأطلعه رونشتد على الموقف.

كان (كلوكا) مرتاحا ومليئا بالحيوية والنشاط، فقد خدم في الشرق منذ سنة (١٩٤٠) وكان لمكوثه في مقر هتلر اثر فيه، ولم يكن قد الف بعد الاحوال السائدة في الجبهة الغربية، ولم يكن يعلم ماذا تعني السيادة الجوية، لذلك كان مصمما تصميما تاما عند وصوله على اصلاح الموقف، وفضلا عن ذلك كان موقنا يقينا كاملا بانه يستطيع ان يفعل ذلك...

بقي رونشتد بضعة ايام اخر في سنت جرمان منتظرا قرار هتلر بشأن اعفائي من منصبي، فقد رغبنا في ان ننطلق معا؛ وعندما رفضت موقتا هيئة ركن المقر العام نقلي، غادر المشير باريس يوم ٦ تموز (١٩٤٤) ميمما شطر (بادتويلز) في بافاريا العليا، تاركا امرا وداعيا للقطعات كافة، وآذن هيئة ركنه بالانصراف.

لقد حزن الضباط وضباط الصف والجنود على فراقه، وشعروا بانهم افتقدوا قائدا عظيما!!!...

الفصل الثالث عشر

السهم الاخير

بقي رونشتد متقاعدا منذ ٦ تموز الى اوائل ايلول (سبتمبر) عام (١٩٤٤)، ولكي نفهم مغزى استدعائه لتسنم مهام القيادة في الغرب ثانية، فلابد من التطرق الى اهم الاحداث التي جرت في اشهر تقاعده.

ادرك القائد العام الجديد (فون كلوكا) بعد بضعة يام، من تسنمه لمنصبه، بان الموقف في الغرب حيث يكافح الالمان تجاه مصادر الحلفاء المتفوقة فوقا كاسحا، واهم من ذلك سيادة الحلفاء الجوية المطلقة، ادرك ان الموقف الراهن يختلف تماما عما كان يتخيله من قبل.

اشتبك بمشاحنة عنيفة مع رومل باديء الامر، لانه كان يطلب الطاعة المطلقة من رومل. كان كلوكا مندفعا نشيطا للغاية، وكان محله دائما في الخطوط الامامية كما يفعل رومل دون ان يريح نفسه، وكان عليه قبل كل شيء ان يتعود اعمال منظومة القيادة الغربية المرتبكة، تلك المنظومة التي لم يسبق له ان جرب مثلها في الجبهة الشرقية. لم يتطور الموقف في نورماندي من سيء الى اسوأ فحسب، بل اصيب لسوء الحظ قائد جحفل الجيش (ب) رومل باصابة خطيرة ايضا، اذ هاجمت الطائرات سيارته عندما كان في زيارة الجبهة، فقتل سائق سيارته واصطدمت السيارة بشجرة، فقذف رومل خارجها، فاصيب بكسور خطيرة في اعضائه، وقد عولج اولا خلف الجبهة، ثم ارسل الى مستشفى في (فينسنت) احدى ضواحي باريس.

ولما سمع هتلر بهذا الحادث، طلب من (كلوكا) ان يستلم قيادة جحفل الجيش (ب) بالاضافة الى مهامه، وفي هذا الموقف اليائس كان فون (كلوكا) في موقف لايمكن ان يدوم، فهو قائد الجبهة الغربية وقائد عام لجحفل الجيش (ب) في ان واحد.

قرر كلوكا ان يتجه فورا الى (لاروش - كويون) اي الى مقر جحفل الجيش (ب) ليدير معركة نورماندي من هناك، وقرر ان يدير اعمال القيادة الغربية العامة في سنت جرمان بوساطة هيئة ركنها، وهكذا اصبح لديه مقران كبيران يفصل بينهما اكثر من اربعين ميلا. كان هناك طبعا اتصال لاسلكي وسلمي بين المقرين، وقد كنت انا اتردد يوميا الى (لاروش - كويون) لاطلاعه على ما استجد في مقر القيادة الغربية، ولاستلام قراراته. وفي غمرة هذا الموقف المتوتر حدثت في الغرب حوادث ٢٠ تموز المفجعة[1]. انزل الحلفاء يوم ١٥ آب قواتهم على ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي، وظهرت نتائج حوادث يوم

---

(١) كان بعض قادة الجيش قد اتفقوا فيما بينهم على اغتيال هتلر للتخلص منه اولا، ومن ثم انهاء الحرب. وفعلا تفجرت المفرقعات في مقر هتلر ولكنه نجا بأعجوبة. وبالتحقيق الدقيق اكتشف هتلر المؤامرة واهدافها واسماء المتآمرين، ومنهم رومل وكلوكا وستول بنكل الخ . . . وبالامكان الاطلاع على تفاصيل هذه المؤامرة في مصادرها.

٢٠ تموز بوضوح مطرد من اسبوع الى اخر، وفي منتصف اب كانت الجبهة الغربية اشد خطورة من سائر الجبهات الاخرى.

لقد تجرع فون (كلوكا) السم ولما يصل الى (متز) في طريق عودته الى اهله، فعين المشير الشاب (مودل) خلفا له، وكان القائد العسكري في باريس اللواء فون (ستول بناكل) قد حاول الانتحار باطلاق الرصاص على نفسه يوم ٢١ عندما كان في طريقه الى برلين مارا من قناة في ساحة معركة (فردون)، ففقد بذلك كلتا عينيه.

حقا ان تلك الايام كانت اياما صعبة.

بقي (مودل) قائدا عاما في الغرب، وقائدا عاما لجحفل الجيش (ب)، فاستقر ايضا في مقر جحفل الجيش (ب)، وعندما بدأ هجوم الحلفاء على السين حوالي اواسط آب، اقتضى نقل المقر الى الخلف، فيمم (مودل) وهيئة ركن جحفل الجيش (ب) شطر الموضع الكائن بالقرب من (سواسون)، الذي اشرنا اليه سابقا بمناسبة عقد هتلر مؤتمره فيه بحضور رونشتد ورومل. استلمت انا امرا بنقل المقر عدا القائد العام الى منطقة الجبال المشجرة بالقرب من (ريمس)، فاصبح البعد بين المقرين حوالي ستين ميلا.

كان (مودل) في مقر الجحفل الجيش (ب) منشغلا كليا بالقتال الشديد الدائر في شمال فرنسا، وكنت ورئيس شعبة الحركات منشغلين تماما بادامة التماس بالاسطول الجوي وجحفل البحرية، واكثر من ذلك بادامة التماس مع جحفل الجيش (جـ) في جنوبي فرنسا!! ليس بالامكان ابدا ان تستمر هذه الحال على هذا المنوال!

ارتفعت في مقر القيادة الغربية اصوات كثيرة تطالب باستدعاء رونشتد الى الخدمة، لذلك قررت بعد مؤتمر مع رئيس شعبة الحركات الفريق زمرمان ان اوجه رسالة الى الفريق (جودل)؛ وقد وصفت في هذه الرسالة كيف ان القيادة تعاني اصعب المشاكل، لان القائد العام كان شخصا واحدا، ولكنه مسؤول عن واجبين وادارة مقرين، فضلا عن هذين المقرين منفصلان وبعيدان عن بعضهما، وقد اقترحت اعادة تعيين المشير فون رونشتد قائدا عاما في الغرب.

ادهشني وصول جواب رسالتي في النصف الاخير من آب... كان يقتضي عرض الاقتراح على هتلر، وقد سئلت ان اتحقق اولا عما اذا كان المشير مودل متفقا حول ما اقترحته في رسالتي، فلم يكتف مودل بالموافقة بل صرح مختارا: «هذه الفكرة متميزة»، وبذلك ظهر ان المشير الحازم نفسه سيكون مسرورا لعودة فون رونشتد ثانية قائدا عاما في الغرب.

وقد نقل رأي مودل هذا الى مقر القيادة العليا حالا. وبعد بضعة ايام تلقينا الانباء السارة، وهي: ان هتلر قد رجا مرة اخرى المشير رونشتد ان يعود لتسنم منصبه السابق: قائدا عاما في الغرب.

كان الموقف بدون شك لا امل فيه، ولكن المشير عاد ثانية. لقد سئل المشير فون



المشيرفون رونشتد يصدر اوامره قبيل تعرض (الاردين) وعلى يمينه اللواء ويستغال وفي اقصى اليسار المشير مودل

رونشتد: لماذا عاد قائدا عاما في الغرب، وهو يعلم بان الموقف بالنسبة الى المانيا يائس تماما؟ فاجاب: «ان السبب بكل بساطة. ان واجبي جنديا يقتضيني الا امتنع عن الخدمة عن احداق الخطر، كما انني اعرف مدى اسف القطعات لاعفائي من منصبي في تموز عام (١٩٤٤)، كما اعرف اي موقف صعب نتج عن مزج القيادة الغربية بقيادة جحفل الجيش (ب) وجحفل القيادتين بامرة فون كلوكا اولا وبقيادة المشير مودل اخيرا».

سيقدر قادة الحلفاء الكبار وقادة الاقطار الاخرى ماينطوي عليه موقف فون رونشتد، ويدركون مغزى عودته ادراكا تاما، اذ لابد وانهم يتصرفون كما تصرف لو ان بلادهم احدقت بها الاخطار؛ كما سيدرك مغزى عودته رجال الدولة الكبار، اذ كان رونشتد كما يشهد جميع معارفه معرضا عن اي مطمح شخصي.

ففي سنة (١٩٤٠) ترقى الى رتبة مشير بعد انتصاراته العظمية، وهي اعلى رتبة يطمح فيها ضابط الجيش، كما انه لم يكن محتاجا الى الاوسمة والتلطيفات، اذ تلقى منها كمية كبيرة تملأ حقيبته مكافأة له على خدماته الطويلة، وكان في استطاعته ان يبقى آمنا في المانيا بعيدا عن كل مسؤولية اخرى.

كرر رونشتد مرات كثيرة بان الموقف اصبح خطيرا منذ ابتداء الحملة على روسيا، وفي سنة (١٩٤٣) لم يعد بالامكان تبديل هذا الموقف الخطير لقد ازدادت منزلته علوا في نظر رجاله، لأنه لم يتركهم وحدهم في ساعات المحنة.

ما أسعد البلاد التي تمتلك مثل هؤلاء الرجال الذين. . . يخدمونها بدون أمل في أمجاد يكتسبونها.

كنت قد رجوت في تموز (١٩٤٤)حينما سرح رونشتد أن أنقل الى القطعات الفعالة، وقد رفضت القيادة العليا رجائي، الآن في بداية ايلول (سبتمبر) أجيب طلبي، فكان خلفي اللواء (ويستفال) وهو ضابط قدير ذو تجارب عظيمة في إفريقية وايطاليا. تسنمت اولا قيادة فيلق ثم تسنمت من بعد ذلك قيادة جيش من الغرب. لقد أسف كلانا لهذا الفراق، ولكن بأمر هتلر لم يكن بالمستطاع تبديل شيء. وفي يوم ٥ ايلول إلى المقر التعبوي للقيادة الغربية في (آرن بيرك) بالقرب من (كوبلنز) فحيا الضباط وضباط الصف والجنود قائدهم العام القديم بسرور زائد.

لقد كانت القطعات تحس تماما فيما اذا كانت تعمل بأمرة قيادة حكيمة أو غير حكيمة!!!

وقد أحيط رونشتد علما بتفاصيل الموقف العام، إذ كان رئيس هيئة ركنه الجديد اللواء ويستفال يعمل في مقر هتلر.

وفي يوم ما من بعد ذلك، كتب رونشتد آراءه حول الموقف:

«الآن ونحن في بداية أيلول سنة (١٩٤٤)، ماذا من المحتمل أن يفعله الحلفاء؟ يمتد الخط الرئيس للحركات كما ذكرنا سابقا من نورماندي الى جانبي باريس والى كلا جانبي (الآخن) باتجاه مقاطعة الرور ونحو شمالي المانيا والى الداخل باتجاه برلين، لذلك فان المانيا وليس جنوبها هو المنطقة الحيوية في القتال..

«لقد عقب البريطانييون خط حركاتهم الخاص مخترقين بلجيكا الى الراين الاسفل باتجاه شمالي المانيا وسواحلها، وكان الفرنسيون مع قوات امريكية ضعيفة يتقدمون الى الامام نحو الالزاس على الراين باتجاه جنوبي المانيا حسب خطتهم التقليدية منذ ايام لويس الرابع عشر، فما الذي سيقوم به القسم الاعظم المتبقي من القوات الضاربة الامريكية الان؟ هل سيعمل بالتعاون مع جحفل الحلفاء الجنوبي اي باتجاه ثغرة (فرانكفورت)، ام انه سيعمل بالتعاون مع القوات البريطانية باتجاه (اخن ـ الرور ـ برلين)؟؟ اعتقد ان القسم الاعظم من القوات الامريكية ستتقدم كلها باتجاه الشمال الشرقي عبر خط (ترير ـ اخن) باتجاه مقاطعة (كولون ـ رور) جنوبا نحو شمالي المانيا، وذلك بعد وصول الحلفاء الى الحدود الالمانية، وبذلك فان المانيا التي لم تتعرض للهجوم قد تسقط حينذاك من تلقاء نفسها. . .

«وحينما اتضح مجرى الحركات بعد ذلك تبين ان وجهة نظري في حينها كانت صحيحة. لقد اعتقدت بطبيعة الحال ـ دائما ـ بان الحلفاء سيبذلون كل ما في وسعهم للوصول قبل الروس الى برلين، لاجل منع الروس من التوغل بعيدا جدا عبر الاودر الى الغرب، وليس من اجل اعتبارات المثل العليا الغربية، اما ما يكمن في طريق هذه الحركة من الدسائس السياسية فخارج عن نطاق معلوماتي». . .

ان نظرة رونشتد هذه المتعلقة بافضل خطة للحلفاء في خريف (١٩٤٤) ممتعة جدا،

لان هيئات الركن البريطانية والامريكية والفرنسية والكتاب العسكريين انهمكوا انهماكا في بحث هذه القضية. ان من الواضح ان المشير مونتكومري كانت له افكارا مشابهة لافكار رونشتد، فقد ذكر مايمكن ان يحدث في الجانب الالماني في ايلول كما يلي:

«ان الواجب الرئيس للقيادة الغربية، هو ايقاف حركة الانسحاب العامة وتوطيد اركان الجبهة. ونظرا لتدخل القيادة العليا المعتاد، فليس من المحتمل ان تنجح هذه المحاولة الا نجاحا جزئيا. ان هولندا التي تقع في الزاوية اليمنى من الجبهة الرئيسة، كان يجب يحتفظ بها بأي ثمن بدلا من اخلاء القسم الاكبر من هذه البلاد بصورة منظمة وابقاء التماس القسم الباقي منها في الضفة الشرقية لبحيرة (يسل) ونحو الجنوب الى الراين الاسفل.

«اما ذلك الخليط غير المنظم من الوحدات الذي اطلق عليه بالجيش التاسع عشر والذي زج به اعتباطا، فقد كان ينبغي الاحتفاظ به على ابعد مايمكن الى الغرب طالما ان هتلر امر الجيش المدرع الخامس ان يقوم بهجوم عديم الجدوى باتجاه سهل (لانكرس) نحو مؤخرة الامريكان...

«كان على الجيش التاسع عشر ان يحتل باسرع مايمكن خط: - السفوح الغربية لجبال الفوج - بلفورت، لكي يعيد تنظيمه قبل كل شيء هناك، وليتمكن من ابداء مقاومة عنيفة بالتعاون مع الجيش الاول الذي كان على اهبة الاستعداد الى الشمال من ذلك في اللورين. لقد كان قسم من القوات المدرعة المتيسرة مجهزة تجهيزا غير ملائم ابدا للتعرض، حتى ان حشده لم يتم بعد. لقد كان ينبغي ان تكون القوات المدرعة خلف الجبهة في المركز الحيوي للقوات الاحتياطية المخصصة للهجوم المقابل، على ان يكون اكثرها بطبيعة الحال في شمالي الموزل في المنطقة الكائنة شرقي (اخن) حيث افتقدت هنا حين تبين اخيرا ان لحاجة اليها حاجة قصوى لامندوحة عنها»..

عبر رونشتد عن ارائه بنظر الاعتبار الامكانات الدفاعية الموجودة حينذاك كما يلي:

«اني استطيع ان امر مر الكرام على حقيقة ان (الجدار الغربي) غير ملائم، فقد كان من ابرز عيوبه امتداده الواقع في القاطع الجنوبي حوالي (شاربورغ)، فهنا كان ينبغي ان ينشأ خط يوصله بالسفوح الغربية لجبال (الفوج) باتجاه (بلفورت) قبل وقت مناسب. لقد كان هذا الخط مؤشرا على الخريطة، ولكنه لم يشيد ابدا. لعبت قلعة ميتز نفس الدور المحزن الذي لعبته قلاع الساحل الفرنسي من قبل، وذلك في القتال الذي نشب فيما بعد، فلم يتخذ اي قرار للتخلي عنها في الوقت المناسب بعد ما اصبحت بالتدريج لافائدة منها للخط العام من جبهة القتال. وقد استمرت هذه القلاع على ابتلاع قوات تزداد باطراد دون ان نستطيع ايقاف العدو.

«لم يهيأ اي شيء للدفاع عن الراين، ولم تؤمن حماية معابره، وكان قادة الاقاليم المدنيون النازيون قد انشأوا مواضع دفاعية بمعاونة السكان المدنيين في غربي الراين بين الجدار الغربي والنهر، ولكن هذه المواضع كانت عديمة القيمة من الناحية العسكرية. لقد كانت

فكرة انشاء هذه المواضع حسنة، ولو انهم اقاموا بدلا منها مواضع دفاعية في الضفة الشرقية من الراين وفي رؤوس الجسور السوقية وبمقياس اوسع في الضفة الغربية، لكانت اكثر فائدة واجدى نفعا، وليس من السهل الدفاع عن الراين ابدا لاسيما على وجهة نظر المدفعية، وفضلا عن ذلك فان الراين في جميع اقسامه لايشكل مانعا مؤثرا بالمعنى الصحيح. وهنا كان من الضروري وجود سلسلة مسؤوليات من القيادة الواضحة المعالم ووجود توجيهات خبيرة بالعمل، وعندما جئنا لنعمل كان الوقت متأخرا جدا...

«من كل هذا تظهر وجهة النظر العسكرية، ان المقاومة العنيفة يجب ان تستمر اطول مدة ممكنة وعلى ابعد مايمكن في الغرب، لمحاولة كسب الوقت؛ وحينذاك كان بالامكان اجراء الانسحاب الى خلف الراين من بعد هذه المقاومة طوعا وفي الوقت الملائم كما جرى الانسحاب بعد ابادة القوات الالمانية الامامية المتيسرة ابادة تامة تقريبا، لا لسبب الا للاحتفاظ بكل شبر من الارض ليس الا»!...

وعندما عاد رونشتد ثانية الى القيادة الغربية في مستهل ايلول (١٩٤٤)، كانت الجبهة بكاملها ممتدة تقريبا كما يلي: -

(اوستند - انتويرب - ليبج - ماستريخت - ليبج - دولة لوكسمبورغ - ميتز - نانسي - والى الجنوب من ذلك)، ولم يكن هناك اي اتصال من بلفورت حتى الحدود السويسرية، وكان ينبغي الزج بالجيش التاسع عشر من جنوبي فرنسة الى هذا القاطع الذي لايزال مفتوحا والمؤدي الى (الالزاس - بلفورت)، ولكن هذا الجيش كان في تلك الايام لايزال يقاتل بعيدا الى الغرب من ذلك.

لقد كان بامرة القيادة الغربية في هذه الجبهة بكاملها جحفلا جيشين:

أ - جحفل الجيش (ب) بقيادة مودل يضم اليه الجيش الخامس عشر وجيش المظليين والجيش السابع.

ب - جحفل الجيش (جـ) بقيادة بلاسكويتس يضم الجيشين الاول والتاسع عشر.

وكان الحد الفاصل بين جحفلي الجيشين ممتدا من (هزدن) مخترقا (بيت بيرك) الى اندرناخ) على الراين. كانت حالة القطعات تختلف اختلافا عظيما، اذ كانت لاتزال هناك فرق ذات قوة حربية متهيئة للعمل، ولكن كان هناك ايضا فرق وهمية لاوجود لها. وكانت الفوضى ضاربة اطنابها في بعض النقاط كما يحصل دائما عندما تضطر القطعات الى تراجع قسري لمديات بعيدة، هذه الفوضى التي تحصل دائما دون ان تكون بتقصير من الجيوش. ان الجيش الذي يسحب في الوقت الصحيح حسب خطة منظمة رصينة اخذا مبدأ (الاقتصاد بالمجهود[1] بنظر الاعتبار، لن يصاب برجة عنيفة مؤثرة فيها اذا كان مؤلفا من قطعات جيدة، ولا يضر التراجع بسلوك ومعنوية الجندي الاحينما يشعر بان لا خطة مرسومة يستند اليها الانسحاب... ولا هدف...

---

(١) الاقتصاد بالمجهود: مبدأ من مبادىء الحرب، وهو استخدام اصغر القوات للامن او لتحويل انتباه العدو الى محل اخر، او صد قوة معادية اكبر منها مع بلوغ الغاية المتوخاة. وكان يطلق على هذا المبدأ سابقا: الاقتصاد بالقوة.

ان السبب الرئيس لهذه الفوضى المحلية يعود الى الطلب المستحيل: «اثبت في محلك...»، وكانت نتيجة ذلك حينئذ ان القطعات قاتلت حتى تم تطويقها، ومن ثم استلمت امرا لاختراق الطوق في اخر لحظة، وكان ثمن ذلك خسائر كبيرة في الرجال والمعدات، كما ان الثقة بالقيادة العليا وهنت...

لاعجب اذا في ظهور امارات التفكك في نقاط معينة خلال هذا القتال التراجعي، دون ان يكون سببه نقص كفاية الجنود، ولكن رونشتد كان يستطيع ان يدعي شيئا واحدا: لم يحدث اي تمرد ولم يبد ضبط رديئ.. وهذا يختلف تماما عما حصل عام (١٩١٨).

لقد كانت معجزة ان هذه القطعات المنهوكة الباسلة، لم تظهر الا بعض الوهن القليل في سلوكها ومعنويتها. صحيح ان القطعات كانت متعبة بل منهكة، وفي حالات كثيرة متبلدة، ولكنها كانت محتفظة كلها بعزمها على القتال، وقد بدت هذه الظاهرة غير مفهومة في المحافل الاجنبية، اذ طلبت هذه المحافل تقارير مسهبة عما اعتبرته معجزة. لقد كان الامر مختلفا تماما عام (١٩١٨)، في حين لم تكن وقتذاك سيادة جوية معادية ولا حرب قصف...

فقد استطاع هندنبرغ ولودندروف ان يديرا الحركات ادارة غير مقيدة، وتمكنا من ان يسحبا الجبهة بصورة منتظمة وفي وقت مناسب.

كان رونشتد يعلم ان الحرب قد خسرت من الناحية العسكرية، وان السياسيين يسيرون في اتجاه سلبي، ولكنه من وجهة نظر ثانوية وعسكرية ايضا لم يكن هناك غير حل واحد معقول، وهو ما ادركه المشير حال وصوله: ان يصدر امرا الى جحفلي الجيشين دون اي تردد بسحب جبهتيهما الى الخط المباشر: (زوول (في الزوايد رزي) - يسل - آرنيم - موز - الجدار الغربي السفوح الغربية لجبال الفوج - بلفورت) مجتنبين كل قتال غير ضروري، مع ابقاء مؤخرات تعيق تقدم العدو، وحين ذاك يتيسر الوقت للقطعات المنهكة ان تستعيد حيويتها ويعاد تنظيمها وترصن دفاعاتها وتحتل مواضع محددة بعناية، متصلة مع بعضها بنقاط مثبتة، وكان مثل هذه الجبهة القصيرة المستقيمة يؤمن دفاعا رصينا ذا احتياط سيار، ويمكن الموضع الجديد من الحصول على درجة من العمق الذي بدونه لايمكن انجاز الدفاع، وكان ينبغي لكافة الفرق المدرعة كافة وفقا لتوجيه نظر رونشتد ان تكون قد احتلت مواضعها خلف هذه الجبهة بشكل احتياطات سوقية كبيرة.

حينئذ كان يمكن ان يؤمل بان الحلفاء سيحتاجون الى وقفة قصيرة لتهيئة هجومهم المدبر، فينتفع المدافعون الالمان بهذه الوقفة.. ولكن ما الفائدة من جميع هذه الافكار عندما يكون امر تطبيقها الفعلي معرضا لان يغرق في كلمة: (لا) التي ترددها القيادة العليا دائما!!!

اراد رونشتد كما ذكرنا سابقا ان يخلي هولندا، وان يسحب الدفاعات كافة الى خط مستقيم ليقتصد في استخدام القوات. ولنتفهم البحث من جميع اطرافه، ينبغي ان نذكر الاسباب التي وازن بينها هتلر لاجل الاحتفاظ بالاراضي المنخفضة اطول مدة ممكنة، فقد رأى هولندا اخر معقل غربي يمكن الاحتفاظ به خارج الحدود الالمانية، فهل امل هتلر ان

ينال بالاحتفاظ بها شيئا ما بالمجهود السياسي؟ ان رونشتد لم يكن يعلم عن ذلك شيئا ما، اما من الناحية الظاهرية فيبدو ان الامر لم يكن كذلك، لان الموقف الذي وجدت المانيا نفسها فيه لم يكن ليساعدها على فرض شروط على خصم منتصر، بل ان هذه الشروط تفرض من الخصم المنتصر وحده. لقد كان ينبغي وجود رجال دولة ذوي نظر بعيد جدا ليقوموا بمباحثات صلح مع المانيا في سنة (١٩٤٤)، ولكن المنتصر عادة يستثمر الموقف الخطير لخصمه، كي يأخذ من خصمه شيئا ما غصب واقتدار. ترى! ايعتبر ذلك في مثل هذا الموقف رشدا ام خطلا؟ ذلك مالا يمكن مناقشته هنا!.. على كل حال كان رونشتد يعلم بان العدو لم يعد ليتنازل بعد اليوم، وفضلا عن هذا لم يعد ليستطيع ان يفعل ذلك، اذا كانت الاتفاقيات الشاملة مع موسكو[1] قد ابرمت ولايمكن تبديلها، وليس لهولندا تأثير ما على الامر من الناحية السياسية وحتى ولو بقي هتلر يفكر في امكانية وجود شيء من ذلك.

ولربما كان للاحتفاظ بالاراضي المنخفضة سبب اقتصادي، ولكن هولندا نفسها كانت تعاني في مدنها الكبيرة الغربية ازمة غذائية، فكان على الشرق الاوفر ميرة ان يمد غربي هولندا، كما كانت قواعد اسلحة النصر قد انشئت في شمال غربي هولندا، مما يجعل التخلي عن هذه المنطقة وعن هذه الاسلحة البعيدة المدى خسارة ايضا، ولكن علينا ان نتذكر مقابل ذلك ان هذه الاسلحة في مرحلتها التي كانت قد وصلتها حينئذ، لم تكن ابدا عاملا حاسما في الحرب، كما ان فكرة الاحتفاظ بقاطع اخير في الساحل الغربي والضغط على انكلترا عبر القنال قد اصبحت في خريف (١٩٤٤) هراء! وحتى الساحل الهولندي لم يعد قادرا على تصريف ما حل من قضاء وقدر.

بقي سبب عسكري محض، فقد كان الحلفاء في تعرضهم نحو الشرق قد وصلوا على العموم خط (بلفورت - فوج - ميتز - ليوتنج)، وكانت بعض وحداتهم قد استدارت نحو الشمال باتجاه الراين الاسفل، وكانت هذه القوات ضعيفة نسبيا، وكان جناح قوات الحلفاء ينكشف تدريجيا بكل خطوة يخطونها نحو الراين. ربما كانت هناك فكرة ما عن الهجوم الالماني من هولندا باتجاه الجنوب مستهدفا (انتويرب) بجناحه الايمن، وبذلك تطوق جبهة الحلفاء بكاملها سوقيا من الشمال؛ ولكن مثل هذه الخطة الجريئة كانت مبنيةلا على فرضين لم يعودا ميسورين في عام (١٩٤٤): اولهما ان تكون هذه القوات قوية جدا ومجهزة تجهيزا متميزا وان تكون بقوة جيشين على الاقل، وفضلا عن ذلك فلن تكون هذه الخطة مجدية الا بعد تقوية القوة الجوية الالمانية تقوية ذات شأن. ومن ثم كانت هناك ايضا الصعوبات الفنية الناجمة عن عبور الروافد العريضة للراين الاسفل والموز ومناطقهما المغمورة بمياه الفيضانات، وهنا ايضا لم تكن الوسائط الفنية لعبور جيوش كاملة عبورا سريعا متيسرة

---

(١) اي الاتفاقيات بين موسكو من جهة، والحلفاء من جهة اخرى.

كذلك في عام (١٩٤٤).
وكان رأس الجسر الجبار في هولندا الذي سبب تبذيرا هائلا في القوات، قد اصبح - وفقا لرأي رونشتد - عقيما من وجهة النظر العسكرية، لانه لم يعد مستندا على اي غرض سوقي، وفي مقابل ذلك ادرك رونشتد حينئذ بوضوح - وهو ما كان على كل حال واضحا وضوحا لابأس به - انه ستأتي في يوم ما اللحظة التي سيعبر فيها الحلفاء نهر الراين بين (ويسل) و (امرج) وسيقومون حينئذ بالاندفاع الى الامام بكل بساطة نحو الشمال باتجاه (ايمدين) و (سوول). ان نظرة الى الخريطة تظهر ان جميع القوات الالمانية التي وضعتها القيادة الالمانية في هولندا ستقع في الفخ حينذاك، دون ان تستطيع الانسحاب شرقا في الوقت المناسب.

لقد سبق لرونشتد تقديم عدد من التقارير حول الموقف في هولندا الى هيئة الركن الالمانية العليا في خريف (١٩٤٤).
كان الراين السبب النهائي والرئيس في آن واحد لتقاعد رونشتد النهائي في مارت (١٩٤٤)، اذ تركزت بفضل اختباراته العظيمة في حربين عالميتين ضروسين رويدا رويدا في تفكيره وجهة نظر هي: «ان الانهار والجداول من الناحية السوقية، لايمكن ابدا ان يحتفظ بها امدا طويلا من الزمن، ولكن يمكن الاحتفاظ بها تعبويا فقط ولمدة محدودة من الزمن»..
ان نهر الراين هو النهر الوحيد في غربي المانيا بين سويسرا والبحر الشمالي يمكنه ان يكون عائقا في اعين الناس الاعتياديين فقط وبالنسبة الى الخريطة ايضا، ولكن الحقيقة ان هذا هذا النهر في امتداداته العليا بين (بازل) و (ميتز) ليس الا مانعا صغيرا، اما في حوضه الاوسط بين (بنجن) و (كوبلنز) فليس بشيء على الاطلاق.
ان الراين الاوسط علاوة على ذلك ملتو الى درجة يصعب معها حتى الدفاع التعبوي عنه، اما في حوضه الاسفل فقط حوالي (بون)، فانه عريض نسبيا، ولكنه ليس كعرض (الفستولا) و (الدنيبر) و (الدون) والانهار الاخرى باي حال من الاحوال. ولكن اذا كانت نية هتلر الدفاع عن الراين باعتباره اخر معقل، فقد كان عليه ان يأمر بتحصين ضفته الشرقية عام (١٩٤٣)، الا ان هذا لم يحصل!!
لم يتيسر من (كارلس روها) الى (ويسل) حتى ولا تحصينات ميدان. لقد كان الدفاع عن الراين وهميا!...
ومرة اخرى كان هناك الغموض في العلاقات بين القيادة الداخلية، فالراين يجري في تربة المانية، لذلك لم تكن السلطات المحلية الداخلية المسؤولة ومقرات الفيالق العاملة منشغلة بهذه الناحية فقط، بل ان القادة السياسيين النازيين في اقاليم الراين زجوا انفسهم في هذا المضمار ايضا: لقد ساعد الجميع على عرقلة دفاعات الراين، وكل ذلك جعل جهد رونشتد غير المشكور في الاحتفاظ بالنهر اكثر صعوبة.
لقد تقرر بعد مداولات طويلة ان تكون هذه السلطات في جميع اغراض الدفاع عن

النهر، فاصبح رونشتد على الاقل قادرا الان على اصدار وصايا عامة للدفاع عن الراين، على الرغم من انه اصبح مفهوما لديه ان الوقت لذلك بات متأخرا للغاية. لقد قسم النهر على الخريطة الى قواطع، ووضعت هذه القواطع بامرة من اطلق عليهم: (آمروا الراين)، وانعقد العزم على انشاء مناطق محصنة اخرى لتكون رؤوس جسور في معابر الراين، وشكلت وحدات انذار لتكون قطعات امن احتياطية؛ وقد كانت الكفاية العسكرية لهذه الوحدات هزيلة، لانها كانت مؤلفة من رجال الشرطة والعمال ورجال الحرس الوطني... وبدأ باقامة التحصينات، وكانت الاسبقية للمعابر ثم للقواطع المهمة من النهر؛ وعندما وصل الحلفاء فيما بعد الى نهر الراين، وكانت هذه التحصينات بطبيعة الحال تافهة جدا، لان الوقت كان قصير للغاية.

ان حوادث الجانب الالماني في الغرب خلال سنتي (١٩٤٤ - ١٩٤٥) تمثل معركة خاسرة يخوضها جيش تخلى عنه السياسيون، وبدت في الافق امارات حلول النكبة، وازداد الضغط عليه شرقا وغربا، وكان الروس يندفعون مسرعين باتجاه الحدود الالمانية الشرقية والى الجنوب نحو منطقة هنكاريا.

كان الحلفاء يشددون الخناق في شمالي ايطاليا، وكان العدو يتدفق بتجاه الحدود الالمانية الغربية، واصبح سهلا للقوة الجوية الحليفة ان تركز قصفها من اربع جهات على ساحة الحركات التي لا تنفك تضيق تدريجيا، وكان نظام السابلة لهذه القلعة المطوقة يزداد ارتباكا من اسبوع الى اخر، مما جعل نقل القوات الكبيرة الى الجبهات المختلفة اكثر صعوبة مما كان عليه من قبل، كما عانى الانتاج الصناعي ونقل الفحم والحديد والمواد الخام الاخرى الامرين من تزايد هجمات الحلفاء الجوية الموحدة.

وعلى الرغم مما حاق من تدمير ومحن وشدائد، فلم تلن قناة معنويات السكان وارادتهم على المضي في المقاومة كما كان من المتوقع حقا ان يحدث، وقد برهن ذلك على درجة المقاومة العالية التي يستطيع السكان ابداؤها.

لايمكن في هذا الكتاب وصف اشهر المأساة الاخيرة التي جرت خلال قيادة رونشتد في الغرب بتفصيل واف، ولكننا سنقتصر على ذكر الحوادث الرئيسة.

شهد شهر ايلول (سبتمبر) عام (١٩٤٤) استئناف القتال على جبهة اعيد توحيدها في الغرب. لقد ادى امر القيادة العليا الذي ينص على الاحتفاظ بكل شبر من الارض الى ازمات محزنة على اقصى جناحي جبهة القيادة الغربية، ووجد الجيش الخامس عشر نفسه في موقف خطير في جنوبي هولندا وشمالي بلجيكا. وفي اللحظة الاخيرة سمح له بالانسحاب الى خلف (سكليدت)، ولكن انسحابه هذا كان في الحقيقة اختراقا الى الخلف لا انسحابا.

ونجح جحفل الجيش (ب) اخيرا وبصعوبة في تشكيل جبهة متصلة تقريبا مشروطا ذلك بطبيعة الحال بالاحتفاظ بهولندا. كما نصت الاوامر في الجنوب على الثبات في (فيسول) ومنطقة (بيسانكون)، وقد انحنت قوات الجيش التاسع عشر الضعيفة الى الامام تماما وكانت قد احيطت من ثلاث جبهات، فاذا لم يجر الان سحبها فورا فربما قطع خط رجعتها

في غرب (بلفورت)، ولن تكون بعد هذا قادرة على المرور خلال ممر (البركندي) نحو (الالزاس العليا)، وبذلك يستطيع العدو ان يتقدم دون مقاومة خلال (بلفورت) نحو الشرق الى الراين. وهنا كان الموقف شبيها بالموقف الذي حدث في حزيران في مستهل هجوم الحلفاء على (شاربورغ)، ولكن على مقياس اوسع... ومع ذلك فان الجناح الجنوبي لجبهة الجيش التاسع عشر تمكن في اخر لحظة ان يتخلص فينسحب الى (الفوج) الجنوبية نحو (بلفورت)، وبهذا العمل اتصل بالجيش الاول في الشمال، بينما استند في الجنوب على الحدود السويسرية.

نجح رونشتد وجيوشه اخيرا على الرغم من اوامر هيئة ركن القيادة الالمانية العليا التي جعلت من فن الحرب مهزلة ـ نجح اخيرا في ان تنشأ على الاقل جبهة متماسكة تماسكا مهلهلا، وكان يتوقع خلال هذه الاسابيع يوميا ان يخترق الحلفاء هذا الخط الواهن اختراقا حاسما.

كيف كانت تترءى هذه الجبهة؟ انها تتألف من القطعات التي قاتلت منذ ابتداء الغزو في حزيران، اذ لم ينقل الى هذه الجبهة منذ ذلك الحين غير عدد قليل من الفرق، وكانت القطعات الالمانية التي هوجمت هجوما مدمرا من الجو وشددت جيوش الحلفاء الآلية المتميزة، عليها الخناق، وبعد دفاع باسل كانت تدفع الى الخلف نحو الشرق تدريجيا، وقد اخذت هذه الفرق المزودة بنقلية من الحيوانات بالتلاشي متأثرة بالضربات الكاسحة المتلاحقة من خصمها المتفوق، حتى لم يعد لكثير من الفرق وجود بالمعنى الصحيح، بل بقي منها جماعات قتال مؤلفة من بضعة آلاف من الرجال، وحتى هذه التشكيلات المختلفة كثيرا ما كانت تتألف من جنود يمتون الى كافة انواع الوحدات المتيسرة... تنظموا وتشكلوا تماما كما وجدوا انفسهم اثناء القتال!!

كانت فرق المظليين (الجيكر) لاتزال لاتمتلك درجة عالية من الكفاءة الحربية، وكانت هناك بعض الفرق المدرعة لاتزال بحالة تمكنها من معالجة الحالات الاضطرارية، ولكن لم يكن لدى اقوى الفرق اكثر من اربعين الى خمسين دبابة. وقد ازدادت صعوبة القتال التراجعي من جراء امر هتلر ذي اللحن المكرر: (اثبت مكانك)، فلا عجب ان تصل هذه الفرق الخليط اشتاتا كي تباد في الجدار الغربي، وهنا ايضا كانت تبدو امارات تدل على التفكك في نقاط مختلفة من الجبهة.

فلماذا لم ينتهز الحلفاء الغربيون وقتذاك هذه الفرصة السانحة؟ لم يكن عليهم الا ان يتجهوا نحو المنطقة الحيوية، ويخترقوا الجبهة الالمانية الواهنة فيبددوها، اذ لم يكن هناك اي شيء يستطيع صد تقدمهم!... لقد توقع رونشتد هجوما كبيرا انكلوا ـ امريكيا باتجاه الشمال الشرقي عبر مقاطعة (ايخن ـ رود) والى برلين، وقد كانت بالنسبة اليه معجزة ان العدو منحه فرصة اخرى تمكنه بصورة وقتية ليركز موضعه على الحدود الالمانية الغربية.

من الواضح انه كان للقادة الغربيين من الحلفاء اسبابهم، فربما اعتقدوا ان الجدار الغربي كان مانعا لايمكن اقتحامه بسهولة، ولربما تصوروا ان الجيش الالماني ينهار حالما

يصل الحلفاء الوطن الالماني، ومن الممكن ايضا انهم جابهوا صعوبات تموينية لاسيما تموين التشكيلات الآلية، فاضطروا الى التوقف ردحا من الزمن عن الحركات. . . دارت هذه التصورات في خلد القيادة الغربية الالمانية وقتذاك، لان الاسباب الحقيقية لتوقف العدو لم تكن معلومة في سنة (١٩٤٤).

لقد كانت المدة من ايلول الى بداية تشرين الاول (١٩٤٤) على العموم مدة ترصين لجبهة القيادة الغربية على الرغم من القتال الموضعي الشديد. . . لم يفقد رونشتد مطلقا على الرغم من قلقه على جبهته الطويلة الممتدة من بحر الشمال الى الحدود السويسرية تفهمه للموقف العام المحيط بالمانيا، فلو ان الجبهة الغربية بقيت ثابتة فان الجبهة الشرقية والجنوبية الشرقية والجنوبية قد تنهار. . لقد كان هذا ـ بكل بساطة ـ الصراع النهائي حول قلعة جبارة مقفلة تدعى: (المانيا). . .

قدرت خدمة الاستخبارات الالمانية التي كانت تعمل في انكلترا وجود حوالي ثماني الى تسع فرق محمولة في بريطانيا، وقد زج بما يقرب من نصف هذه القوة في نورماندي، فأين بقي النصف الاخر الان؟ وهل ان الفرق التي سبق زجها في ايلول جاهزة اليوم للعمل مرة اخرى؟ لقد توقعت القيادة الالمانية العليا اثناء قتال الانسحاب في فرنسة استخدام الحلفاء لتشكيلات سوقية كبيرة من القوات المحمولة جوا على بعد عظيم من مؤخرة الجيوش الالمانية المتراجعة.

ايقنت القيادة الغربية الالمانية ان انزالا جويا للعدو قد يحتل اماكن حيوية في جبهة (الجدار الغربي) او قرب(بلفورت)، لتكون حاضرة للاشتباك ضد القوات الالمانية المتراجعة، وقد ادركت القيادة الغربية الالمانية في اواسط شهر ايلول (سبتمبر) ان البريطانيين والكنديين يستحضرون لتعرض على الاقسام السفلى من الراين، فقد دلت البرقيات المسترقة على ان العدو صور تصاوير جوية لمعظم المعابر الهامة القائمة على الراين الاسفل، فاستدلت القيادة الغربية الالمانية من هذا على احتمال وقوع انزال جوي في زاوية الراين بين (ايمرج) و (ارن هايم) اي على الضفة الشمالية للنهر، وكان جيش المظليين الاول موجودا في هذا القاطع. وفي يوم ١٧ ايلول حدث ما كان متوقعا. . . لقد كان الجو مشمسا جميلا كما كان يوم (احد) وفيه ـ كما تعلمنا من تجارب الحرب ـ غالبا مايحدث شيء ما! . . . وكان مقر جحفل الجيش (ب) بقيادة المشير مودل قد سبق ان نقل الى (آرنيم) احتياطا للطوارىء، وفي الساعات المبكرة من ذلك اليوم القت الوجبات الاولى من الهابطين على مقربة من المقر، فاشتغلت خدمة التقارير الالمانية بصورة جيدة ورصدت الطائرات الاخرى باستمرار. . .

كانت منطقة انزال المظليين والقطعات المحمولة جوا للحلفاء كبيرة جدا، اذ شملت (آرنيم ـ كليفس ـ هوفن ـ تييل)، ولكن اين هو الانزال السوقي في الراين الاسفل الذي توقعه الالمان؟

كان رونشتد يرى الا معنى للانزال من الجو الا اذا كانت له غايات سوقية، اي احتلال

معابر الراين، والا اذا اعقبه هجوم رئيس يقوم به الجيش الواحد والعشرون البريطاني من البر.

لم يكن لدى الالمان في هذه المنطقة احتياطات كبيرة، وكان جيش المظليين الالماني الاول ضعيفا، وكان الجيش الخامس عشر الالماني لايزال مشتبكا في عبوره مصب نهر (الجلديت)، فكان من الضروري ارتجال ماتدعو الحاجة اليه سريعا لمقاومة الهابطين، فاستجلبت قطعات من الجيش الخامس عشر وقطعات من وحدات القائد العام للجيش الالماني في الاراضي المنخفضة، كما استجلبت حتى من المنطقة العسكرية السابعة التابعة للجيش الاقليمي.

لقد كان رونشتد مسرورا، لان القائد النشيط مودل المشبع بروح العزم الهادىء دائما في الملمات، كان على مقربة من المنطقة المهددة، وقد حالفنا الحظ مرة اخرى، اذ استولينا على اوامر حركات كانت في زلاقة تعود للقطعات المحمولة جوا، وبعد وقت قصير كانت تلك الاوامر بين يدي القائد العام لجيش المظليين الاول الفريق (ستودنت). ان مما يلفت النظر كثرة استيلاء الجانبين على اوامر حركات هامة ما كان ينبغي ان تكون في حوزة قطعات الصولة، وما من شك في ان الاطلاع على هذه الاوامر سهل تدابير الالمان المقابلة. نسق المشير مودل والفريق ستودنت واكملا جميع الاستحضارات في ساعات بعد الظهر ومساء يوم ١٧ ايلول لمعالجة الموقف الناشىء من نزول العدو جوا، وكان الموقف في هذا اليوم لايزال غامضا بالنسبة للقيادة الالمانية العليا، وذلك للامتداد العظيم لانزال البريطانيين الجوي وانتشاره مجموعات متباعدة بعدا شاسعا.

لم يتحقق هجوم الجيش البريطاني الثاني المتوقع برا، وكانت القيادة الغربية قد خمنت قوة هذا الجيش بحوالي الست الى السبع فرق مشاة واربع الى خمس فرق مدرعة وبضعة الوية مدرعة؛ وقد خمنت القيادة ان هذا الجيش سيكون معابر للراين بين (ويسل) و (آرنيم)، ومن الصدف ان كان فيلق الصاعقة الالماني الثاني المدرع الذي يتألف من الفرقتين الصاعقتين التاسعة والعاشرة في شمالي (ررنيم)، وكانت هذه التشكيلات قد وهنت وهنا عظيما نتيجة للقتال السابق. وكان هذا الفيلق في هذه المنطقة يستجم من وعثاء الحرب ليعود من ثمة الى المانيا، وكان بعض وحدات هذا الفيلق في المحطة استعدادا للسفر... فاستدعيت!!!

وفي يوم ١٨ ايلول كان هجوم الجيش البريطاني الثاني الذي تقدمت دباباته شمالا حتى (ايترهوفن)، فاستطاعت ان تحصل على التماس بالقوات الهابطة هناك. وفي نفس اليوم تزايدت تدريجيا الانزالات المعزولة قريبا من شمالي (آرنيم)، وقد امكن تمييز هوية الفرقة البريطانية الاولى والفرقتين الامريكيتين الثانية والثمانين والواحدة بعد المائة المحمولات جوا، وقد اشترك في الانزال ايضا - استنادا الى تقارير الوكلاء - لواء بولندي.

لاح فجر يوم ١٨ ايلول دون ان يحصل اي الفريقين نتيجة ما، وقد نشب خلال الايام القليلة التالية قتال عنيف لاسيما عندما حدثت انزالات اخرى بالقرب من (آرنيم) وفي يوم

٢٣ ايلول، وقد استمر القتال حتى يوم ٢٦ ايلول...

نجح الجيش البريطاني الثاني بصورة عامة في الاندفاع نحو الراين الاسفل، ولانعرف فيما اذا كانت الاوامر الي تلقاها على ان يقتصر تقدمه حتى الراين، وبذلك يؤمن حماية جناح التعرض من بعد، ام انه كان ينبغي له ان يستمر مندفعا عبر الراين.

ان سر نجاح الالمان هو في احتفاظهم بالارض التي كانوا يحتلونها في (آرنيم) بوحدات مختلطة واهنة للغاية، ولكنها استطاعت التغلب على الفرقة البريطانية الاولى المحمولة جوا بعد قتال ماكر عنيف جدا...

على كل حال، فقد كانت هذه الفرقة في رأي الالمان فرقة باسلة صعبة المراس، وكانت الخسائر في الطرفين جسيمة. ان نسبة القتلى من الالمان في المعارك التي دارت في ١٧ ايلول - ٢٦ ايلول كنسبة قتيل الى ثلاث جرحى من بين مجموعة الخسائر التي بلغت ثلاثة الاف رجل، وهذا يثبت طبيعة ضراوة هذا القتال.

كان هذا القتال - في رأي رونشتد - من ناحية سوقية غير ذي جدوى، وكانت خدمة الاستخبارات الالمانية لاتزال تحصي حوالي سبع او ثماني فرق محمولة جوا؛ وفي نهاية ايلول (١٩٤٤) فرضت وجود فرقتين امريكيتين في انكلترا جاهزتين للعمل ايضا. وكان من رأي رونشتد استنادا الى ظروف الجيش الالماني في الغرب عام (١٩٤٤) ان انزالا سوقيا من الجو على الراين بجميع التشكيلات المتيسرة قد يكون له تأثير حاسم اذا ماصاحب الانزال في آن واحد هجوم بري، ولكن من الصعب جدا ان تعرف المقصد الحقيقي للعدو كما تنص عليه تجارب الحرب منذ القديم، وعادة يعتبر العدو اقوى مما هو، ومع ذلك فقد اثبت قتال ايلول هذا ان حتى القطعات الالمانية ذات الكفاءة العسكرية القليلة لاتزال قادرة على القيام باعمال خطيرة ضد وحدات العدو المنتخبة وتشكيلاته المتميزة المحمولة جوا، وكانت روح القتال الالمانية غير منهارة على الرغم من تفوق الحلفاء جوا وبرا فواقا كاسحا!

كانت القيادة الالمانية العليا لاتزال تتوقع حركة تعرض ثانوية في الغرب، كما اعتقدت بامكان استرداد الاراضي المفقودة بالهجوم المقابل، فحشدوا في ايلول الجيش المدرع الخامس بقيادة اللواء الشاب ذي العزم (مانتوفل) في غربي (ساربيرك)، ولكن هذا لم يكن جاهزا للعمل ابدا، اذ كان كثيرا من وحداته لاتزال تحاول اعادة تنظيمها بعد ما اصابها من نكسات في القتال. كان قد تقرر جلب الفرقة المدرعة الحادية عشرة المدربة وهي التي اصيبت بوهن من قبل للانضمام للجيش المدرع الخامس، وكانت فكرة هتلر ومستشاريه التعرض بهذا الجيش بعيدا الى الغرب على (نانسي) للوصول الى خط (الموزل)، لشطر القطعات الامريكية... على كل حال لم يكن رونشتد متفائلا. وقد اراد ان يستخدم الجيش المدرع الخامس ضد هدف محدود لغرض رتق الجبهة الممزقة بين الجيشين الاول والتاسع عشر فقط، وكان يرى ان واجب هذا الجيش هو ان يحول دون اختراق سوقي لاحت بوادره باتجاه مقاطعة السار، ولربما نحو (ستراسبورغ) شرقا، وحالما يتم انجاز هذا الواجب بنجاح فان هذا الجيش حسب رأي رونشتد ينبغي ان يرسل حينئذ الى جحفل

الجيش حول (اخن).
تلقى (مانتوفل) يوم ١٧ ايلول اوامر مفصلة، وقد حصل الان قتال متأرجح لاقرار له استمر حتى اواسط تشرين الاول (اكتوبر) يمكن تقسيمه الى ثلاث صفحات: الاولى الهجوم جنوبي قناة (ريمس - مارن) لاجل اعادة الاتصال بين الجيشين الاول والتاسع عشر في جوار (لونافيل)، وكانت الثغرة الكبرى بين هذين الجيشين بين (السين)العليا و (بكرات)، ولكن على الرغم من قيادة (مانتوفل) الى تتسم بالعزم، فان قواته لم تكن كافية لسد هذه الثغرة الهائلة بهذا البعد الى الغرب.

نتج عن ذلك الصفحة الثانية التي كانت تستهدف استرداد الموقف في الشرق من ذلك، وقد افضى هذا الى نشوب القتال في مركز الثغرة اي في غابات (باروي) في الشمال الشرقي من (لونافيل).
لقد نجح الجيش المدرع الاول على الاقل في منع الامريكان من الاختراق الذي كان يخشى منه.
وكانت الصفحة الثالثة هي انشاء جبهة مباشرة بين الجيشين الاول والتاسع عشر بين (مارسال) و (بكرات)، وقد تعذر عليه انجاز اكثر من ذلك، غير ان نجاح (مانتوفل) يعود الى وجود جبهة متصلة اخرى في جنوبي الجبهة الغربية.
بدأ الجيش الاول حوالي اواسط تشرين الاول (اكتوبر) يقطع اشتباكاته بالعدو، وقد ارسل الى جحفل الجيش (ب) (مودل) في جوار (اخن) حيث نشبت معركة (اخن) الثانية عنيفة عنفا بالغا، وبدأت الان فترة في الغرب اظهرت بوضوح مقدار توتر اعصاب القيادة الالمانية العليا، وقد اخرج هتلر دون استشارة رونشتد قادة ذوي قيمة مجربة من قيادة جحافل جيوش وقيادة مستبدلا اياهم بالاخرين، رجا ان يكونوا اقدر على معالجة الموقف اليائس. وفي خلال هذه الاسابيع من نهاية ايلول اخرج القائد العام لجحفل الجيش (جـ) الفريق (بلاسكويتس) مرة ثانية واستبدل باللواء الشاب (بالك) من صنف الدروع والذي كان في الجبهة الشرقية.
لقد اعتقد هتلر ان قادة الشرق يتمكنون من تحويل الكفاح في الغرب الى نهاية ناجحة، وكان لايزال غير قادر ان يدرك بان التفوق الساحق في المنابع والمواد في الجبهة الغربية ووجود السيادة الجوية المطلقة للحلفاء هناك، هي العوامل الحاسمة التي لايمكن ان يبدلها اعظم قادة الجبهة الشرقية قابلية وبسالة.
لقد كان الفريق (بلاسكويتس) قائدا قديرا حاز اعجاب كل من عرفه، وقد اسف رونشتد بصورة خاصة لاخراجه. اما القائد الجديد اللواء (بالك)، فقد كان معروفا في الشرق بلا شك قائدا مليئا حيوية ونشاطا، ولكنه كان غريبا عن الغرب..
كان رونشتد قد اعطى منطقة (اخن) اهمية خاصة عند استلامه القيادة الغربية في ايلول (١٩٤٤)، اذ تصور ان الحلفاء ربما نفذوا الى شمالي المانيا خلال منطقة (اخن - رود)، ومع ان هذا التصور لم يتحقق عمليا تماما، فان منطقة (اخن) على الرغم من ذلك ازدادت اهمية

بصورة تدريجية باعتبارها المنطقة الحيوية في الجبهة الغربية.

ومن الممكن تقسيم معكرة (اخن) الكبرى الى علاة صفحات، ولكن ابرز ما فيها هو ان القطعات الالمانية اضحت قادرة مرة اخرى على اثبات وجودها. لقد وهن الجيش الالماني في الغرب وهنا عظيما بعد القتال الضاري الذي لم يتوقف من ٦ حزيران لغاية اواسط ايلول، ومن جراء الانسحابات المتوالية شرقا، بينما كان الحلفاء قادرين على تعويض خسائرهم بالرجال والمواد ايضا، ومن الممكن ان نتصور بجلاء في غمرة هذا الموقف اليائس الذي كان يلمسه كل جندي الماني، ان الجبهة الالمانية كان ينبغي لها ان تنهار كما حدث عام (١٩١٨). لقد افضى هذا الضعف بالرجال والمواد الى تأثير مدمر في المعنويات، وكانت جيوش (آيزنهاور) و (مونتكومري) قد لبست لبوس غرور المنتصرين في زحفها شطر الحدود الالمانية، فقد كانوا يشعرون بتفوقهم ويعلمون بان النصر النهائي على مرأى ابصارهم، بينما فقدت القطعات الالمانية وقادتها من الجهة الثانية الامل كله في النصر.. . فما هي الروح التي ستسود الجبهة اذا ما اقتحم العدو الحدود الالمانية وطفق يصاول على ارض الوطن؟

انه من المدهش حقا ان تجمع هذه القوات الالمانية شتاتها ثانية في مثل هذا الموقف الحرج اليائس، وان تدأب على القتال بعزم لايقل علوا عن عزمها في (نورماندي).

وربما يخامر الاذهان ان الاساليب الدكتاتورية قاسية الى درجة لاتسمح معها لاي جندي ان يتزحزح عن القتال، ولكن ذلك ليس الا من الاسباب العرضية... لان تلك الاساليب الدكتاتورية كانت منصبة على القادة الاقدمين لا على القطعات.

لم تكن القيادة عام (١٩٤٤) اشد عنفا بأي حال من الاحوال، مما كانت عليه عام (١٩١٨).

ينبغي لنا ان نذكر وجهة نظر رونشتد هنا حول شرف الجندي الالماني في هذه المدة، فقد كان يرى ان الجندي الالماني خلال سنتي (١٩٤٤ - ١٩٤٥) اقوى معنوية وارسخ ايمانا بالقضاء والقدر منه في عام (١٩١٨). فلو ان هذه الملايين ارادت الانتفاض لما منعها مما تريده اي نظام من انظمة الشرطة مهما يبلغ من تجسس وعنف، اذ كان في استطاعتهم ان يهيموا على وجوههم لايلوون على شيء، ولكن هؤلاء الرجال البواسل ترفعوا عن ذلك انفة وعزة، بل استمروا في قتالهم غير ملولين ما استطاعوا الى ذلك سبيلا، ولم يحدث في اي منطقة اي عمل من اعمال سوء الضبط ضد الضباط كما حدث في سنة (١٩١٨) خلال استحضارات الانسحاب.

لقد برزت الطاعة الراسخة خلال معركة (اخن) وخلال التعرض على اردنس.

لقد بدأت معارك (اخن) العنيفة بهذه الروح التي انبعثت مجددا، وقد تميزت هذه المعارك بصورة رئيسية بقتال المدفعية الهائل كشأنها في الحرب العالمية الاولى، اذ صبت نيران شديدة مركزة منسقة من الجانب الالماني على الحلفاء، وهي لاتختلف ابدا عن تلك التي جرت في (فردون) وعلى (السوم) في سنة (١٩١٦). لقد اسندت هذه المدفعية عام

(١٩٤٤) استخدام الدروع الالمانية في (اخن) اسنادا جوهريا، ومنحت المشاة ايضا اسنادا مكنها من صد قوات الحلفاء الساحقة.

لقد اخترق الحلفاء الجدار الغربي بسهولة، شأنه في ذلك جميع الخطوط والجدر، اذ اخترقوه من عدة نقاط خلال بضعة ايام، كما نجح الالمان في اختراق امثاله من الخطوط الحصينة في الشطر الاول من الحرب.

كان غرض العدو وهو الجيش الامريكي الاول القيام باختراق الخطوط الالمانية من (اخن) نحو منطقة (الرور)، وكان رونشتد يرى ان الاتجاه العام لهذه المعركة يمثل عملا موحدا يتفق والهدف الرئيس. لقد ادرك العدو الاهمية السوقية لـ (اخن)، وكان واجب رونشتد ان يحول دون تحقيق اماني الحلفاء.

ان (اخن) التي نذكرها في هذا البحث، ليست المدينة المشار اليها فحسب بهذا الاسم، اذ ليست هذه المدينة غير جزء تعبوي من الحركة العامة... ان الامر يتعلق اكثر من هذا بكثير بالمنطقة المحيطة بـ (اخن - كيلن كيرجن) وهي التي تمتد تقريبا بين (كيلن كيرجن) و (اوبن).

لقد بدأ القتال فعلا في بداية ايلول (سبتمبر)، وفترة لاول مرة في كانون الاول (ديسمبر) عام (١٩٤٤). ولقد جرى القتال بشكل معركة كبرى على طراز معارك (شامبين) حول (فردون) على (السوم) وفي (الفلاندرس) خلال الحرب العالمية الاولى... لقد مرت اسابيع بلغت شدة القتال فيها الذروة، ومن ثم عاد القتال اعتياديا... كما مرت ايام هادئة نسبيا واخرى ذات فعالية شديدة.

ولقد قسمت هذه الحوادث في الجانب الالماني الى المعارك: الاولى والثانية والثالثة حول (اخن).

اما في جانب الحلفاء، فقد اطلق عليها (الاندفاع الى خط سيكفريد) و (تعرض اخن) و (الاندفاع نحو نهر الرور).

المعركة الاولى في حوالي (٤ ايلول - ٢٣ ايلول)، والثانية من (٢ تشرين الاول - ٢٢ تشرين الاول)، والثالثة من (٢ كانون الاول - حوالي منتصف كانون الاول)؛ وكانت الصفحة الاولى هي القتال الذي جرى حول الجدار الغربي، ونتج عن الثانية سقوط مدينة (اخن) بيد الحلفاء، وكانت نتيجة الثالثة استيلاء الحلفاء على قاطع (الرور). في الصفحة الاولى نجح الجيش الامريكي في الوصول الى (الجدار الغربي بين غربي (اخن) وغربي (كيلن كيرجن) ونجح في اختراق نقاط معزولة لاسيما في جنوب شرقي (اخن)، اذ شن هجوما عميقا، فأصبحت المدينة مهددة من الجنوب.

وفي الصفحة الثانية سقطت (اخن) نفسها، واضحى الامريكيون قادرين على اكتساب الخط الذي يمتد تقريبا من الحافة الغربية لغاية (هويرت كن - ستلوك بيرك - كيلن كيرجن).

واخيرا وفي الصفحة الثالثة وصلت قوات الحلفاء الى (الرور) بين (ديورن) و

(لينج). . .

وفي شمال الجيش الامريكي الاول اخذ نهر (النينت) يقترب تدريجيا من ساحة القتال، واخيرا شكل هذا الرافد بين (كيلن كيرجن) ومصبه في (الرور) الحدود الرئيسة بين الامريكان وبين البريطانيين.

كانت قيمة المدينة نفسها بالنسبة الى هتلر قيمة كرامة واعتبار، ونتيجة لذلك كان شديد الرغبة في الحفاظ عليها بعيدة عن ايدي العدو. . .

حقا لقد كان هذا الهدف عقدة مواصلات مهمة، ولكنها لم تكن حيوية من الناحية السوقية حيوية المنطقة المحيطة بـ (اخن)، ولعل الحلفاء كانوا يهاجمون هذه المنطقة حتى ولو لم تكن فيها مدينة (اخن). . . لقد كانت هذه المنطقة هي التي اشارت الى الطريق صوب منطقة (الرور)، ولذلك كان على الحلفاء ان يقاتلوا فيها. . . ان الارض حتى (الرور) جبلية بصورة عامة، ولكنها بعد ذلك تنحدر انحدارا يتزايد كلما اقترب من النهر حتى تتخذ طبيعة ريف متموج تموجا خفيفا، وفي شرقي (الرور) ينفتح ميدان مثالي لاستخدام الدبابات يمتد حتى (الراين)، وبعد عبور (الرور) لابد من هجوم مدرع كبير لتيسير ساحة مناسبة لذلك. لقد سبق ان لاحت البوادر الاولية لتعرض (الاردين) في خلال هذا القتال التراجعي المديد. لقد كان اتجاه الهجوم الامريكي من (اخن) نحو الشرق والشمال الشرقي، ومعنى ذلك بروز خط مندفع الى الامام نحو الشرق. وفي نهاية الصفحة الثالثة كانت الجبهة عموما تمتد من (مونتس جاو) نحو الشمال الشرقي حتى خزانات (الرور)، وبعد ذلك تمتد على طوار النهر مخترقة (ديورين ـ جيلج ـ لينج) ومن ثم تتراجع ثانية نحو الغرب عند (كيلن كيرجن).

ان نظرة للخريطة ترينا ان ثقل هذا الانتفاخ البارز بهذا المقدار نحو الشرق لابد انه اوحى الى هتلر فكرة القبض على هذا النتوء بكامله من الجنوب للعمل على بتره، ومن بعد ذلك يقوم بالعمل من الشمال ايضا، ويتم كل هذا بتعرض من كلا الجانبين.

لقد جازفت القيادة الامريكية العليا في تركها ثلاث فرق بين منطقة (اخن) المهاجمة نحو الجنوب حتى حدود الجيش الامريكي الثالث المجاور، اي في جبهة (ايفل) الجبلية التي كان طولها مائة ميل تقريبا، ولابد ان هذه الحقيقة قد شجعت هتلر ان يامر بالقيام بتعرض على جبهة (ايفل) الرقيقة هذه. . .

تحتاج محاولة هتلر الاخيرة للاخذ بناصية المبادأة الى بعض التمحيص. لقد وسمت الدعاية هذه الحركة بسمة (تعرض رونشتد) وهذا مثل اخر عند مدى تقبل الرأي العام دون تمحيص ولا انتقاد لما تدعيه الدعاية. لقد كان رونشتد الرجل الذي اراد في بداية ايلول (١٩٤٤) بعد عودته الى القيادة مباشرة ان يدير الحرب بشكل دفاعي، وكان هو الذي عرض حينذاك اقتراح انسحاب الجيش الالماني بكامله من الغرب دون قتال طويل منهك انسحابا امينا الى خط (الجدار الغربي ـ الفوج) وان يبني هناك جبهة مستقيمة ثانية، وكان لرونشتد مقصد اخر يتعلق بجمع القوات المدرعة كافة المتيسرة في الغرب بشكل

احتياط سوقي كبير وراء الجبهة، واراد من بعد ذلك ان يترك الحلفاء يبدأون بالجولة دون ان يشغل نفسه بتعرض لاجدوى منه.

ولما كان تعرض (الاردين) هذا قد لعب دورا خاصا في كل من المانيا وخارجها، فانه من الضروري قبل كل شيء ان نصف ما كان يدور في خلد هتلر. كان العزم على التعرض في الغرب باي ثمن قد خامر هتلر في آب (١٩٤٤)، اي خلال القتال في (نورماندي)، وكان اختيار (الاردين) منطقة للهجوم قد تقرر بعد امعان نظر طويل في مقر هتلر منذ بداية تشرين الاول.

لم يحط رونشتد علما ولا (مودل) بهذا القرار في بداية امره، وحتى في الاخير بقي المشيران جاهلين عن عمد بتدابير معينة ستتخذ.. وذلك للاحتفاظ بالسرية!!

لقد شرح الفريق (جودل) خمس حركات:

١ ـ تعرض يبدأ من منطقة (فلنو) على (الموز) نحو الغرب باتجاه (انتويرب).

٢ ـ هجوم يبدأ من شمالي (لوكسمبورغ) نحو الشمال الغربي، ثم ينعطف بعد ذلك شمالا، بينما يبدأ هجوم تطويقي ثانوي من منطقة شمال غربي (اخن).

٣ ـ هجومان يبدآن من وسط (لوكسبورغ) و (متز) ويلتقيان في (لونك وي).

٤ ـ اندفاعان يخرجان من (متز) و (بكرات) على (نانسي).

٥ ـ هجومان يبدآن من (ابينال) ومنطقة (موين بل كار) على (فيسول).

كان هتلر قد ناقش هذه المقترحات الخمسة مع مستشاريه المقربين، فرفض الخطط الثالثة والرابعة والخامسة، لانها لاتؤدي الى نتيجة سوقية. اننا نسلم بان هتلر كثيرا ما علم فطرة افضل اتجاه للهجوم على العدو، وبلاشك اظهر حاسة سوقية في حالات كثيرة، ولكن مايعوزه في هذا الوقت هو المعرفة بالتوقيتات والجبهة والقوات. لقد ادت مداولات هتلر مع اعوانه الاقربين في بداية تشرين الاول الى اقرار اعداد الخطة الثانية بتفصيل اوسع (اي حركة تعرض الاردين) وبعد ذلك احيط كل من رونشتد ومودل علما بما يتعلق بالخطط الرئيسية فقط. لقد استولى الحلفاء على عدد كبير من وثائق خطة الحركات هذه، وعندما سيكتب تاريخ الحرب كاملا، فستثبت هذه الوثائق ان هذه الحركات كانت من بنات افكار هتلر نفسه، وهو الذي جعل هيئة ركنه يخرجونها الى حيز الوجود مفصلة غاية التفصيل، وقد سلمت هذه الاوامر المستحضرة من بعد انجازها الى رونشتد، فجعلت علما عليها، ولكن لم يكن له في الحقيقة من هذه الخطة غير تنفيذها.

ان الاسباب التي جعلت هتلر يقرر الهجوم في الغرب هي مايلي: ـ

١ ـ لقد امل ان يباغت الحلفاء في وقت كان المفروض ان تكون قواتهم فيه متعبة مرهقة ضعيفة.

٢ ـ ان يرفع معنويات الشعب الالماني الذي يزداد قلقه كلما اقترب العدو الى المانيا من الشرق والغرب.

٣ ـ للحصول على الوقت اللازم لابتكار مواد واسلحة حربية جديدة!

٤ ـ لقد اراد ان يجعل الاقتراب من منطقة (الرور) اكثر صعوبة للعدو، قبل ان يحاول قذفهم الى الخلف باتجاه الغرب ثانية.
٥ ـ لقد رأى ان الانهيار يطل على المانيا من الشرق والغرب، وبما ان تفوق الروس في الشرق كان ساحقا في كل نقطة من نقاط الجبهة الشرقية الواسعة، بينما كانت المنطقة الغربية من الجهة الاخرى صغيرة وقوات الحلفاء فيها لم تكن كاسحة كما هو الحال في القوات الروسية، ولهذا امل هتلر ان يربك الحلفاء بتعرض يباغتهم فيه مباغتة كاملة، وهذا يفسر لماذا تم اتخاذ خطة: (تعرض الاردين).

سمع رونشتد في نهاية تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٤) لاول مرة بعزم هتلر على القيام بتعرض كبير في الغرب، كما ان القائد العام لجحفل الجيش (ب) مودل احيط علما بذلك في الوقت نفسه، وليس من شك في ان هذا الكتمان كان سببه ما كانت تخشاه الدوائر العليا من اعتراض القادة الاقدمين في الغرب على تنفيذه، وكان اول امر من الاوامر التي وصلت الى القيادة الغربية في نهاية تشرين الاول (اكتوبر) يستهدف قطع اي اعتراض بما يلي:

الغاية: ـ ان التنظيم والهدف لهذا الهجوم امران لابد منهما.

كانت خطة هتلر هذه من وجهة النظر العسكرية خطة بالغة المجازفة، فلو نجح هذا الهجوم لاصبح هتلر (المنقذ)، ولو نفذ هذا الهجوم تنفيذا خاطئا لاكتوى رونشتد بشواظ من اللوم. لقد بوغت رونشتد ومودل ايضا مباغتة غير سارة عندما استلما (هذا الامر الذي لابد من تنفيذه) ومعه وصايا مفصلة لوضعه موضع التنفيذ.

لقد كان معروفا ان كليهما ارادا استعمال القوات التي كانت لاتزال متيسرة لغايات الدفاع السوقي فقط ـ الدفاع غير المستكن بل الدفاع السيار ـ المقرون بالهجمات الموضعية.

اصبح رونشتد الان يواجه واجبين: ـ الاول يتطلب منه ان يحتفظ بالجبهة الغربية التي تشاغل بشدة بكل ثمن، والثاني وفقا لامر هتلر انْ يتخذ جميع التدابير للقيام بتعرض كبير.

لقد دعا هتلر يوم ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٤) كلا من رونشتد ومودل لمؤتمر في مقره، وقد تبدل هذا الامر من بعد ذلك واستبدل حضورهما بحضور رئيسي ركنيهما لمواجهة هتلر. عاد هذان الضابطان الى قائديهما يوم ٢٦ تشرين الاول فاخبراهما بالمعلومات المذهلة المتعلقة بتعرض هتلر الذي سبق اعداده. لقد كان على رئيسي الركن وهما (ويستفال) في (القيادة الغربية) و (كريبس) في (جحفل الجيش ب) ان يوقعا في المقر الكائن في بروسيا الشرقية تعهدا صارما للاحتفاظ بالكتمان، وبعد ذلك تلقيا المعلومات عن التعرض... وقد انبرى هتلر لايضاح افكاره خاتما حديثه بالملوحظة التالية: ـ «ان الموقف في الغرب لايمكن السيطرة عليه الا بالهجوم فقط لا بالدفاع» ومن ثم استلم كل من الضابطين قوائم ضافية عن جميع التقويات المتيسرة للتعرض، وكان قد رتب ان يكون الهدف هو: (انتويرب)، وكان هتلر قد اختار جبهة (ايفل)، لان الامريكان كانوا ضعفاء هناك. كما انه اراد ان يعزل الامريكان عن البريطانيين في الادوار التالية من الهجوم.

لقد تجنب بهذه الوسيلة اي شكل من اشكال الاعتراض المحتمل ان يثيره كل من رونشتد ومودل، ولم يسأل المشيرين عن مقترحاتهما سلفا خلافا للعادة المتبعة. . . وقد تحدث عن الثلاثة آلاف طائرة من طائرات (الجيكر) التي ستتيسر للتعرض.

ولانه لم يكن متأكدا من الارقام الصحيحة، فقد ذكر الفا وخمسمائة طائرة (جيكر) منها. . . وكان حوالي ثمانمائة منهاجاهزة للخدمة من ضمنها مائة من احدث طائرات الجيكر النافورية.

خزن الوقود وهو حوالي ثلاثة ملايين غالون للمطاليب الاولية، وفي شمال الجبهة الغربية اقيم مقر لجحفل جيش ثالث لكي يستلم القيادة من جحفل الجيش (ب) في المركز، لان مودل وفقا للاوامر كان عليه ان يضطلع بتنفيذ التعرض الفعلي. وعندما انتهى اللواء الالمعي ويستفال رئيس هيئة ركن رونشتد من القاء تقريره، افصح المشير عن رأيه بما يلي: «اني سعيد لاننا اخيرا سنتلقي قوات اكثر من الشرق، وقبل ان يبدأ التعرض المرسوم سيطغي (الراين)، ومن نظر عاجلة استطيع ان اقول: ان الهدف البعيد وهو (انتويرب) لا يمكن الوصول اليه بالقوات المتيسرة، لانه حينذاك سيكون جناحا الهجوم الطويلان مكشوفين من كلا جانبي ثغرة الهجوم، ولاتوجد سوى فرق قليلة جدا متيسرة لسد الجناحين، وحتى لو اندفع موديل قدما حتى (الموز) فقط، فان النتيجة ستكون انشاء خط جبهة ناتئة متوغلة نحو الغرب، وسيتطلب الاحتفاظ بهاقوات كبيرة، كما ان هذا النتوء سيغري العدو بالهجمات الجانبية، واني ارى ان نتحرى هدفا اخر اقل طموحا يمكن به تحطيم قوات معادية كبيرة من غير مجازفة كبيرة. . . ان خطط التعرض بكاملها توحي الي بانها قاصرة عن تحقيق متطلبات الواقع». . .

كانت الاسابيع من نهاية تشرين الاول حتى بداية التعرض حافلة بالاستعدادات وبالمذكرات والتغيرات المقترحة. . . الخ والتي لايمكن الخوض في تفاصيلها كاملة هنا.

وصل من مقر هتلر في بداية تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٤٤) مسودة الخطوط الاساسية للحركات التي اعدتها هيئة ركن القوات المسلحة الالمانية العليا، ولقد ارسل رونشتد هذا الامر الاساس الى مودل المسؤول عن ادارة الهجوم الشامل. انه مما يستحق الاهتمام ان مودل ساوقت افكاره افكار رونشتد تماما، وانه مثله فكر بان الحركة كلها مسرفة في طموحها.

وبما ان الموقف العام في الشرق وفي الغرب اخذ يتردى باضطراد، فقد اراد هتلر ان يبدأ هجومه في اقرب وقت ممكن قبل ان تصبح الجبهات الدفاعية اشلاء ممزقة، فقرر ان يبدأ الهجوم يوم ٢٥ تشرين الثاني (١٩٤٤)، وقد اجل هذا الموعد باستمرار، واخيرا ثبت يوم ١٦ كانون الثاني.

لقد بذل كل من رونشتد ومودل اقصى مالديهما من جهد خلال تلك الاسابيع من تشرين الثاني ليحملا هتلر على ان يضيق من سعة هدفه، ثم بدأت لعبة جر الحبل بين مؤيدي التعرض الكبير وبين مؤيدي التعرض الصغير، وكان الهجوم الصغير حسب اقتراح

رونشتد يتضمن التقدم حتى (الموز) ومن ثم الاستدارة نحول الشمال الغربي وعزل الجبهة الامريكية على (الرور).

ولكن هتلر رفض هذا التعرض الصغير، واصفا اياه: بانه من انصاف الحلول... بل رفض حتى تنسيق الحركة الثانوية من (الرور - رويرمونت)... لانه خشي ان يتجه المشيران دوما نحو فكرتهما الصغيرة فيما اذا اقرا على تنسيق تلك الحركة... وعندما تمحص الوثائق الخاصة بهذه المدة تمحيصا دقيقا وينكشف الصراع المرير بين هتلر وبين رونشتد انكشافا تاما، فان المرء يعتقد حينذاك بان هتلر ربما كان يفكر على ضوء الزحف العظيم الذي جرى في الحرب العالمية الاولى سنة (١٩١٨)، فلو ان هذه الذكرى داعبت مخيلة هتلر (ولا يعلم الغيب احد من الخلق) فان الفروق واضحة وضوحا ملموسا!

كانت المانيا في سنة (١٩١٨) تتمكن من حشد قواتها كافة، في الغرب، لان روسيا كانت قد عقدت معها صلحا، كما كانت تتيسر حينذاك قوات ومدفعية ومواد اكثر بكثير مما تتيسر اليوم، بالاضافة الى وجود احتياطات وفيرة لاتعد ولاتحصى، وكان الاتجاه السياسي نحو المانيا في عام (١٩١٨) اتجاها غير متطرف في عداوته كما هو الحال في عام (١٩٤٤)، وكانت قوة امريكا الهائلة في بداية تأثيرها، وكانت الجبهة الغربية الالمانية في سنة (١٩١٨) قصيرة والقطعات فيها كافية تحتل قواطع ضيقة في مواضع رصينة عمقا، ولم تكن حينذاك قوة جوية مدمرة، واخيرا كان في ذلك الوقت رجال مثل هندنبرغ ولودندروف اللذين كانا اكثر ادراكا لادارة الحرب من هتلر.

وفي سنة (١٩١٨) كان الهدف (اميانس) لغرض عزل الفرنسيين عن البريطانيين، وكانت المسافة بين نقطة شروع التعرض و (اميانس) لاتزيد على خمسين ميلا بصورة مستقيمة، وكان كلا الجناحين اقصر مما عليه الان، اما المسافة في عام (١٩٤٤) الى (انتويرب) فهي خمسة وتسعون ميلا.

وفي (١٩١٨) بدأ التعرض في اواسط اذار على ارض مناسبة، اما في سنة (١٩٤٤) فكان على التعرض - خلافا لذلك - ان بأرض جبلية وعرة من (ايفل) و (الاردين) في شهر كانون الثاني مخترقة طرقا يكتنفها الثلج ويغمرها الجليد، وكانت جبهة الفرقة الالمانية في (١٩١٨) تتراوح ما بين الميل والثلث وبين الميلين طولا!!

وفي عام (١٩١٨) كانت القطعات لاتزال سليمة محتفظة بمواضعها منذ امد بعيد والى النهاية، وحتى ذلك الحين لم تكن قد قامت سوى بعض الانتكاسات القليلة، وكان تدريبها على التعرض متقنا قد استغرق شهورا عديدة... على الرغم من كل شيء فان هذا التعرض اخفق امام (اميانس) مباشرة، ولم تعد القطعات كافية للوصول اليها، لذلك حينما نقارن بين عامي (١٩١٨) و (١٩٤٤)، يتضح ان الاحوال في الحرب العالمية الاولى كانت مواتية اكثر مماهي عليه في عام (١٩٤٤)!!

التقى هتلر برونشتد قبيل البدء بالتعرض، فقال هتلر لرونشتد الذي كان قد بين اعتراضاته: «اعتقد اني اقدر على الحكم منك على هذا، ايها المشير! ولقد اتيت هنا

لمساعدتك»، فاستدار رونشتد على عقبيه مدبرا..

لقد نفذ التعرض جيشان مدرعان وجيش من المشاة بصورة رئيسة، وكان في الميمنة (نحو الشمال) جيش الصاعقة المدرع السادس بقيادة (سيب ديترج)، ويتألف من اربع فرق مدرعة وفرقة مشاة واحدة، وكان عليه ان يندفع الى الامام فيخرج من منطقة (مونس جاو) جنوبي (اخن) تاركا (لوتيج) الى (انتويرب). والى يساره (من الجنوب) كان جيش مانتوفل) المدرع الخامس، ويتألف من اربع فرق مدرعة وثلاث فرق من المشاة، وكان عليه ان يتقدم الى الامام مخترقا (نامور ـ بركسل) نحو (انتويرب)، وكان على الجيش السابع المؤلف من ست فرق مشاة وفرقة مدرعة ان يكون مسؤولا عن حماية الجناح حسب الظروف الراهنة ويستدير جنوبا. انه من اليسير ادراك قلة هذه القطعات للظفر بهدف بعيد كهذا في شهر كانون الثاني، بينها وبين هدفها منطقة من التلول الوعرة.

كان ينبغي ان يقوم فيلق الصاعقة السابع بواجبه الثانوي من الشمال مبتدئا من المنطقة الكائنة جنوبي (رويرمونت)، وذلك وفقا لخطة رونشتد في التعرض الصغير، ولكن ذلك سبق رفضه من هتلر. كان هذا الفيلق مؤلفا من فرق تنتسب الى الجيش النظامي، وهي فرق المشاة: التاسعة والخمسون، والمائة والسادسة والسبعون، والمائة والثالثة والثمانون، ومن الفرقة المدرعة التاسعة والفرقة المدرعة (كراندير) الخامسة عشرة. كان هذا الفيلق قد اجرى الاستحضارات كافة للهجوم على (ماسترنيج)، ولكن هذا الهجوم لم ينفذ مطلقا، لان هتلر رفض تطبيق هذا الواجب الثانوي، كما انه سحب من هذا الفيلق كلتا الفرقتين المدرعتين واضافهما الى قطعات تعرض (الاردين).

وعندما بدأت المعركة يوم ١٦ كانون الثاني على طول جبهة (ايفل) بكاملها، كانت من غير شك مباغتة تامة للعدو، اذ لم يكن بالحسبان ان يقوم الجيش الالماني المنهار بمجازفة هجومية! ولقد بوغتت قطعاتنا ايضا، لانه اقتضى التمسك بالكتمان فيما يتعلق بالهجوم والنيات حتى اللحظة الاخيرة.. وكما هو اعتيادي بهذا النوع من الهجوم جاء النجاح في الساعات والايام الاولى الى جانب المهاجم، ولكن اخذ التقدم من بعد ذلك يتباطأ تدريجيا. واخيرا بقيت الوحدات ثابتة في مواضعها التي وصلت اليها، ومات هذا التعرض لعدم تيسر القطعات...

كانت استجابة الامريكان لذا الهجوم سريعة، اذ عندما افاقوا من المباغتة الاولية، اتخذوا تدابير مقابلة فورية فعالة، فمن الجنوب بصورة خاصة زجوا هجمات مقابلة ضد جناح الحماية الضعيف للجيش السابع، بينما اندفعت التشكيلات البريطانية من الشمال لمساعدتهم.

لقد تحققت تنبؤات رونشتد بسرعة فائقة، فالالمان اصبحوا الان مهاجمين من قوات الحلفاء من ثلاث جهات، وكانت فرقة الصاعقة المدرعة السادسة قد تقدمت ـ على كل حال ـ قليلا فقط في اليمين، اما جيش (مانتوفل) المدرع الخامس في اليسار الذي كانت قيادته جيدة، فقد نجح في التقدم، ولكن لم يكن بوسعه ان يكسب الجولة بمفرده، وسرعان

ماتطور الهجوم الهتلري الى دفاع هتلري، ووجدت القطعات الالمانية نفسها في مواضع قلقة؛ اما قطع التعرض وانسحاب القطعات انسحابا اخر الى خط مستقيم لاعادة التنظيم كما سبق ان اقترح ذلك رونشتد، ولكن ذلك جاء متأخرا كثيرا.. لان هتلر لم يرغب في مواجهة الحقيقة، وهي ان خطته انهارت!! كانت نتيجة هذا الاندحار ان القوات الثمينة التي لايمكن التعويض عنها، قاست الامرين... وبذلك ازدادت الدفاعات الغربية الأخيرة وهنا على وهن، واختفى الان اخر امل في مقاومة الالمان للحلفاء بنجاح، ومع ذلك استمر الجيش الالماني في الغرب على القتال مدافعا عن (الرور) و (الراين) و (الويزر) و (الايب) دون هوادة بشجاعة، ولكن من غير امل...

الفصل الرابع عشر

المصير المحتوم

لقد استنفد القتال العنيف السيار اشهر شتاء سنتي (١٩٤٤ ـ ١٩٤٥) كافة، واجريت تبديلات متلاحقة في القيادة العليا بامر من هتلر: اعفي الفريق (بالك) من مهام قيادة جحفل الجيش (جـ) في الزاس، واستبدل بالقائد الحزبي (هملر) من منتسبي قوات الصاعقة لامد قصير، ومن ثم اعيد الفريق (بلاسكويتس) لقيادة جحفل الجيش (جـ) الخ... تبدلات مستمرة مرة اخرى..

ولم يبق شيء تستطيع السياسة تحقيقه الان... لقد بقي الاستسلام فقط.

كان الحلفاء يضيقون الخناق على المانيا بصورة متزايدة من الجنوب الشرقي ومن الجنوب، وركزت قواتهم الجوية قصفها الهائل من جميع الجهات على المنطقة التي تضيق رقعتها يوما بعد يوم، وتحرك القدر في مجراه الذي لا يرحم... وفي هذه المدة اي في شتاء (١٩٤٤ ـ ١٩٤٥) وبعد اجراء تبديلات كثيرة، نظمت الجبهة الالمانية في الغرب التي كانت بقيادة رونشتد بثلاثة جحافل جيوش: ففي اليمين والشمال جحفل الجيش (جـ) بقيادة الفريق (ستودنت) اولا، و (بلاسكويتس) اخيرا. وفي المركز (الجبهة الرئيسة) كان جحفل الجيش (ب) بقيادة المشير مودل، وفي الجنوب جحفل الجيش (آ) الذي تبدل قادته العامون تبدلا مستمرا.

احتاجت الجبهة الالمانية الشرقية في اول كانون الثاني (١٩٤٥) الى نجدات عاجلة جدا، فمن اين يمكن ايجاد هذه النجدات؟ من الغرب فقط... وكانت نتيجة ذلك نقل جيش (ديتريح) السادس المدرع الى الشرق مع قطعات قوية اضافية اخرى.

لم يكن بالمستطاع كتمان اضعاف الجبهة الالمانية الغربية عن الحلفاء، وكان رونشتد يتوقع يوميا منذ اواسط كانون الثاني (١٩٤٥) فصاعدا تحشد الحلفاء على طول الجبهة كلها تمهيدا لاندفاعهم اولا نحو (الراين) ومن ثم عبورهم الى المانيا، كما كان يتوقع ان يظهر مبكرا الى الميدان جحفل الجيش البريطاني الواحد والعشرون بقيادة قائده العام الفعال المشير مونتكومري.

تسنى للبريطانيين مدة هدوء طويلة نسبيا بالمقارنة مع الامريكان الذين قاتلوا بعنف وباطراد، وكان رونشتد يتوقع في ذلك الوقت هجوما بريطانيا على كلا جانبي (فنلو) عبر (الموز)، ولربما يبدأ هذا الهجوم قبيل هجوم الامريكان لعزل الاحتياطات الالمانية الى الشمال.

زج البريطانيون هجومهم المتوقع يوم ٨ شباط (١٩٤٥)، فتوغل الجيش الكندي الاول الى (ريجس وولد) بالقرب من (كليفس)، ونشب قتال عنيف للغاية نتيجة لذلك بين (الموز) و (الراين)، فكان البريطانيون والكنديون يقاتلون ضد جيش المظليين الالماني الاول وكان هناك صراع مرير على كلا الجانبين، فاستولى العدو المتماسك على الارض ببطيء شديد.

لقد استنفذ العدو بضعة ايام، لكي يدفع الى الخلف جيش المظليين الشجاع، الى ماوراء (الراين) بين (ويسل) و (ايمرج)، وقد كان على الجيش الخامس والعشرين الذي لم يكن قويا والذي كان مشتبكا في هولندا ان يرسل التشكيل تلو التشكيل الى جيش المظليين الاول المجاور الذي كان بقيادة لواء الجو (جلم) لانتشاله مما حاق به من شدة وضيق.

لم يتحقق الهجوم البريطاني الثاني في جنوبي ذلك بالقرب من (فنلو) والذي كان يخشاه رونشتد.

زار رونتشد منطقة معركة جيش المظليين بنفسه، وهناك في الفيلق المدرع السابع والاربعين اقتنع بضراوة القتال الدائر بالقرب من (كوج) وبهذا القتال اصبح تهديد الجناح الجنوبي لجيش المظليين الاول بين (الموز) و (الراين) في ازدياد مستمر، فلو شاركت الجيوش الامريكية في الجنوب من ذلك بالقتال، فان الموقف سيصبح خطرا للغاية.

بدأ الهجوم الامريكي يوم ٢٣ شباط ١٩٤٥ عبر (الرور) نحو (الراين) على خط (كولون ـ دوسل دروف) وادى يوم ٢٥ شباط الى اختراق كامل وعلى ذلك فسيصل البريطانيون والامريكان في غضون بضعة ايام الى (الراين) ومن ثم قد تتوقف قطعاتهم لقضاء مدة استجمام ولتأمين استحضارات العبور، ولكن لايمكن ان يتأخر موعد هذا الهجوم امدا طويلا.

لم يكن على ضفة (الراين) الشرقية عمليا اي تحصينات كما لم تكن هناك حاميات ايضا.

وفي شمالي (الموزل) استمر قتال التعويق سجالا كرا وفرا بين (الرور) و (الراين) وقد نجم عن هذا القتال دفع الجبهة الالمانية الى الخلف ببطيء عظيم، فكان التراجع ابطأ كثيرا مما جرى في فرنسة. وفي يوم ١٠ مارت تراجعت الوحدات الامامية من جيش المظليين الاول امام البريطانيين عبر (الراين) وبالقرب من (ويسل) دون خسارة في الاسلحة او المذخرات.

لقد استهدف الهجوم بصورة رئيسية الجبهة الالمانية على (الرور) بين (ديورين) و (يركلنس) ومن ثم استهدفت (بون) و (كولون) و (دوسل دورف) فدفعوا جيش المظليين الاول باتجاه (كريفيلد) بوحداتهم القادمة من الجنوب.

كانت الجبهة الالمانية يوم ١ مارت تمتد شمالي (الموزل) على الخط العام التقريبي: (تريز ـ برويم ـ سجيلدن ـ ايرفت ـ مونجين ـ كلادباج ـ فنلو ـ كيلديرن) والى (امريج) وراء (الراين).

ان (ريميكن) محل صغير كائن في منتصف (الراين) جنوبي (بون)، وفيها جسر السكة

الحديد، ولما كان هتلر متمسكا بفكرته عن الثبات بكل وسيلة في طاقته، فقد كان القلق عظيما للمحافظة على الجسور الموجودة على (الراين) للاستفادة منها في اعاقة العدو، فلو دمرتها قوة الحلفاء الجوية او استطاعت وحدات مدرعة مجازفة من البريطانيين او الامريكانيين اختراق الجبهة الالمانية غير المتماسكة بكل سهولة ليلا واحتلت جسور (الراين)، فحينذاك لن تتمكن حتى بقية الجبهة الالمانية من التراجع الى الخلف عبر (الراين).

كانت هناك بلا شك حماية ضعيفة على المعابر تشكل رؤوس جسور صغيرة، وكان لكل جسر (آمر) مسؤول، ولكن هذا لم يكن يستطيع ان يعمل شيئا كثيرا حين تهاجمه الدبابات او تقصفه القوة الجوية، ومع ذلك فان الصعوبة الرئيسة في حماية هذه الجسور تتركز في القرار: متى ينبغي نسف الجسر؟

لم يجرأ اي انسان ان يقترح على اي من آمري الجسور بان يجري تدمير جسره سريعا قبل وقت مناسب من استيلاء العدو عليه، حتى لايستطيع العدو الاستفادة منه، فكيف يستطيع آمر الجسر ان يقدر الموقف العام؟ فلو انه هوجم بالدبابات فان عليه بكل بساطة ان ينسفه، فانه لم يقدم على نسفه استولى العدو عليه.

هذا هو الذي حدث بالضبط لجسر. السكة الحديد من (ريميكن) يوم (٦) او (٧) مارت (١٩٤٥) ولم يزل امر اخفاق آمر الجسر في نسف هذا الجسر المهم عبر (الراين) غير واضح حتى اليوم، ونتج عن ذلك احتلاله من الوحدات المدرعة الامريكية، فاستطاع العدو عبور (الراين) من هذه النقطة بسرعة هائلة؛ ولعل صاعق النسف لم ينفجر، او كانت بعض القطعات الالمانية وجانب من السكان في حالة تراجع عبر هذا الجسر. على كل حال سقط هذا الجسر سليما بيد الامريكان، وكان لنبأ سقوطه وقع الصاعقة على هتلر، فامر حالا بتشكيل محكمة عسكرية لتحكم على المجرمين في مكان الجريمة.

لقد كانت هناك اشاعات كثيرة تشير الى نشاط المخربين، ولكن الحقيقة الراهنة الاكيدة التي لاغبار عليها حينذاك، هي ان هذا الجسر سقط سليما بيد الامريكان.

وفي الجنوب حتى (الموزل) تمزقت الجبهة الالمانية كثيرا نتيجة لامر هتلر الشهير: الثبات ثباتا لاهوادة فيه. . . وعلى سبيل المثال، فان الجيش السابع المدافع في (الجدار الغربي) بين شرق (بروم) و (ترير) ثبت، في حين ان جبهة الجيش الخامس في الشمال دفعت شرقا عن (الراين). حدثت مواقف غريبة جدا، وبرزت على الخرائط صورة عجيبة!!

لقد اخبر رونشتد هتلر نفسه بهذا الموقف غير المعقول، ولكن هتلر ومستشاريه لم يعتبروا الموقف يائسا الى هذه الدرجة.

كانت الجبهة الالمانية يوم ١٠ مارت (١٩٤٥) تمتد على وجه التقريب على الخطوط التالية:

من مصب (الراين) الى الشرق مارة بـ (ايمرج ـ ويسل ـ دوسل ـ دورف ـ كولون ـ بون ـ ريميكن ـ كوبلنز) اي خلف النهر على ضفته الشرقية، ومن (كولبرنج) يبتعد فجأة الى

الجنوب الشرقي على طوار (الموزل) حتى (ترير).
وينعطف من (ترير) مرة اخرى الى الجنوب الشرقي مارا بـ (سار لوتيرن ـ ساربروكن ـ هاكتاو) وراء (الراين) الاعلى، ومن هناك يمتد على طوار الضفة الشرقية مارا بـ (استراربورك) والى الجنوب حتى الحدود السويسرية.
ان الخط العام يظهر اي كفاح عنيد تقوم به القطعات الالمانية المبعثرة لانجاز واجباتها حتى خلال الايام اليائسة من مارت (١٩٤٥).
لقد اخفق الحلفاء في اجراء تقدم سريع الى (الراين)، ولم يشقوا طريقهم الى هذا النهر الا بقتال عنيف شديد.

لقد تطرقت الى ذكر الجبهة الالمانية التي كانت عليه يوم ١٠ مارت، لان في هذا اليوم كتب على رونشتد ان يعود الى التقاعد النهائي.
انتضرت اشاعة يوم ٩ مارت تفيد ان رونشتد سيحال على التقاعد نهائيا، في هذا اليوم كتب على رونشتد ان يعود الى التقاعد النهائي.
انتشرت اشاعة يوم ٩ مارت تفيد ان رونشتد سيحال على التقاعد نهائيا، وان مشير القوة الجوية (كيسرلنك) سيكون خلفا له.
وكان هتلر قد نقل مقره قريبا من مقرات القيادة الغربية خلال تعرض (الاردين)، وبذلك حصل بينه وبين رونشتد لاول مرة اتصال وثيق، اذ اصبح هتلر حينذاك في موقف يتيح له ان يتأكد بان رونشتد كان قد حكم على الموقف بصحة، ولابد انه قد سمع بدرجة الصراحة التي عبر بها رونشتد عن ارائه الانتقادية. وقد برزت الان نفرة جلية بين هتلر وبين رونشتد، وكانت هناك اختلافات جوهرية كل يوم تقريبا بين مقر القوات الالمانية المسلحة وبين القيادة الغربية. وقد اغاظت هتلر طريقة تعبير رونشتد عن آرائه، الممعنة في صراحتها العالية في روحيتها.
وكان التعرض الروسي العظيم يزداد خطرا، فكان على القيادة الغربية ان تستغني عن قطعات تزداد شيئا فشيئا، ولاسيما القطعات المدرعة لارسالها الى الجبهة الشرقية، فنتج عن ذلك مطالبة رونشتد بانسحاب القوات المتيسرة في الغرب كافة الى خط اقصر في الخلف وان يتخلى عن هولندا ايضا، وقد التمس رونشتد في برقية معنونة الى هتلر شخصيا اطلاق يده ليعمل بحرية في ادارة الحركات، فلم يحظ بأي جواب في بادىء الامر؛ وكما يمكن ان نتذكر بان رونشتد كان قد وصله امر يقضي بان يبقى كل شيء على حاله كما هو، وان كل شبر من الارض ينبغي ان يدافع عنه بعناد وضراوة.
لقد ازداد التوتر في نهاية شباط حينما عرض رونشتد بـ (الجدار الغربي)متهكما في تقرير رفعه الى القيادة العليا واصفا اياه: بانه (مصيدة فيران)!!...
لقد اثار هذا التقرير العنيف الخاص بالجدار الغربي استياء هتلر الشديد، واعتبر ما جاء فيه اهانة، وادلى هتلر برأيه قائلا: «ان العدو سيرتجف امام هذه التحصينات، وانسجاما مع هذا التوتر السائد المتزايد، ارسل رئيس هيئة ركن رونشتد اللواء (ويستفال) تقريرا عن

الموقف الى هتلر في برلين يوم ٦ مارت، فعبر عن آرائه في هذا التقرير بمثل اللهجة التي عبر بها قائده العام في تقريره، مما زاد في ثورة هتلر، وقد ازداد التجافي من الناحية السياسية بينهما اضافة الى الاختلافات الشخصية والعسكرية.

كان هتلر متيقنا ان رونشتد شخصية معروفة خارج الحدود الالمانية، ولم يكن سرا ان هذا الجندي كان محترما في دوائر واسعة في الخارج، وكان واضحا لهتلر منذ امد بعيد مايكنه لرونشتد كل من هيئة ركنه وقطعاته من حب وولاء، ففي هذا الموقف اليائس لربما كان يخشى من ان يقبض رونشتد على زمام السلطة لكي يضع حدا للامور.

لقد اذاعت اذاعات الحلفاء في النصف الثاني من شباط (١٩٤٥) رسالة دعاية متقنة قالت فيها: «ان الحلفاء لن يرضوا بقبول الاستسلام الا من شخص واحد، هو المشير فون رونشتد». وبطبيعة الحال لم يصدق احد هذه الرسالة، ولكن هتلر سمعها! وعندما علم رونشتد بهذه الرسالة الاذاعية، قال لرئيس هيئة ركنه متنبئا: «الان لن يطول هنا مقامي».

ان من يعرف رونشتد الجندي يعرف تماما انه لم يحنث بقسمه مطلقا وقد اقسم قسم الولاء لهتلر فلن يحنث بقسمه!! ومع ذلك فان الدكتاتور بطبيعته لا يثق بأحد، لاسيما في مثل هذه الظروف اليائسة من عام (١٩٤٥).

استدعي رونشتد الى برلين في غضون بضعة ايام من اذاعة الخبر السالف، ففي يوم ٨ مارت اخبره المشير (كايتل) بان هتلر يفكر في اجراء تبديل في القيادة الغربية! وفي يوم ٩ مارت جرى اتصال هاتفي اخر اعلن فيه بان المشير (كيسرلنك) قد يستلم القيادة في الغرب. وفي يوم ١٠ مارت ودع رونشتد هيئة ركنه وجنوده منصرفا، فانتظموا خطا لتوديعه، وعندما آوى الى سيارته، شعر كل واحد: «الان انتهى كل شيء»...

امر هتلر رونشتد ان يمم شطر برلين ليراه هناك.. كانت المحادثة بين الاثنين قصيرة، ولكنها كانت مهذبة، اذ شكره هتلر على كل ما اسداه من جهود، وقلده وسام سيوف صليب الفارس مبديا له عاطفة كريمة، واخبره بانه اضطر الى القيام بتعرض (الاردين) على الرغم من انه شخصيا كان يائسا من النجاح... وهكذا كشف النقاب عما كان يخالج نفسه من جعل اسم رونشتد في خدمته.

افترقا للمرة الاخيرة رجلين ليس بينهما في الحقيقة اي ضغينة، وقد تمكن رونشتد بعد ذلك من الوصول الى (بادتولز) في (بافاريا) العليا، وبقي فيها حتى اسره الحلفاء بعد استسلام المانيا.

اضحت الحركات الاخيرة بعد ١٠ مارت (١٩٤٥) تزداد سرعة واضطرابا، فلم يستطع القائد الجديد في الغرب ان يحسن الموقف... واستمر سوء الطالع في مجراه، واستمرت الاقدار تعمل عملها، وفي نهاية مارت او في نيسان عثر على وثيقة في دبابة محطمة في الجبهة البريطانية، وكان فيها تفصيل مايتحتم على المانيا الرضوخ له عند الاستسلام.

ولكن مقاومة القطعات استمرت مدة طويلة، ولم تستسلم اكثر التشكيلات حتى ٩ مايس (١٩٤٥)، وفي خلال هذه الاسابيع الاخيرة لايمكن اعتبار مايجري حربا، كما لم تكن

هناك قيادة المانية بالمعنى الصحيح، ومع ذلك استمرت القطعات الالمانية في القتال حتى النهاية الرسمية...

اللواء الركن
كونثر بلومنتريت

الفهرس

اثار المترجم

الكتب العسكرية

١ ـ القضايا الادارية في الميدان ـ مطبعة الجيش ـ بغداد ـ ١٩٥٢ .
٢ ـ التدريب الفردي ليلا بالاشتراك مع العميد الركن شاكر محمود شكري ـ ١٩٥٤ .

كتب التاريخ الاسلامي

٣ ـ الرسول القائد ـ الطبعة الثالثة ـ دار القلم ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ .
٤ ـ قادة فتح العراق والجزيرة ـ دار القلم ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ .
٥ ـ قادة فتح الشام ومصر ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٦٥ .
٦ ـ قادة فتح بلاد فارس ـ دار الفتح ـ بيروت ـ ١٩٦٥ .
٧ ـ الفاروق القائد ـ مطبعة العاني ـ بغداد ـ ١٩٦٥ .
٨ ـ المهلب بن ابي صفرة الأزدي ـ مطبعة العاني ـ بغداد ـ ١٩٦٤ .
٩ ـ الاحنف بن قيس التميمي ـ مطبعة المجمع العلمي الراقي ـ بغداد ـ ١٩٦٥ .
١٠ ـ قتيبة بن مسلم البتهلي ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ـ ١٩٦٥ .
١١ ـ مقالات وبحوث في:
أ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي .
ب ـ مجلة المجمع العلمي في السام .
جـ ـ مجلة الرسالة المصرية .
د ـ المجلة العسكرية العراقية .
هـ ـ مجلة: «المسلمون» .
و ـ مجلة الحج .
١٢ ـ قادة فتح المغرب (ليبيا وتونس والجزائر ومراكش) .
١٣ ـ قادة فتح الشرق (السند ـ ارمينية ـ ازبكستان ـ تركستان ـ الاناضول) .
١٤ ـ قادة فتح الاندلس والبحار .
١٥ ـ قادة فتح اوروبا .
١٦ ـ الصديق القائد .
١٧ ـ الامام القائد .
١٨ ـ القادة الراشدون .
١٩ ـ الفتح الاسلامي .
٢٠ ـ الحرب والسلام في الاسلام .
٢١ ـ قادة النبي .

٢٢ ـ سفراء النبي.
٢٣ ـ شهداء الاسلام في عهد النبي.
٢٤ ـ سفراء النبي.
٢٥ ـ كرامة العلماء.

تاريخ الحرب

٢٦ ـ المشير فون رونشتد ـ مترجم عن الانكليزية.

صدر حديثا عن
مكتبة النهضة

هذا الكتاب

ان القادة الألمان حين اصدروا مؤلفاتهم توخوا الى درجة كبيرة إظهار الحقائق التاريخية الخالصة، لانهم كانوا مغلوبين لا غالبين،

ما هي حقيقة نوايا هتلر السلمية والعدوانية؟ كيف اندلعت نيران الحرب؟ ما هي حقيقة الجيش الالماني على عهد هتلر؟ ما هي حقيقة العلاقات الالمانية ـ الروسية قبل الهجوم الألماني على روسيا؟ لماذا سمح الألمان للبريطانيين بالانسحاب من دانكرك؟ ما هي عوامل انهيار فرنسا؟ لماذا يهاجم الالمان بريطانيا في عقر دارها؟

ستقرأ جواب كل ذلك في هذا الكتاب يرويها لك شاهد عيان المعي من أبرز قادة الألمان وضباط ركنهم

انه كتاب الف لوجه الحقيقة التاريخية يفيد القارىء العسكري والمدني. بل يفيد كل مثقف عربي.

الناشر

الثمن ٣,٥٠٠ دينار

مكتبة النهضة

بغداد ـ شارع المتنبي

هاتف ٤١٦٢٦٨٩



طبع الدار العربية بغداد